الإمارة المَزْيَدية الأسدية في الحلّة

دراسة في أحوالها السياسيّة والحضاريّة

الدكتور عبد الجبار ناجي

١٤٣١ = ٢٠١٠

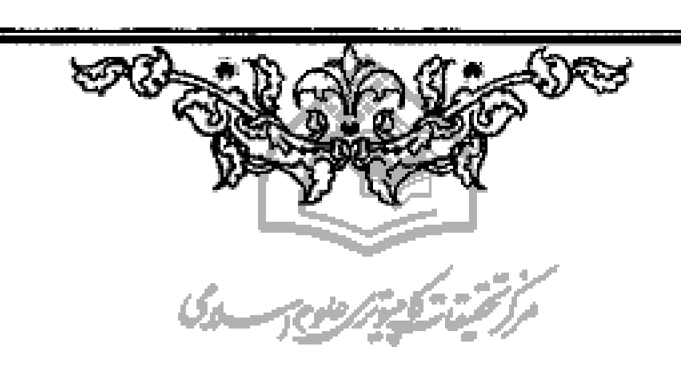

بسم الله الرحمن الرحيم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



الإمارة المزيدية الأسديّة في الحلّة

دراسة في أحوالها السياسية والحضارية



تأليف

الدكتور عبدالجبار ناجي

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

سرشناسه	: ناجی، عبدالجبار
	Naji, Abd al - Jabbar
عنوان و نام پدیدآور	: الامارة المزیدیة الأسدیة فی الحلة: دراسة فی احوالها السیاسیة و الحضاریة/ تألیف عبدالجبار ناجی.
مشخصات نشر	: قم: مورخ – کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران، ۱۳۸۸ ش/ ۱٤۳۱ق
مشخصات ظاهری	: ٤۱٦ ص: نمودار
شابک	:٦٥۰۰۰ ریال: ۷-۲- ۹۱۰۳۰- ٦۰۰- ۹۷۸
یادداشت	: عربی
موضوع	: مزیدیه
موضوع	: عراق – تاریخ – ۱۳ – ۹٤۱ق
موضوع	: حله – تاریخ
رده بندی کنگره	: ۱۳۸۹ ۸ الف ۲ ن /DS۷٦/٤
رده بندی دیویی	: ۹٥٦/۷۰۲
شماره کتابشناسی ملی	: ۱۹٦۲۹۳٤



■ الامارة المزیدیة الأسدیة فی الحلة: دراسة فی احوالها السیاسیه و الحضاریه

□ مولف: عبدالجبار ناجی

□ چاپ اول ناشر: ۱۳۸۹ ش/ ۱٤۳۱ق

□ نشر مورخ با همکاری کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران (قم: ۷۷۳۱۳٥٥ – ۰۲٥۱)

□ شابک: ۷-۲- ۹۱۰۳۰- ۹۰۰- ۹۷۸

□ شمارگان: ۱۰۰۰

□ چاپ اعتماد، قم

□ قیمت: ٦٥۰۰۰ ریال

فهرس الموضوعات


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾

سورة آل عمران ـ آية ١٤٠

الطبعة الثانية

كان عدد نسخ الطبعة الأولى من الإمارة المزيدية محدوداً جداً بواقع خمسمائة نسخة فقط. لذلك، ومنذئذٍ سرعت في رصد أي معلوماتٍ جديدة تتعلق بالموضوع والحمد لله فقد تجمعت لدي معلوماتٍ إضافية قيّمة. غير أن الظروف التعيسة التي رافقت الأحتلال الأجنبي جاءت بنتائج سلبية كثيرة أهمها نجاح الإحتلال في زرع الطائفية المريرة في مجتمعٍ كان قبل مجيئهم متآلف فأدى ذلك الى عمليات كثيرة أشدها التهجير القسري للعوائل من مناطق سكناهم وبيوتهم التي أمتلكوها بعد جهدٍ جهيد من أرزاقهم المحدودة أصلاً. ولسوء الحظ كنت وأهلي أحد هؤلاء المهجرين الذين تركوا بيوتهم ومقتنياتهم ومكتباتهم فارّين منها بأرواحهم ليستأجروا إن كانوا محظوظين بيوتاً للسكن فقط. فليتصور هذا العالم كم هي معاناتنا نحن الأساتذة. لهذا

فقد تركت جميع ما أملك وما جهدت نفسي في بنائه ألا وهو المكتبة وما جمعته من المعلومات في البيت الذي هُجّرت منه، ياللأسف. فهذه صورة مأسوية واحدة لما جاء به الإحتلال (الديمقراطي) الذي جيء به الى العراق، وليتصور القارئ الكريم كم هي معاناة من يفكر ويبحث في هذا البلد.

لهذا السبب وغيره فقد أضطررت على الإبقاء على أصل الطبعة الأولى من الكتاب ما خلا تعديلات أجريتها على العنوان وعلى الفصل الأول منه، وقد أضفت إليه فصلاً عن الحياة الفكرية وعن التشيّع في الحلّة ومنطقتها أبان عهد بني مزيد.شكري الى ولدي الاستاذ السيد حيدر الياسري على مساعدته القيمة في الحاسوب والانترنيت جزاه الله خير الجزاء.

أدعو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في عملي هذا، والله الموفق.

المؤلف

أ.د. عبدالجبار ناجي

الفصل الأول

خصائص العصر السياسية ومصادر معرفتنا عن المزيديين

الحدود الزمانية للإمارة المزيدية تمتد من حوالي الربع الأخير من القرن الرابع الهجري الى منتصف القرن السادس الهجري/العاشر الميلادي، الثالث عشر للميلاد. أما الحدود المكانية فهي منطقة الفرات الأوسط بدرجةٍ أساسية وحدود الفرات الأوسط في الحقبة الإسلامية واسعة لأسبابٍ سياسية لا جغرافية. فكانت تضم كل من عانة والأنبار على نهر الفرات شمالاً الى بطائح الكوفة جنوباً، ومن إقليم كسكر بمدينته المشهورة النيل شرقاً الى الكوفة غرباً والى بطائح الحويزة جنوباً ونهر الملك شمالاً. فضلاً عن سعة المنطقة جغرافياً فإنها أشتملت على عدّة أوجه تضاريسية مهمة من أنهارٍ وتفرعاتٍ نهرية من نهر الفرات الى أنهار وتفرعات من نهر دجلة، ومن أجمات ومستنقعات تجمّع فيها القصب والأحراش الى تلالٍ غير مرتفعة وأراضٍ مستوية واسعة ولهم قرى وبلدان ومدن رئيسة. وهي منطقة ذات أهمية

إقتصادية وتجارية كبيرة فطريق حجيج العراق القادم من الشرق عبر طريق الحرير الى بغداد ثم يتوجه الى الجامعين (وبعدئـذ الحلّـة) الى الكوفة حيث يتجمع الحُجّاج قبل رحيلهم الى مكة. وهذا الطريق بقدر ما هو فاعل ونشيط في موسم الحج فإنه حيوي أيضاً في نقل التجارات والبضائع من هذه المنطقة الغنية في زراعة الحبوب والخضروات والفواكه الى بغداد والعكس، فإن المنطقة بحدود الرقعة القريبة من بغداد تمثل ريف بغداد الذي يدعم العاصمة إقتصادياً. يضاف الى ذلك شهرة المنطقة نفسها ومدنها الكوفة والحلّة وريفها والنيل وقصر ابن هبيرة ونهر الملك في النشاط الزراعي. فوجود مساحاتٍ واسعة من الأراضي الصالحة مهمة للكلأ والرعي، ووجود الآجمات والمستنقعات والأهوار التي تميز بها إقليم كسكر ونهر الكوفة والنيل وغيرها يعدّ مورداً أساسياً في زراعة الرز وقصب السكر والقطن، كما أنه يعد مورداً مشهوراً في تزويد الحواضر بالدواجن ومشتقاتها والمواشي والأسماك والطيور وغير ذلك من إنتاجات حيوانية وفي النقل والمواصلات.

والمنطقة ذات أهمية إستراتيجية منذ أبعد الفترات التاريخية وأنها حلقة الوصل البرية والنهرية بين جنوب العراق والخليج الى الآفاق وبين الشرق حيث بلدان المشرق الإسلامي. والفرات الأوسط شهد عبر التاريخ القديم تأسيس ممالك ودول مدن معروفة، وفي الفترة التي سبقت الإسلام أيضاً نظير مملكة ميسان ودولة الحيرة. وفوق هذا وذاك فإن الله تعالى حباها بنعمة ومثابة لا تضاهى بوجود مدينتي النجف وكربلاء وبأنتشار المزارات ومشاهد وقبور الأئمة وأبناءهم وأقاربهم وأنصارهم، كيف لا تكون كذلك وقد كانت

قديماً مهداً للأنبياء والأولياء، فهنا موطئ إبراهيمعليه السلام وهناك موطئ الكفل وفي جهةٍ أخرى موطئ النبي دانيالعليه السلام. وهنا مرقد الشهيد زيد بن عليعليه السلام وهناك مشهد القاسم بن الإمام موسى الكاظمعليه السلام وهناك مشهد الإمام صاحب الزمانعجل الله فرجه والى غير ذلك.

وتاريخ أمتنا العربية الإسلامية شهد منذ عصورٍ سحيقةٍ ظاهرة تأسيس سلالات أو إمارات عربية ذات تكوين سياسي هرمي منظّم سواء كان ذلك في جنوب الجزيرة العربية وبالأخص اليمن أم في وسطها المتمثل بإمارة كنده أم ـ وهو المهم ـ في أطراف الجزيرة العربية الشمالية الشرقية والشمالية الغربية المتاخمة لمناطق نفوذ الإمبراطوريتين العظمى آنذاك، ونقصد بذلك إمارة المناذرة في الحيرة غربي الفرات، وإمارة الغساسنة في بادية الشام مما يطلق عليها بإمارات أو دول الحدود Buffer States. وهي إمارات لم يقتصر دورها ونشاطها ومهمتها على الجانب السياسي والعسكري بما تمليه ظروف تأسيسها وطبيعة المرحلة التاريخية آنئذٍ إنما أيضاً بعطائها الحضاري والحضري والفكري والإجتماعي والعمراني.

ومما يلفت النظر وجود عدد من أوجه الشبه بين عوامل نشوء وتطور هذه الإمارات العربية القديمة وأفولها وبين ما شهدته الفترة الزمانية التي نحن بصددها بشأن الإمارة المزيدية، ولاسيما إذا ما أخضعنا هذه الدراسة في المتشابهات في عناصر التأسيس والأفول: لدولتي المناذرة والغساسنة. وكأمثلة على ذلك إمارة بني مزيد (وهم يرجعون الى بني أسد) فقد تأسست في النيل

والجامعين (الحلّة) وفي منطقة الفرات الأوسط منذ أواخر القرن الرابع الهجري. لقد كان العامل الرئيس لقيام دولة المناذرة ـ كما هو معروف ـ خوف الساسانيين وقلقهم من الأخطار التي فرضها وجود مجموعات من القبائل البدوية غير المنضبطة في بادية الشام (وكذلك بما عرف بباديتي الكوفة والبصرة) التي كانت تشنّ الهجمات والغارات السريعة على المسالح الفارسية ومناطق نفوذ الفرس على طول الخط الممتد الى الغرب من الفرات وشط العرب أي من الأنبار شمالاً الى البصرة جنوباً. ولذلك فقد سعت الدولة الساسانية الى ترشيح المناذرة وأختيارهم للمساعدة في هذا الإتجاه، وللعوامل السياسية هذه فقد منحتهم الشرعية في الإستقرار في المزارع والحقول الى جوار النهر بغية المحافظة على الحدود الغربية المفتوحة وصدّ هجمات القبائل التي ما زالت مترحلة أو لمطاردة القبائل البدوية التي تسبب قلقاً للمدن والقرى والمسالح في هذه المنطقة المهمة التي تميزت بخصوبتها من جهة وبوقوعها على طرق التجارة والمواصلات من جهةٍ أخرى، وكانت عرضةٌ دوماً لهجمات تلك القبائل وغاراتها.

وهذه العوامل هي التي حملت البويهيين الديالمة الذين أسسوا إمارة بويهية في العراق أمتدت من سنة ٣٣٤ـ٤٤٧هـ/٩٤٥ـ١٠٥٥م على أن يرشحوا إحدى القبائل البدوية المتنقلة على طول أطراف النهر الغربية ألا وهم بنو مزيد للقيام بدورٍ أساس في المنطقة ومنحتهم الشرعية في تأسيس إمارتهم. والهدف من ذلك فرض السيطرة على طريق الحج والتجارة وضمان الأمن في

المنطقة من الأخطار التي شكلتها وجود قبائل مثل بني عقيل وبني خفاجة وبني عبادة على المراكز الحضرية المنتشرة في الفرات الأوسط وهي ذات المنطقة التي أسس فيها اللخميون الحيرة. إنها منطقة أمتازت بخصوبتها ووفرة مياهها ووقوعها على الطريق التجاري وطريق الحجيج. وأتبع السلاجقة الأتراك الذين أعقبوا البويهيين على السيادة على العراق منذ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م سياسة مشابهة لسياسة البويهيين مع القبائل العربية.

أما العنصر المماثل الآخر هو أن الساسانيين قد منحوا أمراء الإمارة التي رشحوها للقيام بالدور السياسي العسكري ألقاباً ذات دلالة مهمة وتعكس مقدار أهمية رئيس هذه القبيلة المرشح أم ذاك. فلقّب الساسانيون أمرئ القيس مثلاً بلقب ملك العرب، وهو نفس اللقب الذي منحه البويهيون والسلاجقة على أمراء بني مزيد.

كذلك فإن كلاً من الإمارتين، المناذرة في الحيرة والمزيديون في الحلّة أفلحتا ـ مستثمرة الظروف السياسية المضطربة للساسانيين والبويهيين والسلاجقة ـ بمرور الزمن في التأثير السياسي كقوة متنفذة وفي تكوين كيان سياسي مستقل. إذ أستثمر المناذرة إضطراب أوضاع الإمبراطورية الساسانية الداخلي والخارجي في حروبهم مع البيزنطيين في الحصول على مكاسب سياسية. كذلك أفلح المزيديون في أستثمار الأوضاع السياسية والعسكرية المرتبكة للبويهيين والسلاجقة في علاقاتهم مع الخليفة العباسي، وفي أنشغالهم جميعاً بالمنازعات والحروب المستمرة فيما بينهم فأسسوا إمارات مستقلة.

والمناذرة مثلاً شجعوا الحركة الفكرية إذ أصبحوا مركزاً للإشعاع فأنجذب نحوهم الشعراء المشهورين، فضلاً عن براعة عدد من ملوكهم بهذا الأداء فشهروا به. وتوجه الشعراء المرموقون في العصر العباسي المتأخر الى نوادي وقصور المزيديين للإسهام في مدحهم ومدح مدينتهم النيل والحلّة. وأغدقوا في إعطياتهم وجراياتهم على الشعراء كما فعل ملوك المناذرة. وكان لأمراء بني مزيد أنفسهم الدور الفاعل في إنشاد الشعر، وأن عدداً منهم توجه الى الشعر أكثر من أنخراطه وأنشغاله في الشأن السياسي. وشجع المزيديون الكُتّاب والأدباء والفقهاء والعلماء الى جانب تشجيعهم الشعراء فنهضت في الحلّة حركة فكرية وأدبية واسعة.

وأسهم الملوك المناذرة في حركة الإعمار والبناء مثلاً في بناء مدينة الحيرة المشهورة التي أعتمدت الكوفة بعدئذٍ على تجربتها الحضرية[1]. كذلك عمل المزيديون بدأبٍ ومثابرة على تطوير مدينتهم الأم، النيل، ثم بعد ذلك توجهوا الى إعمار أجمة الجامعين فحولوها الى مدينة عامرة نافست مدينة الكوفة، تلك هي مدينة الحلّة.

ولدت الإمارة المزيدية وأفل نجمها زمن العباسيين في عصورهم المتأخرة، فقد أسس العباسيون سلطتهم زمن الخلفاء الأُول السفاح والمنصور بعد

---

١. ينظر: عن المناذرة في الحيرة: غنيمة: يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية (فصل سلالة آل لخم في الحيرة) ص١٢٩؛ جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ج١، ص١٨٤؛ د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (المناذرة)؛ مقالة: (Hira) in E. I. (2) by ومقالة (Manadhira) in E. I. (2) by .

تخلصهم من أعدائهم سواء كانوا من أبناء جلدتهم وأسرتهم وقوّادهم الـذين عملوا بجدٍّ في إنجاح ثورتهم أم من أبناء عمومتهم العلويين من بني هاشم بعد أن أستأثروا بل أستثمروا شعار آل البيت إستثماراً مصلحياً. كان سلاح القتل والإبادة هو السلاح الذي أشهره المنصور ضد هؤلاء وهؤلاء. وبلغت الدولـة أوجها زمن الرشيد والمأمون في أستعمال سياسات العنف والترهيـب وعـدم التسامح مع الآخر أياً كان ذلك الآخر طالما أنه حسب رأيهم آخـراً منافـساً لسلطتهم. وقد أفلح هؤلاء في سياساتهم الخارجية وحروبهم ضد الـروم مـن جهة وضد الحركات المناوئة لهم في المشرق الإسلامي والمغـرب العـربي مـن الجهة الثانية. وممـا يجـدر التنويـه إليـه أن سياسـة العباسـيين القويـة ضـد التحديات المحلية والداخلية والخارجية ترتبط أرتباطاً مباشراً بفلسفة النظـام الذي أُريد منه رفع الخليفة العباسي الى مصافي العظماء والمتفردين في الحكـم أليس هو ظل الله في الأرض؟ وهي سُنّة متكررة في التـاريخ دون أن يأخـذ هذا الحاكم أو ذاك الإمبراطور الموعظة والعبرة، إنـه عظـيم ويجمـع في ذاتـه النقيضين الحاكم المتفرد القاسي والدموي وهو في الآن ذاته الرشيد والعطـوف والكريم والرحيم. فما أن وصل العباسيون الى أوج أنتصاراتهم حـتى بـدأت مؤسستهم السياسية تواجه التحديات الواحـدة تلـو الأخـرى في كـل بقـاع إمبراطوريتهم فهناك ثورة وهنا أنتفاضة وهناك عدوان خارجي على الحدود وهكذا حتى وصلت بهم الحالة الى أن المتوكل نفسه يُقتل بيد أبنه وأن الجُنـد الأتراك يقتلون هذا الخليفة ويسملون عيون خليفة آخر ويرفعون عباسياً من

غير الأسرة الى الخلافة ويحطّون من قدر عباسي آخر. وما أن إعتلى الراضي بالله سدّة الحكم حتى وجد نفسه خليفة حبيساً في بغداد وضواحيها، أما خارج بغداد فصارت بيد الأمراء الأتراك والديلم أو المتنفذين أو الثوار والمتمردين. أما خارج العراق فتنازعته قوى الإنفصال والإستقلال في المغرب العربي والأندلس وفي سجستان وخراسان وما وراء النهر والديلم وطبرستان والجبال وأرمينية وأذربيجان والموصل والجزيرة الفراتية ومصر الفاطمية وقرامطة البحرين وبُريديين البصرة وعمران بن شاهين في البطائح وابن رائق في واسط.

كانت الأزمة الإقتصادية هي السبب المباشر في أن يرضخ الخليفة العباسي الى طلبات المتنفذين من القوّاد الديلم والأتراك، وأن يتنازل عن عنجهية الخلافة وتفردها الى أمير الأمراء شريطة أن يحلّ هذا الأمير الأجنبي أزماته الإقتصادية ومصاريف بلاطه وحاشيته اليومية التي تقدر بمبالغ باذخة وكبيرة جداً آنذاك. بينما يعيش الناس في مستوى معاشي دون خط الفقر بكثير، هذا لا يهم الخليفة بقدر ما يهمه تلبية مطاليب قصره وجواريه وحاشيته وأبهته.

من الجانب الآخر فإن هذا الوضع السياسي والإقتصادي والإداري المضطرب والمفعم بالفساد المتفشي في كل مفصل من مفاصله الإدارية في الوزارة وفي الدواوين وفي ديوان الجند وفي ديوان المصادرات وفي الإقتصاد وسيادة الإحتكار وتلاعب التجّار الكبار والصيارفة من اليهود وغير اليهود

في مقدرات الأسعار وأحتكار المواد الغذائية الأساسية للفقراء ألا وهو الخبز دون الرز. إن وضعاً إجتماعياً وإقتصادياً مؤذياً ومؤدياً الى زيادة معاناة الشريحة العظمى من المجتمع العراقي من الفقراء والعلماء الذين لم يذلوا علومهم وأقلامهم خدمةً للعباسيين ووزرائهم وقوّادهم لم يؤدّ الى توقف عطاء الحضارة والعلم والتقدم. فالسياسة والحروب وظلم الحكّام وجورهم شيء وحب العلم والتعلم وطلب العلم والسعي الدؤوب في الكتابة والتدوين في مجالات العلوم الإنسانية والعلمية الصرفة كان يسير بخط بياني أعلى بكثير من الخط البياني السياسي والإقتصادي المتردي جداً.

وفي الفترة منذ نهاية القرن الثالث الهجري فصاعداً شهدت الخلافة العباسية تحدياتٍ كبيرة أفقدتها التوازن فأضطرت الى الإستسلام للأمر الواقع وقنعت بأن يبقى الخليفة رمزاً دينياً بينما يتسلط أمير الأمراء للفترة من ٣٢٤ـ٣٣٤هـ/٩٣٥ـ٩٤٥م ثم بعدئذٍ يبقى شبه أسير تحت السيطرة البويهية من سنة ٣٣٤ـ٤٤٧هـ/٩٤٥ـ١٠٥٥م. وكاد البويهيون الشيعة أن يزيحوا الخليفة العباسي والى الأبد كما فعل هولاكو بعد غزوه بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م لكنهم فضّلوا أن يُبقوه مجرداً من أمتيازاته وأبهته وجبروته وأمواله وأملاكه. كان الخليفة يعتقد في سياسة فرّق تسُد أنها ستجلب له النفوذ الذي قد أفتقده لذلك فقد دعم السلاجقة الزاحفين من بلاد ما وراء النهر بأتجاه العراق لكنه أخطأ التقدير ثانيةً كما أخطأ آخر خليفة المستعصم بالله التقدير في عدم رضوخه للتتار بناءً على نصيحة قائده الضيق الأفق

وعدم قبوله نصائح وزيره الواسع المعرفة بطبيعة الطوفان المغولي الذي يدمر من يعيق زحفه. فالسلاجقة برغم أنهم أتباع المذهب الحنفي وكانوا متحمسين له كثيراً، إلا أنهم كانوا غير سعيدين في رؤية تعاظم شأن الخليفة العباسي. وحاول بعض الخلفاء التحدي وإشهار السيف بوجههم ففشل بعضهم وقتل ونجح الناصر لدين الله ووفق في كبحهم وإنهاء سيطرتهم.

فالحالة السياسية ـ العسكرية للخلافة العباسية منذ منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حالة ليست متعافية فلم تعد إمبراطورية العباسيين مترامية ومتوحدة، إذ كثر الطامعون في التحرك نحو الإنفصال وتأسيس إمارات مستقلة. فظهر البويهيون في حوض بحر قزوين من المشرق الإسلامي ثم زحفوا نحو بغداد، ومارسوا الحكم الفعلي. وحددوا صلاحيات العباسيين فأصبح لهم الوزراء وللخليفة كاتب يدير أقطاعاته وحددوا له راتباً معيناً كان يقطع في أوقات الأزمات الإقتصادية. وصاروا يصادرون أمواله وأملاكه ويتدخلون في مسألة عزله وتنصيب آخر محله يتفقون هم عليه[1].

أعقب البويهيون السلاجقة الأتراك، ففي السنوات التي سبقت سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م كان البويهيون في بغداد يعانون من ضعف داخلي وإنحلال

---

١. ينظر عن البويهيين وعلاقتهم بالخليفة: Kabir, M. The Buwayhid Dynasly of Baghdad (Buwayhid) by CL. Chen_(Calcutta) pp. 186 ; 195; Bosworth, C.E. "Mititary structure of the Buwayhid in Iran and Iraq" ترجمة: ناجي، د. عبد الجبار، (التنظيم العسكري للبويهيين في إيران والعراق) نشر في مجلة المورد، بغداد، مجلد ٤، عدد ١، ١٩٧٥م.

سياسي عام. بينما شاهد التاريخ حدثاً مهماً متمثلاً بالتقدم العسكري المذهل للسلاجقة من بلاد ما وراء النهر وأصطدامهم بالبويهيين عسكرياً. وتوجهت أطماع السلاجقة بعد أستيلائهم على مناطق نفوذ الغزنويين السيطرة على مناطق نفوذ البويهيين، وساعد نجاح السلاجقة تفكك الأسرة البويهية فقد دخل فولاستون ابن أبي كاليجار في نزاع مسلح مع أخوته الملك الرحيم وأبي علي. وعقد فولاستون وأبو علي معاهدة مع السلاجقة معترفين بسيادتهم ضد أخيهما الملك الرحيم، وأضاف فولاستون مؤكداً أعترافه الرسمي، بزعيم السلاجقة طغرلبك، أسمه في الخطبة من على منابر شيراز دون أن يبذل طغرلبك جهداً عسكرياً في ضمها. وبعد ذلك دخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ مسدلاً الستار على آخر حاكم بويهي وهو الملك الرحيم ومبتدءاً فترة سلجوقية أمتدت حتى سنة ٥٩٠هـ عندما نهض الناصر لدين الله بعية الخوارزميين في مواجهة عسكرية ضد طغرل الثالث آخر حكام سلاجقة العراق فحقق نجاحاً في أنهاء تلك السيطرة[1]. فالخليفة العباسي بسبب ضعفه وعدم قدرته على مواجهة البويهيين أعترف بشرعية سلطة السلاجقة، وصار أسم السلطان طغرلبك ومن أعقبه يذكر من على منابر

١. ينظر عن علاقة السلاجقة بالخليفة: Bowen: "The Last Buwayhids" in JRAS (1929) pp. 234 237; Bosworlh, E. "The Politica and dynastic history of the Iranian world" in the Cambridge Hist. of Iran vol. 5 pp. 42 46; Lowe. "The Seljuq" in the Cambridge Medieval Hist. Islambul (1923) pp. 303 305; Defremery, "Histoire de Seldjoukides" in J.A. (1848) Sanaullah. M.E. , The decline of the Saljuqid Empire (Calcutta 1938).

صلاة الجمعة. كان الخليفة يأمل أن يُحسّن من وضعه السياسي فقرّب السلاجقة ومنحهم الألقاب، تماماً كما فعل مع البويهيين. غير أنه أخفق في تقديره هذا لأن السلاجقة أيضاً وضعوه تحت سيطرتهم واتخذوا أحياناً إجراءاتٍ تعسفية بحقه وكرروا ما فعله البويهيون.

والمُلاحظ أن كلاً من البويهيين والسلاجقة فشلوا في سياساتهم وفي علاقاتهم مع أهالي العراق. وزادوا في الطين بلّة عندما طبقوا سياساتٍ مذهبيةٍ طائفية أشعلت نيرات التطاحن والفتن بين الشيعة والسُنّة المكونان الأساسيان في محلات بغداد الغربية والشرقية ذهب ضحيتها الناس الأبرياء فقط. لهذا وعلى كرور الأيام فقدوا سيطرتهم في الأحتفاظ بسلطانهم وسطوتهم ومناطق نفوذهم في العراق مدة طويلة. فقد جاء أنهيار الدولة البويهية بالدرجة الأساس نتيجة الخلافات والمشاحنات العائلية والحروب بين الأمراء البويهيين على السلطة والنفوذ ونتيجةً للحروب الكثيرة التي أستعرت بين أفراد العائلة البويهية. ونفس الحالة بالنسبة للسلاجقة.

فالمتغيرات السياسية السريعة السابقة الذكر، سارعت في إظهار علامات الضعف السياسي الداخلي وعدم أستطاعة البويهيين أو السلاجقة على ضبط مقاليد الأمور في العراق وبقية الأجزاء في المشرق الإسلامي؛ فضلاً عن أستفحال حدّة الأزمة المالية المتمثلة بنضوب موارد الدولة المالية وعدم نجاح الأمراء البويهيين والسلاطين السلاجقة في تلبية متطلبات جندهم في دفعٍ منتظم لأرزاقهم ناهيك القول عن السياسة الإقتصادية التي أتبعها هؤلاء في

منح الإقطاعات الصغيرة والكبيرة الى قوّادهم وجنودهم عوضاً عن أرزاقهم قد أدت الى خراب الأراضي الزراعية الغنية في العراق فأدى ذلك الى نزوح الفلاحين عن قُراهم الزراعية نحو المدن والحواضر. فأنتج هذا العامل وغيره الى شحّة المواد الغذائية وأرتفاع أسعارها بشكلٍ عالي جداً لم يقو الفقير على تحمل أعبائه في الحصول على الرغيف العادي (أقصد من الحنطة غير المنخولة) للعيش. وتبع هذه الفوضى السياسية والفوضى في الإجراءات الإقتصادية الى فوضى إجتماعية عانى منها الأهالي كثيراً وأخصها سوء الحالة الإقتصادية التي زادها سوءاً أحتكار التجّار بل حتى مسؤولي الدولة للمواد الغذائية الأساسية. فأضطربت الأحوال الإجتماعية وأنفقد الأمن والنظام وأستفحل أمر العيارين أو الشطّار ضد سيادة نفوذ الديالمة والأتراك من جهة والجند وأصحاب رؤوس الأموال والتجّار من جهةٍ ثانية. ووصلت الحالة الى أن فلاناً العيّار أصبح هو المهيمن على بغداد وأمنها ويعيث بها الفساد دون معاقبة ومحاسبة من السلطة الضعيفة المنهارة. وبلغت الحالة الى أن الناس دأبوا على التشبث بالحصول على مساعدة من العيّار الفلاني بدلاً من الجند والسلطة لأن هذا العيّار (أمثال عزيز العيّار والبرجمي) كانوا الأقوى سطوةً ونفوذاً وهيبة من الخلافة والسلطة على حدٍّ سواء.

خلال هذه الحقبة المضطربة ظهر من الجانب الآخر نشاطاً ملحوظاً في حركة وفاعلية عدد من القبائل البدوية التي كانت تجوب بادية العراق الغربية والى حدٍّ ما الجزيرة الفراتية على طول خط المراكز الحضرية والمناطق

الخصبة ذات المياه الوافرة والأنهار المهمة، وعلى طول طريق التجارة والنقل وطريق الحاج الخارج من العراق عبر الصحراء الفسيحة بأتجاه مكة.

ولعل من الصحيح القول أن تصاعد فاعلية وحركة هذه القبائل سواء في شنّ الهجامت السريعة والغارات على قوافل التجّار والحجّاج أم في تهديدها وشنها هجماتٍ وغاراتٍ متكررة على المراكز الحضرية في منطقة الفرات الأوسط الزراعية قد أرتبط بمدى قدرة وكفاية السلطة المركزية سياسياً وادارياً وبمدى ردود فعل هذه السلطة عسكرياً فيقوى موقف القبائل ويشتد نشاطها أثناء حالات الفوضى والضعف داخل السلطة المركزية المتمثلة بالخليفة والأمير البويهي والسلطان السلجوقي وتتناقص الهجمات ويتحجم دور القبائل عندما تتحسن أوضاع السلطة المركزية سياسياً وعسكرياً فيكون بمقدورها الردّ المباشر والسريع على تحركات القبائل، التي أعتمدت أسلوباً تكتيكياً في الكرّ السريع والحصول على الغنيمة ثم الإنسحاب السريع الى أعماق الصحراء في حالة مطاردة جيوش السلطة لها.

ومن بين أهم القبائل العربية المتحركة في باديتي الكوفة والبصرة وفي بادية الشام قبائل بني عقيل وبني أسد وبني خفاجة وبني المنتفق. في الوقت الذي فرضت فيه قبائلُ آل الجراح من طيء وبنو كلاب ومنهم بنو مرداس نفوذها في الجزيرة الفراتية في حلب وفلسطين.

يعدّ ظهور بني مزيد وبناء إمارتهم مظهراً واضحاً من مظاهر أستمرار فاعلية البداوة وحركة القبائل العربية في الأداء وفي ممارسة الدور المتنفذ في

شؤون العراق خاصة. إذ كانت البداوة هي الصفة الغالبة على قيم وعادات وثقافة هؤلاء. كذلك فإنهم أستطاعوا بفعل جدارتهم وجرأتهم وقوتهم العسكرية وتعبئتهم في القتال من أن يؤثروا في أحداث ذلك العصر. وبالفعل فقد عملوا على تأسيس إمارة في موضع ليس ببعيد عن العاصمة بغداد أي في الحلّة. والأكثر من ذلك فقد دوّخت هذه الإمارة السلطة المركزية، الخليفة أو الأمير البويهي أو السلطان السلجوقي. وكان تركيب الجيش المزيدي لا يختلف في عناصره كثيراً عن تركيب جيش بغداد، إذ كان يضم العرب والأكراد والأتراك وهم من المرتزقة. غير أن الأختلاف الرئيس بين جيش المزيديين وجيش بغداد يتركز على القيادة والزعامة، فكانت القيادة عربية محضة عند المزيديين وكان عماد الجيش هو العنصر العربي عند المزيديين سواء كان ذلك في التشكيلات والتعبئة، أم في العمليات الحربية في ميدان القتال. في الوقت الذي كانت فيه قيادة جيش بغداد في الأعم الأغلب أجنبية وكذلك كان عماد جيشهم من العناصر الأجنبية كذلك في القتال والتعبئة.

ونظراً لإخلاص بني مزيد لقيادتهم فقد حصلوا على مكاسب سياسية وعسكرية فقد توسعت مناطق نفوذهم إذ سيطروا على مناطق عديدة. يضاف الى ذلك فإن الأمراء البويهيين والسلاطين السلاجقة أضطروا نتيجة عنفوان بني مزيد وإخلاصهم في الواجب الى الإعتماد عليهم في الأمور العسكرية. لذلك فإنهم أدّوا دوراً بارزاً في أستقرار الحياة السياسية لذلك العصر حتى أنهم تحدوا السلطة المركزية في كثيرٍ من المناسبات وترعموا

حروباً ضد البويهيين والسلاجقة قادتهم في مناسبات الى محاولة الإستيلاء على بغداد نفسها. والواقع أن بني مزيد أتبعوا سياسةً ذكية في أستغلال ظاهرة أختلاف الأمراء البويهيين ومحاربة بعضهم البعض الآخر وهي سمة قد أصبحت واضحة وسائدة زمن السلاجقة أيضاً، فوسعوا من ممتلكاتهم ومناطق نفوذهم أولاً ثم عملوا بجدٍّ وفاعلية على تفتيت السيطرة الأجنبية بالدرجة الثانية.

وبنو مزيد على الرغم من تأصل القيم البدوية فيهم إلا أنهم شجعوا الأعمال العمرانية وهذه الظاهرة على الضد تماماً لما أفترضه ابن خلدون بأن الأعراب "في أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب"[1]. ففي بداية أمرهم أتخذوا مدينة النيل على نهر النيل الذي تم حفره زمن ولاية الحجّاج الثقفي في العصر الأموي؛ وبعد ذلك شمّروا من سواعدهم في بناء مدينة الحلّة الواقعة بالقرب من ذلك الأثر التاريخي القديم، بابل. وأختيار بني مزيد للمنطقة التي تأسست فيها مدينة الحلّة يعدّ دليلاً كافياً على سلامة تفكيرهم في الجوانب الحضرية والإقتصادية والعمل على أنعاش وأزدهار هذه المنطقة الزراعية المهمة. فضلاً عن قيامهم بإنجاز أعمال عمرانية أخرى نظير بناء القناطر والسدود وزراعة البساتين النظرة وبناء البيوت الفاخرة في الحلّة وشراء بيوت ودور في بغداد وتشييد سور طيني يُحيط بالحلّة. فهذه الأعمال المنظورة في التاريخ وغيرها الذي لم تذكر توضح بجلاء بأن بداوة

---

١. المقدمة، (دار الفكر، بيروت)، ص١١٨ ـ ١١٩.

بني مزيد هي بداوة غير مدمّرة وغير مخرّبة للعمران البشري وللأعمال العمرانية والحضرية، فلم يكن همهم أو شغلهم الشاغل في أعمال النهب والسلب للمدن والقرى والضواحي والأراضي الزراعية إنما كانوا على العكس تماماً ممن عمّر وبنى.

كانت العلاقة بين بني مزيد والسلطة هشّة قائمة على ما يتحقق للسلطة من وارد مالي، إذ كان المزيديون يدفعون أموالاً كبيرة سنوياً مقابل إسباغ الشرعية على أستقرارهم وحمايتهم للمراكز الحضرية في منطقة الفرات الأوسط. ومقابل ضمانهم حماية طريق الحاج والتجارة من الكوفة عبر الصحراء الى مكة. وفي المقابل كان لهم الحق في جباية الضرائب والميرة من القرى والبلدات المحيطة بالحلّة والمنتشرة في منطقة الفرات الأوسط كالذي قام به أحد أمرائهم في سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م فقد جمع ما يُقدّر بخمسمائة ألف دينار ضريبة مفروضة على القرى. وهذا الأمر يدل دلالة واضحة على أن المزيديين قد أهتموا إهتماماً ملحوظاً في تنمية الموارد الإقتصادية في المنطقة من أجل أن يوفروا تلك الأموال التي فرضتها عليهم السلطة المركزية. آخذين بنظر الأعتبار صعوبة تحقيق هذا الواجب المالي لأنهم كانوا منهمكين ومنشغلين في المتغيرات السياسية وفي إرضاء التيارات السياسية المتطاحنة للأمراء البويهيين وللسلاطين السلاجقة دون أن يُفرّطوا في محاولاتهم المستمرة في إرضاء سلطة بغداد سياسياً ومالياً.

وأنتعشت الحياة الأدبية والفكرية في عهد بني مزيد، إذ كان الأمراء العرب يحبون الشعر كثيراً والبعض منهم شارك في هذا الميدان بشاعريته وقصائده.

كذلك فإنهم أتصفوا بالجود والكرم والشجاعة والوفاء بالعهود والضيافة وكما هو معروف أن صفات كهذه تكون مادةً دسمةً وعاملاً مشجعاً لمدح الشعراء وتقاطرهم على النيل والحلّة لمدح الأمراء المزيديين. وعلى هذا الإعتبار فقد أستضافت الحلّة الكثير من الشعراء والأدباء المرموقين. فضلاً عن أن المدينة ذاتها، وهو أمر مهم، قد أخرجت عدداً من الشعراء والأدباء والفقهاء والعلماء. وحسب المرء أن يعلم بأن بعض الأمراء المزيديين كان يمتلك خزانة كتب تضم الألوف من المجلدات[1] أيضاً فقد خلّف أحد الأمراء ديواناً شعرياً يضم أربعين قصيدة في الحنين الى الحلّة وفي الغزل والمديح والخمريات والوصف وغيرها من الخصائص الشعرية[2]. وهكذا فإن جميع ما تقدم ذكره ينصب في تقديم الدليل الكافي على أهتمام المزيديين وعنايتهم وتشجيعهم الحياة الفكرية.

نخلص الى القول بأن الفترة التاريخية لظهور ونشوء الإمارة المزيدية فترة غير واضحة تماماً في المصادر. والمزيديون يمثلون طابعاً خاصاً ومتميزاً في أنهم يُعدّون موجة من البدو أمتازوا بقوتهم العسكرية وعنفوانهم وشجاعتهم فأسسوا إمارة كانت في البداية صغيرة لكنها توسعت ثم أستمرت في الحياة مدة طويلة فعاصرت سلطات عسكرية وقوى متعددة كالبويهيين والسلاجقة وفرضوا سيطرتهم على أهم منطقة من مناطق العراق العباسي. وأسسوا

١. ابن خلدون: تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت، بلا)، م٤، ص٦٠٩.
٢. ابن خلدون: تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت، بلا)، م٤، ص٦٠٩.

مدينة الحلّة. لكنهم مع ذلك ظلوا محتفظين بعاداتهم وبقيمهم البدوية وشجعوها دون أن يتغلب عليهم ترف الحضارة في بغداد ومدنيتها، على عكس ذلك فإنهم حاولوا بإستمرار الوقوف بالضد من العاصمة في الجوانب الأدبية والحضارية والسياسية.

مصادر معرفتنا عن الإمارة المزيدية

لم تحظ قبيلة بني أسد بصورةٍ عامة وبنو مزيد بشكلٍ خاص في القرون الرابعة والخامسة والسادسة للهجرة بعنايةٍ وأهتمام الدارسين والباحثين في التاريخ العباسي. مع أن هناك دراسات ورسائل جامعية قد كتبت عن تاريخ العراق السياسي والإجتماعي والثقافي وبشأن بغداد بشكلٍ أساس. فليس هناك مؤلفات عن بني مزيد، علماً بأن أفراداً من عشيرة بني أسد وممن يُعتقد أنه يرجع نسبه الى دبيس أو صدقة أخذوا يهتمون بدراسة عشائرهم. وهناك في إيران الإسلامية رسالة ماجستير عن بني مزيد باللغة الفارسية قد أعتمد مؤلفها على كتابي (الإمارة المزيدية، الذي طُبع أولاً في سنة ١٩٧٠م). غير أن هذا لا يعدم من تطرق عدد من الباحثين الحليين عن بني مزيد. وأخص الإشارة هنا الى الأستاذ يوسف كركوش في دراسته القيّمة عن تاريخ الحلّة إذ تناول في صفحات كتابه الأولى ذكر لعدد من أمراء بني مزيد، كذلك فإن الأستاذ علي الخاقاني قد تطرق الى دور بني مزيد في الشعر في كتابه المشهور (شعراء الحلّة)، والأستاذ محمّد علي اليعقوبي في كتابه القيّم (البابليات). لقد عُني هؤلاء الأساتذة الباحثين المعروفين في الجانب الأدبي من الإمارة المزيدية

معولين كثيراً على روايات المؤرخ الموصلي المعروف ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) حول التاريخ السياسي والعسكري للمزيديين. ومن الجهة الأخرى فإن المستشرقين قد أسهموا إسهاماً فاعلاً بشأن التاريخ السياسي لبني مزيد مثلما عمل الأستاذ كاربجك، الألماني Karaback. فقد ألّف كتاباً عنوانه (مختصر تاريخ بني مزيد) وتم طبعه في ليبزج سنة ١٨٧٤م[١].

وقد أطلعت عليه بعد أن ترجمه لي أحد الأفاضل جزاه الله خير الجزاء. والكتاب ركّز على التاريخ السياسي العسكري مستثمراً كتاب الكامل لأبن الأثير بشكلٍ رئيس. وعُني الأستاذ سيترسين Zetterseen ببني مزيد فكتب حولهم مقالةً في دائرة المعارف الإسلامية في الطبعة الأولى منها بعنوان Mazaydid وكتب عن صدقة بن منصور في الطبعة الثانية من دائرة المعارف بعنوان Sadaqa كما أن الأستاذ بوزورث C. B. Bosworth كتب عن Mazayad في دائرة المعارف (طبعة جديدة بالإنجليزية) فضلاً عن تطرقه الى الإمارة في كتابه The Islamic Dynasties وألّف الأستاذ جورج مقدسي العربي الأمريكي بحثاً قيّماً عن الحلّة بعنوان Notes on Hilla and the Mazyadids in medieval Islam[٢].

حقيقة أن المجموعة المصدرية التاريخية تعدّ هي المصادر الأساسية التي أمدتنا بمعلوماتٍ كثيرة ليس عن الجوانب السياسية ـ العسكرية فحسب إنما

---

1. J. Karaback: Beitrage zur geschichte der Mazjaditen (Leipzig 1874).
٢. نشرت في مجلة JAOS ص٢٤٩ ـ ٢٦٢.

عن الميادين الإدارية والإقتصادية وعن تحركات القبائل العربية في منطقة الفرات الأوسط وعن الجوانب الفكرية بشأن الصفات العربية الأصيلة لأمراء بني مزيد.

ولعل أهم هذه المؤلفات التي كتبت عن بني مزيد أو بالأحرى إعتماداً على النسخة الباقية من مخطوط (المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية) ـ عن الأمير صدقة بن منصور المزيدي، إذ أن أخباراً عدّة في المخطوط تؤشر الى صدقة دون غيره من الأمراء المزيديين. والمناقب المزيدية ألفها الشيخ هبة الله بن نمّا بن علي بن حمدون الحلّي الربعي، ربما كان عميداً لأسرة آل نمّا العلمية المشهورة التي سنتحدث عنها لاحقاً وحول دورها في ترصين حركة التشيع العلمية في الحلّة. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن (المناقب المزيدية) أي النسخة في المتحف البريطاني قد حققها كل من الأساتذة الأفاضل الدكتور صالح موسى درادكة والدكتور محمد عبد القادر خريسات وطبع الكتاب في عمّان مع مقدمة قيّمة عن بني مزيد. والمناقب المزيدية عنوان مغرٍ جداً للقارئ وللمهتم ببني مزيد لأول وهلة، لكن حقيقة الأمر ليست كذلك بما فيه الكفاية لأن أبي البقاء بن نمّا الحلّي عرض في هذا الجزء من المناقب مواضيع أخرى عن بني أسد وأخباراً عن ملوك الحيرة. إذ تحدث بدايةً عن الأنبياء، ثم عن الساسانيين وهو في هذه المعلومات أعتمد كثيراً على تاريخ أبي جعفر الطبري وقد نصّ على ذلك بصراحة. وتحدث أبو البقاء عن آل نصر وعن ملوك الحيرة ووقف على أمرئ القيس. ثم أنتقل

للحديث عن جملة من الخصائص العربية نظير: فرسان العرب، وحكام العرب، ومفاخر العرب، بعدها أنتقل الى موضوعٍ أخص وهو معد بن عدنان ومضر ومدركة بن الياس وخزيمة وأسد بن خزيمة. وفي الجزء الآخر يُقارن أبو البقاء بين هؤلاء الشيوخ وبين ملك العرب صدقة بن مزيد فقط. وهو أمر يدفعنا الى القول وكذلك دفع المحققان الفاضلان، الى أن أبا البقاء كان معاصراً لفترة إمارة صدقة بن منصور المزيدي، أو أنه ميّز ذكر صدقة دون الأمراء الآخرين لشهرته الواسعة في حياة الإمارة. وقد أعتمدت رأي الشيخ باقر آل محبوبة عن وفاة أبي البقاء أنها كانت في سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م.[١] ويرى الخوانساري أن وفاته كانت في جمادي الأول ٥٦٥هـ ففي هذه السنة أعدّ أبو البقاء داره في حلّة الجامعين للتدريس[٢].

وهناك رأي ثالث للأستاذين المحققين أنه عاش النصف الثاني من القرن الخامس الى النصف الثاني من القرن السادس الهجري دون أن يذكرا سنة محددة لوفاته[٣].

---

١. جعفر الشيخ باقر آل محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، ص٤٢٤. والمخطوطة ناقصة تبدأ من ورقة ١٣ الى آخرها ورقة ١٦٩. وفيها بعض الصفحات المخرومة. وفي حاشية المخطوطة يوجد كتاب آخر (مخطوط) إلا أن خطه مشوش. وقد حقق المخطوطة الأستاذان الفاضلان الدكتور صالح موسى درادكه والدكتور محمد عبد القادر خريسات وأخرجا المخطوطة بنفس العنوان. وأشارا الى أنها تمثل الجزئين ١ـ٢. [عمّان ت الأردن/ الطبعة الأولى، ١٩٨٤].

٢. روضات الجنات، ج٢، ص١٨٠.

٣. د. صالح درادكه: المناقب المزيدية (المقدمة)، ص٩.

وواقع الحال فإن العلماء المحدثين لم يذكروا شيئاً عن المناقب المزيدية وأن المرحوم الدكتور مصطفى جواد ذكر نصاً من المناقب في المستدرك الذي صنعه على كتاب المختصر المحتاج إليه لأبن الدبيثي، وأن العالمين القمي في فوائد رضوية (باللغة الفارسية) والخوانساري في روضات الجنات قد أشارا الى أبي البقاء والى أفراد آخرين من أسرة آل نمّا ودورهم العلمي. ومع أن كمية ما خصصه أبو البقاء من الروايات عن بني مزيد لا تتجاوز سوى عدد قليل جداً لا ينسجم تماماً مع حجم الكتاب (المناقب) وعنوانه لكنها قدمت فائدة تاريخية مهمة للباحث وبالأخص بشأن صدقة بن منصور، وهي معلومات معاصرة والى حدٍّ كبير شاهدة عيان عن هذا الأمير المزيدي.

وفيما عدا المناقب المزيدية الذي يبدو أن مؤلفه قد عاصر الإمارة وهي في أوج تقدمها فإننا لا نملك مصدراً آخر ينافسه في المعاصرة. والواقع أن هناك مؤلفاتٍ تاريخية عظيمة الفائدة إن وجدت، فالفترة التاريخية التي تأسست فيها الإمارة قد أنتجت مؤرخاً بغدادياً معروفاً ومن أسرةٍ علميةٍ ذائعة الصيت هو ثابت بن سنان الذي ألّف كتابه التاريخي كتتمة لتاريخ الطبري وأوصله الى سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م حسب أكثر أقوال المؤرخين[١]، وأهمية تاريخ ثابت تكمن بأن التدوين التاريخي قد شهد في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي منعطفاً متميزاً في جميع النواحي. واقعاً فإن كل ما نملك من مصادر عن هذه

---

١. ناجي، د. عبد الجبار: تاريخ مهم للمؤرخ العراقي المنسي ثابت بن سنان. المنشور في مجلة المورد، مجلد ٢/العدد ١٩٧٣/٢، ص٢٢٣ـ٢٤٥.

الفترة لا يتجاوز عدد أصابع اليد يقف تاريخ الطبري على رأس القائمة، ولكن الطبري قد أوقف تاريخه في سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م، ولحسن الحظ فإن المؤرخ والكاتب الأندلسي عريب بن سعد القرطبي (المتوفي ٣٦٩هـ/٩٧٩م) صنّف كتابه (صلة تاريخ الطبري) وقدم معلوماتٍ مهمةٍ عن الأحداث السياسية في العراق.

لقد بدأ عريب تاريخه من أحداث سنة ٢٩١هـ منتهياً الى أحداث سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م، وأعقبه تاريخاً مهماً آخر ألّفه المؤرخ محمد بن عبد الملك الهمداني (المتوفي ٥٢١هـ/١١٢٧م) بعنوان: (تكملة تاريخ الطبري) وابتدأه من أحداث سنة ٢٩٦هـ ثم أنهاه في أحداث سنة ٣٦٧هـ/٩٠٨ـ٩٧٧م. ويتضمن التكملة معلومات مفيدة ونافعة، علماً بأن المؤلف قد أنتفع كثيراً من المعلومات التي أدلى بها مسكويه في التجارب وتابعها في الأغلب، والكتاب مطبوع. إن هاتين التتمتين بطبيعة الحال لا يمكن مقارنتهما بالمادة الغنية التي قدمها تاريخ الطبري من حيث المتانة والغزارة والأسلوب. ولما كنا نتحدث عن المؤلفات الموجودة لا الضائعة لا بد من الإشارة الى مؤلف المسعودي المشهور (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وتوفي المسعودي سنة ٣٤٥هـ أو ٣٤٦هـ ويقدر أهمية مروج الذهب تاريخياً فإنه لم يدرك قيام الإمارة المزيدية شأنه شأن ثابت بن سنان أو عريب القرطبي، وأن محمد بن عبد الملك الهمداني لم يقدم في القسم المنشور شيئاً عن الإمارة لأنه أنهى تكملته بأحداث سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م. أما ما يتعلق بمؤلف أبي علي مسكويه (المتوفي

٤٢١هـ/١٠٣٠م) الموسوم: تجارب الأمم، فيعدّ كتاباً بالغ الأهمية بل فريداً لتغطيته حقبة خلافة المقتدر بالله والحقبة البويهية تغطيةً شاملةً ولا يُضاهيه أي تاريخ للفترة من خلافة المقتدر بالله الى فترة حكم عضد الدولة البويهي، لكنه لم يقدم شيئاً عن بني مزيد بالرغم من أن أول إشارة إليهم قد وردت بحدود سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م.

ومع الإستمرارية التي لحظناها في تاريخ الطبري وتتماته وتاريخ المسعودي ومسكويه فإن هناك تواريخاً في غاية الأهمية لكنها لم تصلنا لحد الآن مثلاً كتاب أبي محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني (المتوفي ٣٦٢هـ/٩٧٢م) المعروف بأنه صاحب الطبري، وذيل الفرغاني تاريخ الرسل والملوك وأطلق عليه تسمية المذيل على تاريخ الطبري[1]. وقد أشار القفطي الى أنه تاريخ يحتوي على تفصيلاتٍ تاريخية مهمة عن جوانب شتى من تاريخ العراق. وتاريخ الفرغاني ضائع، وأن الفترة التاريخية التي يغطيها لا تتعلق بتاريخ المزيديين. كما أن تاريخ ثابت بن سنان الذي يأتي ترتيبه بعد المذيل للفرغاني يصل الى الحقبة التي ظهر فيها المزيديون أول مرة لأنه ينتهي بحوادث سنة ٣٦٠هـ أو أواخر سنة ٣٦٣هـ لكن لا نملك على روايته في

---

١. ينظر عن الفرغاني: عريب القرطبي: صلة تاريخ الطبري، (ليدن، ١٨٩٧م)، ص١٥٦ـــ١٥٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، (دمشق)، ج٧، ص٢٧٧؛ F.Rosenthal: A history of Muslim Historiography (Leiden 1966) p. 82 وقد ترجمه الدكتور صالح أحمد العلي (علم التاريخ عند المسلمين) ص١١٧ـ١١٨؛ ومقالة: Farghani.al في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة بالإنجليزية) vol. 8 p. 793 by Rosenthal.

المصادر التي أقتبست من كتابه. وأن الكتاب المهم الذي غطّى الفترة البويهية هو كتاب هلال بن المحسن الصابي (المتوفي ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) فقد أوصل تاريخ ثابت بن سنان من حيث أنتهى الى سنة ٤٤٧هـ [1]. بمعنى أن هلال في تاريخه هذا عن العراق (إذ وصلنا عنوانه بأسم التاريخ) هو الذي يقدّم معلومات أساسية عن بني مزيد منذ بدء تأسيس الإمارة الى حدود سنة ٤٤٧هـ ولهلال الصابي عدّة كتب أخرى تدخل فتراتها ضمن تاريخ المزيديين أحدهما كتاب أخبار بغداد وهو كتاب ضائع فربما كان يتضمن خطط بغداد العمرانية على النسق الذي نجده في المائة صفحة الأولى من كتاب الخطيب البغدادي، أو أنه كان يتضمن أيضاً معلومات عن تاريخ بغداد السياسي وهنا لا بد أن يأتي الصابي على ذكر بني مزيد لكن لا دليل مؤكد لدينا. وله كتاب مهم آخر عن أخبار الوزير البويهي المعروف أبي محمد الحسن المهلبي المتوفي سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م، ففي زمن هذا الوزير وردت أول إشارة عن منحه حماية سورا لمزيد جدّ المزيديين سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م. إنه مجرد تخمين وذلك لعدم توافر الكتاب بين أيدينا وبسبب عدم أعتماد المؤرخين عليه أو عدم الإشارة الصريحة إليه من قبلهم فمن المُحتمل أن أبا شُجاع الروذراوري أو ممن ألّف عن الوزارة أو ابن الجوزي وسبط ابن الجوزي وياقوت الحموي قد ذكروا أخباراً، مع أنهم قد أعتمدوا عليه في ترجمة الوزير المهلبي الذي أدى دوراً مهماً خلال عهد الأمير معز الدولة

---

١. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١، ص٣٢٤ـ٣٨٥.

البويهي لكنهم أغفلوا الإشارة إليه. وهذه حالة نألف وجودها عند ابن الجوزي وابن الأثير بما له علاقة بعدم ذكرهما تواريخ ثابت بن سنان والصابي.

أما بخصوص تاريخ الصابي فإنه حسب أوصاف المؤرخين والعلماء كتاب مهم. والمعروف أن تاريخه يعدّ تاريخاً معاصراً للأحداث السياسية والإدارية والإجتماعية والإقتصادية والعلمية لإهتمامه بأمور الفلك والطب والعلوم الأخرى. يُضاف الى ذلك كون الصابي قريب جداً من الوثائق في ديوان الإنشاء الذي كان يعمل به وربما الوثائق التي ترد السلطة المركزية بأعتباره كاتباً قديراً. ولهذا السبب أيضاً ربما طوّر علاقات وثيقة جداً بالإداريين الكبار العاملين مع البويهيين بل ربما مع الأمراء البويهيين أنفسهم. والدليل على أهمية (تاريخ) الصابي أنه يقع في أربعين مجلداً تغطي جميع الفترة المذكورة آنفاً. ولسوء الحظ فإن هذه الأربعين مجلداً قد فقدت أو ضاعت أو أتلفت ولم يبق إلا أخباراً للأحداث التي وقعت خلال أربع سنوات فقط من سنة ٣٨٩ـ٣٩٣هـ/٩٩٨ـ١٠٠١م وقد ألحقت هذه الأحداث بتاريخ أبي شجاع الروذراوري أو بجزء من تاريخ هذا الوزير المشهور الموسوم (ذيل تجارب الأمم)[١]. مع أعتقادي أن هذه الأحداث للأربع سنوات التي بقيت سالمة ربما تمثل جزءاً من أصل الأحداث في صيغتها الأصلية لا جميعها، إذ أن تاريخ الصابي قد وصف بأنه تاريخ مفصل كثيراً.

---

١. ذيل تجارب الأمم، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م.

فالخسارة التاريخية لفقدان هذه المؤلفات هي خسارة كبيرة لتاريخ العراق من سنة ٢٩٥هـ الى سنة ٤٧٠هـ إذا ما أضفنا ابن الصابي محمد المعروف بغرس النعمة الذي ذيّل على كتاب أبيه (تاريخ الصابي). ويعرض جمال الدين القفطي تفصيلاً رائعاً لما نحن بصدده إذ أنه يسجل تسلسل هذه التواريخ التي فقدت الآن بعين مؤرخ دقيق ويوصلها الى العقد الأول من القرن السابع الهجري، والقفطي توفي في سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م. ولأهمية عرض القفطي وروعته سوف ننص على أقتباسه وهو يبتدأ بتاريخ الطبري وتاريخ ثابت بن سنان، يقول: "وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب وهو من سنة نيف وتسعين وستين وثلثمائة وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن بن إبراهيم ولولاهما لجهل شيء كثير من التاريخ في المدتين [فما بال القفطي رحمه الله ونحن الآن نجهل هذه التواريخ وغيرها؟] وإذا أردت التاريخ متصلاً جميلاً فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري رضي الله عنه فإنه من أول العالم والى سنة تسع وثلثمائة [نلاحظ أهمية هذا التحديد التاريخي للفترة التي غطاها تاريخ الطبري فالمتوافر من التاريخ ينتهي في سنة ٣٠٢هـ وليس ٣٠٩هـ وهو أمر مثير ويثير التساؤل فيما إذا كان القفطي قد أخطأ القول أو أن الناسخ وقع في الخطأ أم أن تاريخ الطبري قد أنتهى فعلاً واصلاً في سنة ٣٠٩هـ أي قبل وفاته بسنة أم ربما هناك أكثر من نسخة من تاريخ الطبري وأن النسخة الموجودة ناقصة بينما أعتمد القفطي على نسخة جديدة أوصلها الطبري الى

سنة ٣٠٩هـ والله أعلم] ومتى شئت أن تقرن كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله [المقصود هنا آل طيفور أحمد وعبيد الله وهما قد صنفا كتاباً في مجلدات عن بغداد لا يُضاهيه كتاب آخر وكان مرتباً حسب الخلفاء العباسيين وقد أصدر بيت الحكمة كتاباً بعنوان (تاريخ بغداد) لأبن طيفور جمعت فيه الباحثة التي أعدت الدراسة الإقتباسات الواردة في المؤلفات التاريخية والأدبية][1].

فنعم ما تفعل لأنهما بالغا في ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأتِ به الطبري بمفرده وهما في الأنتهاء قريبا المدة، والطبري أزيد منهما قليلاً. ثم يتلوه كتاب ثابت فإنه يُداخل الطبري في بعض السنين ويبلغ الى بعض سنة ثلاث وستين وثلثمائة. فإن قرنت به كتاب الفرغاني الذي ذيّل به كتاب الطبري فنعم الفعل تفعله فإن في كتاب الفرغاني بسطاً أكثر من كتاب ثابت في بعض الأماكن. ثم كتاب هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي فإنه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه الى سنة سبع وأربعين وأربعمائة. ولم يتعرض أحد في مدته الى ما تعرض له من أحكام الأمور والإطلاع على أسرار الدول وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كاتب الإنشاء ويعلم الوقائع وتولى هو الإنشاء أيضاً فإستعان بعلم الأخبار الواردة على جمعه. ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال وهو كتاب حسن الى بعد سنة سبعين وأربعمائة بقليل وقصر في آخر الكتاب لمانع منعه الله أعلم به. ثم

---

١. عبد الحميد، د. سلمى.

داخله ابن الهمداني وتممه الى بعض سنة أثنتي عشرة وخمسمائة. وكمل عليه أبو الحسن الزاغوني فأتى بما لا يُشفي الغليل إذ لم يكن ذلك من صناعته فأوصله الى سنة سبع وعشرين. ثم كمّل عليه العفيف صدقة الحداد الى سنة نيف وسبعين وخمسمائة. ثم كمل عليه ابن الجوزي الى بعد سنة ثمانين. ثم كمل عليه ابن القادس الى سنة ست عشرة وستمائة"[1].

لذلك ـ وكما ألمحنا ـ أن فقدان هذه السلسلة المتواصلة من تاريخ العراق في القرون الرابعة والخامسة والسادسة أدى الى ضياع فقراتٍ مهمة جداً من تاريخ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حيث ولادة الإمارة المزيدية. ولما كانت ولادتها لها علاقة بالمؤسسة السياسية والإدارية العباسية، وأقصد الخلافة والدولة البويهية والسلجوقية ووزارة البويهيين، فعلينا أن نتخيل حجم ومقدار وأهمية المعلومات التي ضاعت. والمؤسف أن ابن الجوزي في المنتظم لا يحتوي على تفصيلاتٍ تاريخية وبخاصة خلال السنوات الأخيرة. مع أنه كان مطلعاً على هذه التواريخ ولاسيما تواريخ ثابت والصابي وغرس النعمة. فضلاً عن أن ابن الجوزي وابن الأثير وهما يعتمدان أو ينقلان من هذه التواريخ الضائعة، لم يصرحا بتسمية تواريخها الأمر الذي خلّف صعوبةً في معرفة مصدر معلوماتها ولولا توافر مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي [المفصّل منه] لما عرفنا حقيقة منهجية كل من ثابت والصابي وغرس النعمة

---

١. القفطي، جمال الدين أبي الحسن: كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، (بيروت: دار الآثار)، ص٧٧ـ٧٨.

أو أهمية المعلومات التي ضمنوها تواريخهم. ومع وجود هذه الإشكالية فإنه من حسن الحظ القول أن عدداً من المؤرخين الذين أعتمدوا إعتماداً مباشراً وكثيراً على هذه التواريخ الضائعة قد أدت خدمةً علميةً لا تقدر، وبالأخص ما دوّنه سبط ابن الجوزي في النسخة التي لم تحقق من مرآة الزمان في أسطنبول، ولعل من الصحيح القول بأن الأستاذ علي سويم قد حقق نسخة مختصرة[1] من المرآة تمثل جزءاً من تاريخ السلاجقة في العراق. وحققت جنان جليل الهموندي ما يتعلق بالفترة البويهية معتمدةً على نسخة مصورة للمرآة في المتحف البريطاني[2]. وقد أعتمدت في دراساتي على النسخة المطولة المهمة جداً للمرآة في أسطنبول التي تحتوي على معلوماتٍ قيّمة أقتبسها سبط ابن الجوزي من تواريخ ثابت والصابي والفرغاني.

أما المنتظم لأبن الجوزي البغدادي الحنبلي (٥١٠ـ٥٩٧هـ/١١١٦ـ١٢٠٠م) فقد عاصر مؤلفه بعض الحوادث السياسية المتأخرة بين بني مزيد وسلطة بغداد. وعاش قريباً منها. ولا يُستبعد أنه أخذ معلوماته ممن لهم علاقة بالحوادث وممن شاهدها، ومعلوماته عنهم مهمة، لكنها قليلة إذا ما قورنت بتلك الأخبار عن الخليفة والسلطان. فهو يقدم لنا معلوماتٍ عن بني مزيد في إطار علاقتهم بسلطة بغداد. كما أن لمعلوماته

١. مرآة الزمان.

٢. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسب ابن الجوزي: (تحقيق: جنان جليل محمد الهموندي/ بغداد، ١٩٩٠م).

أهميـة في الـسياسة والحـروب والإدارة والعلاقـة بـين المزيـديين والـسلطة المركزية. وابن الجوزي يمثل وجهة نظر السلطة في بغداد، ولا يخفى تحيزه ضد المزيديين. إلا أنه مع كل هذا يعدّ من أهم المصادر الـتي أعتمـدتُ عليهـا في البحث. وهناك أكثر من دليل على أنه أعتمد إعتماداً كثيراً على تاريخ ثابت وتاريخ الصابي[١].

وقد عرض ابن الأثير (توفي ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) في كتابه الكامل في التاريخ معلوماتٍ قيّمة عن الأمور الـسياسية والعـسكرية والإداريـة وعـن مـواطن القبائل العربية في العراق وعلاقتهم ببني مزيد. غير أن ابن الأثير لم يـشر الى المصادر التي أستقى منها معلوماته، وفي الكثير منها نجد تشابهاً مع المعلومات التي يقدمها ابن الجوزي، وخاصةً في الروايات القصيرة فـإن التـشابه يكـاد يكون حرفياً. ولهذا فمن المُحتمل جداً أن يكون ابن الأثير قد أعتمـد علـى ابن الجوزي، أو أنهما أعتمدا على مصادر واحدة كتاريخ ثابـت بـن سـنان، والفرغاني، وهلال بن المحسن الصابي. وفي الوقت ذاته فإن ابن الأثـير يـورد تفصيلاتٍ لم يذكرها ابن الجوزي، مثلاً في قتل صدقة بن مزيد سنة ٥٠١هـ وابن الأثير هو الآخر قد نقل معلوماتٍ كثيرة عن بني مزيد أو تاريخ العراق من تاريخ ثابت وتاريخ الصابي.

---

١. ينظر: ناجي، د. عبد الجبار: (تـاريخ مهـم)، ص٢٤٠ــ٢٤١؛ البهـادلي، د. حـسين: هـلال بـن المحسن الصابي ومنهجه في كتابة التاريخ، في مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، عدد١٨/ ٢٠٠٦، ص١٧٥ـ١٧٦.

إن كلاً من ابن الجوزي وابن الأثير، عنى بما له علاقة مباشرة بالسلطة. كما أنهما ركزا إهتمامهما بالناحية السياسية والحروب فأسهبا فيها دون الإهتمام بالنواحي العمرانية أو بالأمور الإقتصادية أو الإدارية أو الجيش، حيث لا يذكران ذلك إلا عرضاً. لهذا كانا من أوسع المصادر التي أعتمدت عليها في النواحي السياسية، والحروب، وعلاقة المزيديين بسلطة بغداد.

وفي كتاب مرآة الزمان لمؤلفه سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) وخاصةً المخطوط الذي يوجد في أسطنبول[١] مادة غنية جداً. وأما المادة الموجودة في القسم المطبوع فإنها مختصرة كثيراً وهي تكرار لما جاء عند جده ابن الجوزي. سبط ابن الجوزي يصرح في القسم المخطوط عن مصادره فيذكر أن أهمها تاريخ ثابت ابن سنان، وتاريخ الصابي، وتاريخ ابنه غرس النعمة، وهذه التواريخ مع الأسف مفقودة.

أما أبو الفداء في المختصر في أخبار البشر، وابن الوردي في كتاب تتمة المختصر فقد تابعا ابن الأثير بصورةٍ عامة. كما فعل ذلك ابن العبري في كتابه مختصر الدول. أما المعلومات التي جاءت في مخطوطة المسجد المسبوك المنسوبة الى علي بن الحسن الخزرجي الأنصاري[٢]، فإنها تمثل فترة متأخرة،

---

١. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان (مخطوطة في مكتبة أحمد الثالث)، رقم: No. 2907 c. حقق علي سويم القسم الخاص بالسلاجقة وقد أعتمدت هذا القسم المحقق أيضاً.

٢. المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك للملك الأشرف الغساني (بغداد: دار البيان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). وحقق الدكتور شاكر محمود عبد المنعم الجزء الثاني وأفصح في دراسته في أن ينسب المسجد الى الملك الأشرف الغساني وليس للخزرجي.

وقد أعتمد في أخبار العراق، وخاصة المتعلقة ببني مزيد، على ابن الجوزي وبعد فترة ابن الجوزي أخذ أكثر الأخبار عن ابن الأثير.

مما تقدم يظهر أن ما أوردته المصادر السابقة عن الدولة المزيدية هي مختصرات لأبن الجوزي وابن الأثير، فقد تابعتهما في المادة والأسلوب، ولكن رواياتهم مركزة وواضحة من غير إسهاب أو تطويل. وبذلك فإنها أفادت في تثبيت الصفة العامة للرواية التي يفصل فيها ابن الجوزي وابن الأثير كثيراً. إن معلومات هذه الكتب مرتبة على السنين، فهي تحدد زمن الحوادث وتعاقبها.

أما ابن خلدون فإنه ردد ما أورده ابن الأثير، إلا أنه أتبع أسلوباً جديداً في كتابته حيث جمع الروايات الخاصة ببني مزيد، وجعلها موضوعاً خاصاً متسلسلاً دون أتباع نظام السنين فهو من جهة يقدم للقارئ فكرة عامة عن الموضوع، ولكنه لا يذكر متى حدث ذلك، لذا فإنه يُتعب القارئ في التفتيش عن سنة الحادثة. وهو أيضاً يهتم بالنواحي السياسية بالدرجة الأولى، وقد خصص فصولاً طويلة عن القبائل أفادتنا كثيراً.

ومن الكتب عن الدولة السلجوقية، أخبار الدولة السلجوقية للحسني (المتوفي ٦٢٤هـ/١٢٢٦م)، وكتاب دولة آل سلجوق للبنداري (المتوفي ٦٤٣هـ/١٢٤٥م). وقد أشارا الى بني مزيد إشاراتٍ عرضيّةٍ مهمة. وقد ردد البنداري ما جاء به الحسيني، ونقل عنه في بعض المواضع حرفياً. وهذان الكتابان من المراجع الرئيسية والمهمة في موضوع السلاجقة، وفيها معلومات

مهمة، ولكنها قليلة وعرضية والتي لها علاقة بالسلطان مع الأمير المزيدي. وقد أخذ الحسيني بعض معلوماته من ابن الجوزي وابن الأثير، ولكنه أضاف إليها وخالفها أحياناً.

وقد ذكر ابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) في ذيل تاريخ دمشق بعض الروايات العراقية، والظاهر أنه أخذها من العراقيين القادمين الى الشام. وفي بعض رواياته أختلاف عمّا ذكره المؤرخون العراقيون. غير أن المعلومات التي قدمها ـ عن بني مزيد بصورةٍ خاصة ـ قليلة إلا في علاقة المزيديين بالشام، وفي بيان توزيع القبائل العربية في تلك المنطقة. وابن القلانسي أعتمد عليه ابن العديم في زبدة الحلب، وخاصةً في موضوع أعتقال دبيس بن صدقة في دمشق سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م[١] وكذلك سبط ابن الجوزي في رواياته عن الشام، وخاصةً في خبر أسر دبيس عندما كان ذاهباً الى قلعة صرخد[٢]. كما أن ابن العديم أعتمد على كتاب ابن الجوزي خاصةً في الروايات العراقية.

أما ابن واصل (ت ٦٩٧هـ) في كتابه مفرج الكروب، فقد أعتمد على ابن الأثير، ويظهر هذا في قصة أسر دبيس وحمله الى صاحب دمشق سنة ٥٢٥هـ حيث نقلها حرفياً[٣]. ورواياته عن بني مزيد أيضاً قليلة وعرضية وأوسع معلوماته كانت عن دبيس بن صدقة، وخاصةً عند ذهابه الى الشام.

---

١. ابن القلانسي: ذيل دمشق، ص٢٥١؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ج٢، ص٢٤٨.

٢. ابن القلانسي: ص٢٣١؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ص١٣٦.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٤؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٤٤ـ٤٥.

أما الأمور الإدارية والأمور الخاصة بالشؤون العسكرية، فليس فيها كتاب جامع أو مخصص، ولكن توجد عنها إشارات في كتب التاريخ مثل ابن الجوزي وابن الأثير وأبي الفداء وابن كثير. ولهذه الإشارات قيمة هامة في تلك الأمور، حيث أمدتنا بنصوص ومعلومات طريفة.

قدمت كتب التراجم معلومات تاريخية وعسكرية وإدارية، فضلاً عن مادتها الأدبية وأهمها معجم الأدباء لياقوت الحموي، ووفيات الأعيان لأبن خلكان، والوافي بالوفيات للصفدي، وشذرات الذهب لأبن العماد الحنبلي، وهؤلاء يقدمون تراجم لشخصيات متعددة وتتخلل تلك التراجم مادة تأريخية مهمة. فإبن خلكان قدّم عدّة روايات عن مقتل دبيس بن صدقة، أخذها عن بعض الكتب القديمة مثل تاريخ المأموني أو عن تاريخ ابن المستوفي، وهذه الكتب غير موجودة الآن، وأغلب الظن أنها أقدم من فترة ابن خلكان. غير أن المادة التاريخية والإدارية عند ابن خلكان قليلة جداً إذا ما قورنت بالمعلومات الأدبية، إذ أنه يُفصّل في الأشعار والشعراء المدّاحين. ثم أنه يعرض الرواية التاريخية بشكلٍ مبتور، فمثلاً يكتب نسب صدقة وترجمة حياته ثم يقول أنظر الناشري ـ أحد أنساب بني مزيد ـ دون أن يذكر هذه التكملة في بعض الأحيان. أما الصفدي فقد أتبع نفس إسلوب ابن خلكان، إلا أن تراجمه مختصرة، وقد أورد مادةً جديدةً عن بعض الأمراء المزيديين المتأخرين، الذين لا تذكرهم المصادر الأخرى مثل ترجمته لعلي بن دبيس بن صدقة سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م. وتراجمه تتضمن مادة أدبية أكثر من كونها تأريخية.

أما كتب الأنساب ففيها معلوماتٍ طيبة عن العشائر البدوية، وأهمها الأنساب لأبن الكلبي الذي كان عمدة من كتب عن النسب. فهو في كتابته عن نسب أية قبيلة يذكر القبيلة الأم ثم بطونها. مع ذكر عدّة أشخاص ينتمون للقبيلة أو البطن ممن يشتهرون بالشعر أو الشجاعة أو ممن تسلموا بعض الوظائف. وقد نقل معظمه ابن حزم في جمهرة الأنساب مع حذف كثير من الأشياء المهمة كحذفه بطون بني خفاجة الإحدى عشرة التي ذكرها ابن الكلبي. أما ابن دريد فقد بحث في كتابه الإشتقاق أنساب العرب، إلا أنه لم يأتِ بمثل التفصيلات التي جاء بها ابن حزم والتي كانت مادة رئيسية لشجرات أنساب القبائل المختلفة. والسمعاني في الأنساب أستمد أكثر معلوماته عن ابن الكلبي مع إضافة ذكر بعض المشهورين من رجال القبائل الى زمانه. وقد لخص ابن الأثير في اللباب ما أورده السمعاني مع بعض الإضافات. وفي المجلد الثاني والسادس من تاريخ ابن خلدون مادة كثيرة عن القبائل وأنسابها. وقد نقل القلقشندي عن ابن خلدون أكثر معلوماته في الأنساب في كتبه نهاية الإرب وصبح الأعشى وقلائد الجمان، وكذلك السويدي في سبائك الذهب. وفي نهاية الإرب للنويري بعض الروايات المستمدة من ابن الكلبي بالإضافة الى المعلومات التي أخذها من مصادر أخرى. من كل هذا يظهر أن ابن الكلبي كان المصدر الرئيسي الذي أعتمدت عليه أغلب كتب الأنساب. كما أنه ينبغي أن لا ننسى بأن بعض تلك الكتب أمتازت عن كتاب ابن الكلبي، في أنها جامعة لعدّة أنساب، فضلاً عن

إهتمامها بمواضيع أخرى غير النسب. أما الكتب التي أختصت بالأنساب رددت، على الأغلب ما أورده ابن الكلبي.

أما عن أماكن سكنى القبائل في الجزيرة العربية، فأخص بالذكر الأصمعي عند ياقوت وما قدمه لغده في مخطوطة عن أماكن القبائل في الجزيرة العربية، وفيه عدد كثير من الأسماء تتفق وما أورده الأصمعي. وقد ذكر عرام في جبال تهامة بعض الأمكنة أيضاً. وفي كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني وصف لأماكن سكنى بعض القبائل. كما يوجد في كتابي النقائض لأبي عبيدة والأغاني لأبي الفرج ذكر لأيام العرب في الجاهلية وبعض مواطنها. غير أن هذه المعلومات تتعلق بالفترة الأولى من الإسلام، وليس من المحتم أنها بقيت على حالتها حتى القرن الخامس الهجري كما أنها تهتم بالجزيرة العربية.

وفي توزيع مناطق سكنى القبائل في المناطق الأخرى غير الجزيرة العربية، أعتمدت على كتب مختلفة. أهمها أنساب الأشراف وفتوح البلدان للبلاذري والبلدان لليعقوبي، وتاريخ الأمم والملوك للطبري غير أنها معلومات قليلة، وفي ثنايا الروايات التاريخية. وفي تجارب الأمم لمسكويه، وتكملة الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمداني روايات فردية إلا أنها قيّمة عن توزيع القبائل.

وقد ذكر ابن الأثير روايات كثيرة عن قبائل مختلفة، وأغلب رواياته تمثل القرن الرابع والخامس والسادس، مثلاً عن بني عقيل في الشام والعراق، وعن بني خفاجة في الشام والعراق، وعن بني المنتفق في العراق وغيرها من القبائل. كل هذا في ثنايا بحثه عن الحوادث التاريخية والسياسية. ولهذا أهمية أخرى إذ يظهر فعاليات القبيلة من الناحية السياسية، فضلاً عن تحديد موقعها.

وفي زبدة الحلب لأبن العديم معلوماتٍ تبين مواطن القبائل في الشام والجزيرة تمثل القرن الرابع والخامس الهجري، ولتلك المعلومات أهمية بارزة، لأن المؤلف من أهل هذه المنطقة. غير أنها روايات فردية وقليلة وتوجد في ثنايا الروايات التاريخية أيضاً.

أما المؤلفات البلدانية والجغرافية فإن فيها معلوماتٍ قيّمة عن أنهار منطقة الفرات الأوسط، ونوع تربتها، والحاصلات الزراعية فيها، والأمور الإقتصادية والإجتماعية الأخرى. وأهمها كتاب مختصر البلدان لأبن الفقيه، والبلدان لليعقوبي، وعجائب الأقاليم لسهراب، والجزء الأول من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. إن المادة التي قدمها أولئك الجغرافيون هي الأساس لمعرفة أتجاه وأسماء الأنهار خلال فترات زمنية مختلفة. وقد فصّل سهراب في أنهار المنطقة والمدن التي تمر بها هذه الأنهار. وكانت إشارات الخطيب لتلك الأنهار عرضية أقل من أهتمامه بأنهار بغداد. ولكننا لا نعلم هل أن سهراب درس هذه الأنهار ولاحظها بصورةٍ عملية، أم أنه أخذ المعلومات من أوصاف الناس لها؟ كما أن أغلب الكتب التي بين أيدينا تمثل القرن الرابع، أي قبل عهد بني مزيد، لذلك لا نعلم هل أن تلك الأوصاف بقيت على حالها أم تغيرت؟

وللمسعودي مكانة خاصة، حيث قدم أوصافاً ومعلوماتٍ طريفة، وبعضها لم يسبقه فيه أحد. كما أنه أمدنا بمعلوماتٍ طيبة في موضوع القبائل وفي الناحية الإقتصادية.

وقد قدم ابن خرداذبة مادةً جيدة عن الأنهار، والمنتوجات الزراعية، وتوزيع زراعتها على مدن المنطقة. وقد نقل قدامة معلومات ابن خرداذبة حرفياً، وأضاف بعض الإضافات الأخرى.

وقدّم ابن رستة في كتابه الأعلاق النفيسة معلوماتٍ مهمة ودقيقة عن أبعاد الطريق من بغداد الى الكوفة. أما المقدسي فيعتبر الجغرافي الأول إذ قدم في أحسن التقاسيم معلوماتٍ إدارية وإقتصادية عن المدن في منطقة الفرات الأوسط، رغم أستعماله إصطلاحاتٍ غير واضحة في هذا الموضوع، كما أنه وصف طريق الحجّاج. أما ياقوت الحموي في معجم البلدان فقد أفادنا في وصف الأنهار والمدن، والقرى المحيطة بالمدن ـ كالحلّة والنيل وبابل ـ ولا يُستبعد أنه زار المنطقة، أو أخذها من بعض الكتب، أو من أقوال المسافرين. غير أن ياقوت في كثيرٍ من الروايات الجغرافية المهمة لا يذكر إسنادها، مما يؤدي بنا الى التساؤل فيما إذا كانت موجودة في زمنه أو قبل ذلك؟ وقد ردد صاحب مراصد الإطلاع ما قاله ياقوت بأختصار. وأعتمد على ياقوت أيضاً أبو الفداء في كتاب تقويم البلدان، وأخذ أكثر معلوماته من كتاب المشترك لياقوت.

أما العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) فقد أورد في مسالك الأبصار روايةً طريفة عن وصف نهر الفرات. أما شيخ الربوة الدمشقي في كتاب نخبة الدهر فأغلب أوصافه غامضة، وفيها كثير من الخطأ وعدم الأهتمام بجغرافية العراق، وخاصةً بالنسبة للأنهار. والظاهر أن لكتابه أهميةً في جغرافية الشام أكثر من جغرافية العراق.

وفي كتب الرحلات مادة غنية، من حيث وصف المدن التي تقع في طريق رحلاتهم، وقد تطرق بعضهم الى وصف أسواق تلك المدن وجسورها - إن وجدت - وصناعاتها. ومن أبرزهم بنيامين التطيلي، الذي هدف من وراء رحلته إبراز عدد أماكن اليهود في المدن العراقية والإسلامية. ولا شك أنه يبالغ في كلامه عن اليهود، ويحاول إبراز أهميتهم وكبر حجمهم السكاني. أما ابن جبير، في القرن السادس، وابن بطوطة، في القرن السابع، فقد قدما معلومات دقيقة وواضحة عن مدينة الحلّة، التي كانت تقع على طريق الحج.

وفي الكتب الأدبية مادة غير قليلة، ويمكن تصنيفها الى نوعين، الكتب التي لها طابع تاريخي، والتي قدمت لنا بعض المعلومات عن صفات أمراء بني مزيد والشعراء الذين مدحوهم، كديوان مهيار الديلمي، وأرجوزة الصادح والباغم التي ألفها ابن الهبارية للأمير صدقة المزيدي، وكتاب خريدة القصر للعماد الأصبهاني، وديوان الأبيوردي. والأبيوردي ذهب الى الحلّة وأكرمه الأمير صدقة. وديوان المؤيد في الدين الوزير الفاطمي وقد جاء المؤيد الى الشام وأتصل بالبساسيري، وقد قدّم معلومات تاريخية عن موقف دبيس بن علي بن مزيد والبساسيري من الخليفة الفاطمي، فهو من المصادر المعاصرة لهذه الحوادث[1]. ومن نقائض هذه الكتب أنها تكتب المديح للحصول على المال بالدرجة الأولى، لذا فإنها تُظهر الجانب الإيجابي كالكرم والشجاعة والمروءة بينما تترك بعض الجوانب السياسية التي تهمنا أكثر من تلك الصفات.

---

١. عن قيمة كتاب المؤيد في الدين أنظر: Husain F. al Hamdani: 'The history of the Isma'ili Da'wa and its literature during the last phase of the Fatimid Einpire' in JRAS (1932) p. 13.

والنوع الثاني هو الكتب الأدبية التي أمدتنا ببعض المعلومات الإقتصادية، مثلاً عن أنواع المزروعات والفواكه والحبوب الموجودة في بعض مدن الفرات الأوسط. وأخصّ بالذكر الدلائل والإعتبار للجاحظ، وعيون الأخبار لأبن قتيبة الدينوري، والأغاني للأصفهاني والفرج بعد الشدة للتنوخي، والديارات للشابشتي، ولطائف المعارف للثعالبي. إلا أن هذه المصادر تمثل فترة قديمة وبعيدة عن فترة بني مزيد، لذا فإنها قدمت ما كان موجوداً من تلك الأمور في المنطقة في ذلك الزمن، كما أنها لم تكن متخصصة في البحوث الإقتصادية، فهي ذكرت تلك المواد في ثنايا بعض المواضيع الأدبية. ومن جهة أخرى فإنه لم توجد كتب إقتصادية جغرافية تناولت هذه المواضيع في الفترة المزيدية، كما لم يوجد ذكر لتلك الأمور حتى في الكتب التاريخية والأدبية المعاصرة لهذه الفترة، مما جعلنا نعتمد على تلك المصادر بأعتبارها تعطينا فكرة عامة عن تلك المواضيع.

وأخيراً لا بدّ من الإشارة الى بعض القواميس العربية، التي أفادتنا في بيان أماكن سكنى القبائل في الجزيرة العربية، كما أوضحت معاني بعض الإصطلاحات الإدارية والزراعية كالدهقان والكورة، ومنها الصحاح للجوهري، ولسان العرب لأبن منظور، وتاج العروس للزبيدي. ولكن هذه المصادر تقدم تعاريف قديمة، فمثلاً ابن منظور ينقل بعض ما جاء في الصحاح دون أن نعرف هل أن مثل ذلك التفسير ظلّ مستعملاً الى فترةٍ متأخرة أم أن أستعماله قد أندثر؟

الفصل الثاني

بنو مزيد (بنو أسد) والقبائل العربية في الفرات الأوسط

توزيع جغرافي للقبائل العربية

لقد كان العراق منذ أزمنةٍ قديمة جداً موطناً تهاجر إليه القبائل العربية، فقد هاجر عند الفتح الإسلامي عدد كبير من مختلف عشائر الجزيرة العربية، وأستوطن أغلبهم الأمصار الإسلامية ثم تحضروا[1]. وضعفت صلتهم بالحياة البدوية الصحراوية، وبالبدو الذين كانوا ينتقلون في الصحراء أو في أطراف الأمصار. بينما ظلت قبائل عربية أخرى تستوطن الريف والبادية في العراق، ولم تتأثر بالنظم الحضرية السائدة فيها. ففي فترة الفتح الإسلامي كانت أكثر

---

١. أستوطن البصرة والكوفة عدد من القبائل، لكل منها خطة معلومة. أنظر: صالح العلي: التنظيمات الإجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، الفصل الأول؛ ماسنيون: خطط الكوفة، ص١٠، ١١.

عشائر بكر وبطونها مقيمة في أطـراف العـراق الغربيـة، وأطـراف البحـرين واليمامة والأُبلة[١]. وكانت هذه القبائل تُغير على المناطق المجاورة لها، والتابعة للساسانيين مما أدى الى إصطدام الملوك الفرس بها[٢]. وفي القرن الثاني للهجرة ورد ذكر أستيطان خفاجـة في أطـراف رصـافة هـشام[٣] وفي القـرن الثالـث الهجري ذكرت الأخبار ما يُظهر سكنى أعـراب بـني أسـد وطـئ وتمـيم في أطراف الكوفة[٤]. وكما كان يسكن بين البصرة والكوفة جماعة مـن بـني تمـيم وبني أسد[٥]. وفي سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م ذُكر بنو أسد في نواحي عين التمر[٦]. لقد كان أهل هذه القبائل بدو حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم البدويـة، دون أن تؤثر فيهم الحياة المدنية. وقد لعبوا دوراً كبيراً في الحياة الـسياسية في العـراق في القرون الأخيرة إذ سيطر بعض تلك القبائـل علـى أقسام مـن المنـاطق الخصبة في العراق، كما فعل بنو عقيل وبنو مزيد مثلاً، بينمـا أستمر الـبعض الآخر منتهجاً حياة التنقل والرعي كما كانت تفعل خفاجة.

---

١. البلاذري: فتوح، ص٧٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مجلـد١، ص١٩٥٨؛ دائـرة المعـارف الإسلامية: الترجمة العربية،ينظر أيـضاً مقالـة (Bakr) in E.I. (2) دائـرة المعـارف الإسـلامية، الطبعة الجديدة، بقلم: ج٤، ص٤١؛ صالح العلي: التنظيمات، ص٢٣.

٢. الطبري: م١، ص١٠٢٩-١٠٣٢.

٣. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٧٨٥. عن الأصمعي.

٤. الطبري: مجلد٣، ص١٦١٧، ٢٢١٧.

٥. الطبري: مجلد٣، ص١٨٥٠ (سنة٢٥٧هجرية).

٦. نفس المصدر: مجلد٣، ص٢٢٥٩.

ومما يجدر ذكره أن القبائل العربية التي أتخذت منطقة الفرات الأوسط المنطقة الرئيسة لتحركاتها ونشاطاتها السياسية والإجتماعية كانت من الشيعة الإمامية.

وفي هذا الفصل سوف نستعرض طرق مهاجرة القبائل العربية عبر التاريخ وسُكناها في منطقة الفرات الأوسط والمناطق القريبة الأخرى، ولاسيما تلك القبائل التي ذكر لها علاقة ببني مزيد.

بنو شيبان[١]

كان لبني شيبان عدّة بطون[٢]. ولها في الجزيرة العربية بعض المواقع والمياه[٣]. وقد شاركت قبيلة بكر وشيبان في الفتوح الإسلامية والثورات والحركات التي حدثت في القرن الأول للهجرة[٤]. وكان من مساكنهم في العراق في هذه

١. عن أنسابهم أنظر: ابن دريد: الأشتقاق، ص٣٧٢؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٢١؛ السمعاني: الأنساب، ص٣٤٣أ؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، ص٣٦؛ ابن خلدون: م٢، ص٦٢٥؛ القلقشندي: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، ص٣٠٩؛ صبح الأعشى، ج١، ص٣٣٨؛ النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، ج٢، ص٣٣٢ـ٣٣٣؛ ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤٩٥. ومقالة (Shayban) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/ بالإنجليزية) بقلم الأستاذ: Th. Bianquis.

٢. أنظر: ابن دريد، ص٣٢١، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٧٢؛ النويري: نهاية الإرب، ج٢، ص٣٣٢ـ٣٣٣؛ القلقشندي: نهاية الإرب، ص٣٠٩؛ صبح الأعشى، ج١، ص٣٣٨.

٣. أنظر: الأصفهاني: الأغاني، ج١١، ص٤٤؛ البكري: معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٣، ص١٠٤٩، ج٤، ص١١١٠، ١٢٢٩، ١٣٦٢.

٤. البلاذري: فتوح، ص٢٤١؛ الطبري: م١، ص١٩٦١، ٢٠١٨، ٣١٣١، م٢، ص٤٣٥، ٤٦١، ٤٦٤، ٦٨٣، م٣، ص١٥٩٩، ١٩٢١، ١٩٢٢، ٢١٣٦، ٢١٣٧؛ صالح العلي: التنظيمات، ص٣١.

الفترة منطقة ذي قار[١]، التي تقع بين الكوفة وواسط[٢] وسكنوا البصرة وكان ماء سفوان عند جبل سنام لهم[٣].

وفي العصر العباسي الأول أدى بنو شيبان دوراً مهماً فقد أنضم بعضهم الى الخوارج، كما أيدوا ثورة أبي السرايا[٤]. وحاربهم المعتضد في سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م[٥]، وأغاروا على الأنبار سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م فنهبوها[٦]، كما هاجموا الخارجين من بغداد في تلك السنة[٧]. ومن مناطق سكناهم في القرنين الثاني والثالث الهجريين الأنبار[٨]، وشهرزور[٩]. وتعدّ الجزيرة الفراتية[١٠] من المراكز المهمة في سكنى بني شيبان. فقد كان بنو ذهل يسكنونها[١١]، وسكنوا الموصل[١٢]. أما تحديد ابن خلدون الذي يُفيد بأن لبني شيبان كثرةً في صدر

١. الأغاني، ج٢، ص١٥؛ الطبري: م١، ص١٠٢٨.

٢. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٠.

٣. ابن دريد: ص١٥٤؛ البكري: ج٣، ص٧٤٠؛ القلقشندي: قلائد الجمان، ص٦٩.

٤. الطبري: م٣، ص٢١٣٦.

٥. ابن خلدون: م٣، ص٥١٥.

٦. الطبري: م٣، ص٢١٨٨.

٧. ابن الأثير: ج٩، ص٣٤٢.

٨. الطبري: م٣، ص٢١٨٩.

٩. ابن خلدون: م٤، ص٩٦٨.

١٠. التي تقع بين الموصل والشام وسنشير إليها بالجزيرة تمييزاً عن جزيرة العرب.

١١. البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٣١٨؛ الطبري: م٣، ص٢١٣٦؛ ابن خلدون: م٣، ص٥١٥.

١٢. ابن خلدون: م٤، ص٧٠٧، ٧٢٦.

الإسلام وفي شرقي دجلة من جهات الموصل"[١] فهو غامض والأرجح أنه يريد القول بأنهم كانوا في الجزيرة غرب الموصل. وسكنوا أيضاً مدينة الرحبة سنة ٥٠٠هـ[٢] وفي مدينة الرقة[٣]. إن كل ما وصلنا من معلوماتٍ عن علاقة بني شيبان ببني مزيد في سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م هو أشتراكهم مع صدقة بن مزيد في حربه ضد الخليفة[٤]. ويعني هذا أنهم كانوا يسكنون بالقرب من الحلّة، ومن المُحتمل أن إنضمام بني شيبان للجيش كان على أساس الحصول على الغنائم والأموال، ويُحتمل كذلك أنهم أشتركوا أكثر من مرة تحت أسم الأعراب.

بنو نمير[٥]

تعتبر نمير من القبائل العربية المشهورة بلقب جمرات العرب[٦]. وكان لها عدّة بطون[٧].

---

١. نفس المصدر: م٢، ص٦٢٧؛ القلقشندي: نهاية، ص٣٠٩.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦١؛ ابن خلدون: م٥، ص٣٤٧.

٣. ابن خلدون: م٤، ص١٨٥.

٤. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٩.

٥. عن نسبهم أنظر: ابن دريد: ص٢٩٣؛ ابن حزم: ص٢٧٢؛ السمعاني: ص٥٧٠أ؛ ابن الأثير: اللباب، ج٣، ص٢٣٨؛ القلقشندي: نهاية، ص٤٣٣؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٩٤؛ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣، ص٥٨٦؛ السويدي: سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، ص٤٢. ينظر مقالة: (Numayar) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/ بالإنجليزية) بقلم: G. Levi Della Vida.

٦. ابن قتيبة: المعارف، ص٨٧؛ الجاحظ: الحيوان، ح٥، ص١٢٣.

٧. الأغاني، ح١٣، ص١٨٤، ح١٦، ص٣١٠.

كان لبني نمير في الجاهلية أيام ووقائع[١]. كما ذُكر لهم عدّة مواضع وجبال في الجزيرة العربية[٢].

وأشتهرت بعض مواضعهم مثل عيصان بوجود المعدان[٣].

وهناك بعض الأماكن التي تقع في اليمامة وتُنسب لبني نمير منها قران[٤] وقرما[٥] وأضاخ[٦] والوخراء[٧] وأجوبة[٨]، ومما يؤيد ذلك قول البكري أن بني نمير كانت من بين القبائل التي نزلت اليمامة عند مجئ الإسلام[٩]. وقد ذكرت مصادر القرن الثاني للهجرة أماكن سكناهم في اليمامة مما يدل على أنهم

---

١. الطبري: م٣، ص١٣٦١.

٢. أنظر: لغدة: ص٣٤أ؛ الأغاني، ج٨، ص١٤، ج١١، ص١٣٧؛ البكري: ج٢، ص٣٦٥، ج٣، ٧٩٦، ٩٩٨؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٨، ٩٣، ج٢، ص٢٤ــ٢٨٩، ج٣، ص٥٨ــ٢٨٥، ٣٠١، ٦٦٢، ج٤، ص٦٨، ٩٢، ١٩٢، ٦٢٨، ٦٣٩، ٩٤٨؛ ابن منظور: ج١، ص٢٠٩، ج١١، ص٧٦؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج١، ص٢١٨، ٩٩، ج٢، ص٢٩٠، ج٣، ص٣٦، ١٥٧، ١٨٠، ٣٠٨؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٢، ص٢٥١، ج٣، ص١٠ــ٢١٥، ج٧، ص٢٤٨، ج٩، ص١٥٢، ج١٠، ص٧٩.

٣. لغدة، ص٥٠أ؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٧٥٣.

٤. قران وملهم، ياقوت: ج٤، ص٦٣٨. عن السكوني.

٥. ياقوت: ج٤، ص٦٨.

٦. نفس المصدر: ج١، ص٣٠٣؛ الزبيدي: ج٢، ص٢٥١.

٧. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٩٠٩؛ الزبيدي: ج٣، ١٠.

٨. الزبيدي: ج١٠، ص٧٩.

٩. البكري:ج١، ص٩٠.

كانوا فيها آنذاك. إلا أننا لا نعرف متى تم أنتقالهم الى العراق. ومما يزيد في صعوبة الأمر، وجود بعض الروايات المتأخرة التي ذكرت بني نمير في أماكنهم القديمة، ففي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م ذكر الطبري بعض الحوادث عن بني نمير وغارتهم على الناس وعلى اليمامة[١]. وفي تلك السنة أيضاً قاتل القائد بغا الكبير جماعة منهم في الشريف وهو من مياههم[٢] وكل هذا يؤكد أن قسماً منهم ظل في الجزيرة العربية.

غير أن قسماً من بني نمير قد أنتقل الى مناطق العراق والجزيرة الفراتية[٣] فقد ذكر البلاذري أنهم كانوا في الشام قرب تدمر[٤]، وسكنوا مدينة حمص سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م [٥]. ومدينة الرها سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م [٦]. والرقة سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م [٧]. وفي حرّان سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م [٨].

---

١. الطبري: م٣، ص١٣٥٨.

٢. الطبري: م٣، ص١٣٥٨، ١٣٦٢؛ ابن خلدون: م٣، ص٥٧٥.

٣. ابن خلدون: م٢، ص٦٤٣؛ القلقشندي: نهاية، ص٤٣٣. عن ابن خلدون.

٤. البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٠٩.

٥. ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج١، ص١١٨. وذكرهم ابن الأثير بها في سنة ٥٠٢ هجرية، ج١٠، ص١٩٥.

٦. ابن الأثير: ج٩، ص١٣٠.

٧. نفس المصدر: ج٩، ص١٧٣؛ ابن خلدون: م٤، ص٥٩٧.

٨. ابن الأثير: ج١٠، ص٤٧؛ ابن خلدون: م٣، ص٩٥٦، م٤، ص٥٩٧.

إن هذه الروايات توضح سكنى بني نمير للمنطقة منذ فترةٍ قديمة. بالإضافة الى تردد ذكرهم في الشام وحلب والجزيرة الفراتية خلال القرن الخامس الهجري[١]. كما أنهم سكنوا الموصل[٢].

كذلك سكن بنو نمير أطراف البصرة في القرن الثالث الهجري[٣]. وورد ذكرهم في مدينة هيت سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م[٤]، غير أنه لم يرد ذكر على أنهم سكنوا الكوفة أو المنطقة المجاورة لها.

ليس لبني نمير دور سياسي مهم في العراق، فأقدم ما وصلنا رواية الجاحظ التي ذكرت أن جماعة منهم خرجوا على شخص يريد الذهاب الى البصرة[٥]. ثم أنهم ساعدوا أبا نصر خواشاده ـ الذي ولاه مشرف الدولة البويهي على الموصل ـ ضد باد الكردي سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م[٦]. وأنهم قتلوا أمير بني عقيل عند مدينة هيت سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م[٧]. وأشتركوا في جيش البساسيري مع دبيس بن مزيد ضد السلطان، وكانوا من أهل حرّان والرقة[٨].

---

١. ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٢٨٣، ٢٩٥، ج٢، ص٦١، ٧٨، ٨٠.
٢. ابن خلدون: م٤، ص٩٧٨.
٣. الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٣٠٤؛ السمعاني: الأنساب، ص٥٧٠أ.
٤. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١.
٥. الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٣٠٤.
٦. ابن خلدون: م٤، ص٩٧٨.
٧. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١.
٨. ابن خلدون: م٤، ص٥٩٧.

كل هذا يظهر أن بني نمير سكنوا مناطق متفرقة من العراق، غير أن دورهم السياسي مع بني مزيد ضعيف، لا يعدو أكثر من أشتراكهم مع البساسيري وابن مزيد وهؤلاء الناس كانوا من أهل حرّان والرقة. ويُحتمل أن سبب ذلك يرجع الى أنهم لم يسكنوا المنطقة التي سيطر عليها المزيديون أو تلك المناطق القريبة من الكوفة.

بنو عقيل[1]

لقد كان موطن بني عقيل في الجزيرة العربية من حيث العموم، يقع بين اليمامة واليمن والحجاز، حيث ذكرت المصادر عدداً من المواقع والمياه والوديان التي تعتبر من مساكنهم في تلك المنطقة[2].

---

١. أنظر عن نسبهم: مخطوطة الأنساب لأبن الكلبي: ص١٣١أ-ب؛ ابن دريد: ص٢٣٨؛ ابن حزم: ص٢٨٨، ٤٨٣؛ السمعاني: ص٣٩٦أ؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١٤٦. وقال ابن خلدون ونقلها عنه القلقشندي: "أن بني عقيل بطن من أسد بن خزيمة وكانت لهم إمارة بأرض العراق والجزيرة... وملوك الحلة وجهاتها" ابن خلدون: م٢، ص٦٢٢؛ القلقشندي: نهاية، ص٣٦٥؛ ولا شك أنه أخطأ في ذلك، فنسبتهم ترجع الى كعب بن عامر، وهم لم يسكنوا الحلة وإنما أسسها بنو مزيد، وإليهم عمل ابن الهبارية أرجوزته الصادح والباغم. ينظر مقالة: (Ukayl) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/بالإنجليزية) بقلم الأستاذ: H. Kinder mann.

٢. أنظر عن أماكن بني عقيل في نجد: أبا عبيدة: نقائض جرير والفرزدق، ج١، ص١٦٨، ٤٨٣، ج٢، ص٦٣٢؛ الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص١٤٠، ٢٥٣؛ البكري: ج١، ص٢٤٠، ج٢، ص٦٢٧؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٣٩٦، ٥٩١، ٦٢٢، ج٢، ص٦٦، ٢٤٠، ٣٦٣، ج٣، ص٧٨٤، ٩٠٥، ج٤، ص١٧٠، ٤٤٨، ياقوت: المشترك وصفاً والمفترق صقعاً، ص٤٣، ٥٣. ولهم بعض المواضع بين الطائف ومكة. أبو عبيدة: النقائض، ج١، ص٦٨، ج٢، ص٦٣٢؛ الهمداني: ←

ويوجد في أرض بني عقيل بعض المعادن مثل الذهب في وادي العقيق[1] ـ عقيق عقيل ـ وفي عماية[2]. وفي جبال خزبة يوجد الفضة[3]. ومن المحتمل أنهم أستغلوا هذه المعادن وعرفوها، فمما قاله لغده عن موضع خزبة أن "الناس يعيشون منها فلما كثر بها أهل اليمامة وبغوا فيها وسُفكت فيها الدماء مُسخت معادنها التي كان فيها النيل الكثير"[4].

والظاهر أن بعض بني عقيل ظلوا في مواطنهم في الجزيرة العربية حتى فترةٍ متأخرة[5]. لذلك فمن الصعب تحديد فترة أنتقالهم الى العراق ومن المُحتمل أنهم هاجروا إليه أثناء الفتح الإسلامي.

ومن بين الأماكن التي أستوطنها بنو عقيل في الفترة الإسلامية، مدينة البصرة[6]. ومدينة الكوفة[7].

← صفة، ص٤٨؛ البكري: ج٢، ص٤٤٠، ج٣، ص١٠٧٠. وفي اليمامة توجد لهم أماكن أيضاً. أنظر: الهمداني: ص١٥٣، ١٧٧؛ البكري: ج١، ص١٢٧؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٠٤، ٨٧٤، ج٣، ص٧٠١. وفي عسير الحجاز لهم بعض الأماكن أنظر: الهمداني: ص٢٧، ٨٤، ١١٨، ١٥٤.

١. الهمداني: صفة، ص١٧٧.

٢. نفس المصدر: ص١٥٣.

٣. لغده: ص٤٩ب.

٤. نفس المصدر والصفحة.

٥. أنظر: الطبري: م٣، ص١٦٤٤؛ عن بني عقيل قطعت طريق جدة، مسكويه: تجارب، ج٢، ص٢٧٥؛ محمد بن عبد الملك الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، ص٢٨٥.

٦. أنظر: السمعاني: ص٣٩٦أ؛ ياقوت: معجم الأدباء، ج٦، ص١٦؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١٤٦.

٧. أنظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٤٩؛ ابن قتيبة الدينوري: المعارف، ص٣٠٥، ٥٢٦؛ الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص٥٥.

وأستوطنت قبيلة بني عقيل الجزيرة الفراتية[١]. وكانت لهم مدينة الرقة[٢] كما سكنت مدينة كيسوم في شمال حلب[٣] ومدينة حرّان[٤] وفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م كان صاحب نصيبين من بني عقيل[٥]. وملك بنو عقيل الرحبة سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[٦] غير أننا لا نعلم متى هاجروا الى هذه الأماكن.

وكان بنو عقيل مقيمين في الشام[٧]. وهناك عدّة روايات ذكرها ابن العديم توضح أن بني عقيل كانوا يسكنون بالقرب من مدينة حمص[٨]. وكانوا في مدينة صور[٩]. وبالقرب من دمشق[١٠]. وفي حلب[١١]. كما أنهم سكنوا قرب الرملة في القرن الرابع الهجري[١٢]. ومن مناطق أستيطانهم في الجزيرة مدينة

١. ابن الأثير: ج٦، ص١١٤. (١٩٩هجري).
٢. نفس المصدر: ج٦، ص١١٠.
٣. نفس المصدر: ج٦، ص١٠٩. (سنة ١٩٨هجرية).
٤. السمعاني: ص٣٩٦أ.
٥. ابن الأثير: ج٩، ص٢٨.
٦. ابن الأثير: ج٧، ص٢٤٤.
٧. مسكويه: ج٢، ص٤٠٢؛ ابن الأثير: ج٨، ص٢٥٣.
٨. ابن العديم: زبدة، ج١، ص١١٨ (حوادث سنة ٣٣٥ هجرية).
٩. ابن خلدون: م٤، ص١٣٥.
١٠. ابن العديم: ج٢، ص٦١ (حوادث سنة ٤٧١ هجرية)، ج٢، ص٨٠ (حوادث سنة ٤٧١ هجرية).
١١. ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج١، ص٣٠٤.
١٢. ابن خلدون: م٤، ص٥٣٣ وما بعدها.

الموصل منذ زمن الحمدانيين في القرن الرابع الهجري، وقد حدثت بين الحمدانيين وبني عقيل عدّة معارك سنة ٣٧٩، ٣٨٠هـ/٩٨٩، ٩٩٠م [١]. وبعد زوال حكم الحمدانيين عن الموصل سيطر عليها بنو عقيل وأسسوا فيها إمارة قوية أمتدت الى فترة طويلة وأشتهر من أمرائهم قرواش بن المقلد العقيلي [٢].

أما في العراق فقد كان لبني عقيل حماية سقي الفرات منذ القرن الرابع الهجري [٣]. وحماية بعض المدن من سواد العراق مثل قصر ابن هبيرة والجامعين والكوفة [٤]، وكانت هذه الحماية مقابل مقدار من المال يدفعها أمراء بني عقيل الى الأمير البويهي والخليفة، ولا شك أن هذه الحماية دليل على قوة بني عقيل وأستيطانهم في هذه المنطقة. وكان يرأس مدينة حديثة جماعة من بني عقيل في القرن الخامس الهجري [٥] وكانت تكريت لبني معن من بني عقيل في القرن الخامس الهجري [٦].

---

١. الروذراوري: ص١٧٦، ١٧٧؛ ابن الأثير: ج٩، ص٤٦-٤٧؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٨.

٢. عن قرواش أنظر: الروذراوري: ص٢٩٣؛ ابن الجوزي: ج٨، ص٦٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٥١؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٤، ص٢١٤.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص٨٨.

٤. الروذراوري: ص٢٩٣.

٥. ابن خلدون: م٤، ص٦١٤.

٦. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٩؛ قالوا بنو قعن بينما ذكرهم ابن خلدون بنو مقن. ج٤، ص٦٠٣؛ والأصح بنو معن أنظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ج٥، ص٢٦٨.

كان نشاط بني عقيل يقوى كلما ضعفت السلطة المركزية وعلى العكس يضعف كلما قويت ففي سنة ٣٧٢هـ مثلاً عندما شدد عليهم عضد الدولة هربوا ودخلوا البرية[١] ولكنهم أستطاعوا في فتراتٍ أخرى أن يسيطروا على بعض المناطق في الفرات الأوسط وأصبحت لهم الحماية عليها، ثم كوّنوا إمارة مستقلة في الموصل.

وعندما أستولى البويهيون على مقاليد السلطة والسيادة في بغداد في القرن الرابع الهجري، سيطر العقيليون على عدّة مناطق من العراق، ولعبوا دوراً بارزاً وأسسوا علاقاتٍ مع سلطة بغداد، وعزموا على تأسيس إمارة خاصة بهم، فقد ملك زعيمهم أبو الذوّاد محمد بن المسيب مدينة الموصل في القرن الرابع الهجري[٢]. وزوّج أبنته من بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي[٣]. وعندما توفي هذا حدثت بعض المشاكل العائلية، فقد طمح المقلّد بن أبي الذوّاد وإخوانه الحسن وعلي بالإمارة[٤]. ثم أستقرت الإمارة للمقلّد الذي أصبح قوياً وذا مكانة. وورث قرواش ابن المقلّد الإمارة بعد وفاة أبيه[٥].

---

١. الروذراوري: ص٥٦.

٢. الروذراوري: ص١٧٩؛ ابن الأثير: ج٩، ص٤٦ـ٤٧.

٣. ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص٣٤٨.

٤. أنظر: الروذراوري: ص٢٨١؛ ابن الأثير: ج٩، ص٤٦ـ٤٧؛ الذهبي: العبر في خبر من عبر، ج٣، ص٥١؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٤، ص٢٠٣؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٣، ص١٣٨ـ١٣٩.

٥. ابن الأثير: ج٩، ص ٦١ـ٦٢.

وكانت فترة حكم قرواش من أهم الفترات في حياة بني عقيل، من حيث نضوج فكرة تكوين إمارة مستقلة لهم. إذ قوّى علاقته ببني مزيد ضد القائد البويهي[١]، وحارب قبيلة خفاجة لإعتدائها على أملاكه في السواد مثل الكوفة والجامعين والقصر[٢]. وهذا يدل على أن قرواشاً أراد تثبيت مكانته من جهة، وتوسيع إمارته من الجهة الأخرى.

بنو خفاجة

وهم من عشائر بني عقيل بن كعب[٣]. غير أن المصادر الأولى لا تذكر تفصيلاتٍ عن حياتهم ومواضع سكناهم في الجزيرة العربية قبل الإسلام، كما تم ذكره عن بني عقيل أو بني أسد مثلاً. مما يدل على أن قبيلة بني خفاجة كانت داخلة ضمن نطاق بني عقيل التي تفرعت منها. وأن كل ما ذكر في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، قصة قتل توبة الخفاجي من قِبَلْ بني عقيل[٤].

١. نفس المصدر: ج٩، ص٦٤؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص٢٨؛ ابن خلدون: م٣، ص٩١٦.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٦٢؛ ابن خلكان: وفيات، ج٤، ص٣٥١.

٣. عن نسبهم أنظر: ابن الكلبي: (إسكوريال) ص١٣٢ب، (نسخة لندن)، ١٣٣أ؛ ابن دريد: ص٢٩٩؛ ابن حزم: ص٤٦٩؛ القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٢٢؛ نهاية الإرب، ص١٤٦؛ وذكر ابن الكلبي لخفاجة إحدى عشر بطناً ص١٣٢ب؛ النويري: نهاية، ج٢، ص٣٥٠. وقال ابن الكلبي أن خفاجة أسمه معاوية بن عمرو ص١٣٢ب؛ بينما ذكر السمعاني أنه أسم امرأة ومن المحتمل أنه خطأ. الأنساب، ص٢٠٤ آ ب.

٤. أنظر: عرام: جبال تهامة في نوادر المخطوطات، م٧، ص٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤. ينظر مقالة (Khafadja) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/بالإنجليزية) بقلم: F. Krenkow.

ومن خلال الحوادث فقد ورد ذكر بعض المواضع التابعة لخفاجة مثل تثليث[١] وماء الحريز الذي يقع في تثليث[٢]. وكان وادي بيشه تجتمع فيه قبيلة بني خفاجة[٣] من كل هذا يظهر أن أماكن سكنى بني خفاجة كانت مجاورة لبني عقيل، وكان بني خفاجة أقرب الى اليمن. وهناك مواضع أخرى كانت خاضعة لخفاجة مثل السرو[٤]، والشرائن[٥] وثعلب[٦]، وأورال[٧].

ولعل المنازعات التي نجمت عن قتل توبة الخفاجي كانت سبباً في أنفصال بني خفاجة عن بني عقيل وأستقلالهم[٨].

ذكر الأصمعي عند كلامه عن الزوراء أو رصافة هشام بن عبد الملك أن لأهلها آباراً في وسط البرية وكان على بني خفاجة خفارة هذه الآبار يؤدونها صاغرين[٩]. وهذا يدل على أنهم سكنوا هذه المنطقة في القرن الثاني

---

١. نفس المصدر: م ٧، ص٢٥١، وتثليث تقع بالقرب من مدينة صنعاء باليمن، الهمداني: صفة، ص٤٨.

٢. عرام: م٧، ص٢٥١.

٣. وهو من بلاد اليمن يقع مقابل تثليث. لغدة، ص١ أ، البكري: ج٢، ص٦٣١.

٤. البكري: ج٢، ص٦٣١.

٥. نفس المصدر: ج٣، ص٧٨٨.

٦. ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٦٦.

٧. نفس المصدر: ج١، ص٤٠٠.

٨. وهناك رواية للأصفهاني تبين كيف كانت بنو خفاجة داخلة في بني عقيل، فهو يذكر سلسلة الرواية ويقول: "عن رجل من بني عامر ثم من بني خفاجة". ج٨، ص١٧٨؛ فالمشهور بنو عامر وليس خفاجة، والرجل مع أنه ينتسب لبني خفاجة إلا أنه داخل في بني عامر.

٩. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٧٨٥ عن الأصمعي.

على الأقل، وأن بني خفاجة كان لهم من العدد والقوة ما حمل الناس على دفع الخفارة لهم، ويبدو أيضاً أن أنتقالهم الى هذه المنطقة كان على أثر الفتوح الإسلامية.

والراجح أنهم أستمروا على التجول بالقرب من رصافة هشام المذكورة، والدليل على هذا وجود بعض الروايات التي تبين أن بني خفاجة كان لهم معرفة سابقة في الشام، ففي سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م عندما أوقع بهم قرواش ساروا الى الشام وأقاموا به[١] وفي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م أحضرهم القائد البويهي أبو جعفر الحجّاج من الشام[٢]. كما أن بني خفاجة قد سكنوا حلب[٣]. والرحبة سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[٤]. وفي سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م وصل الأمير ناصر الدولة علي بن الحسين بن الأمير ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان في جيشٍ ضخم حتى نزل مدينة حمص وهناك أجتمعت عليه بنو كلاب وبنو خفاجة[٥]. وهذا يدل على أن خفاجة كانت تقطن أطراف مدينة حمص. وفي سنة ٥٥٦هـ نهبت خفاجة سواد الكوفة فسار إليها الأمير قيصر

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٦٢.

٢. نفس المصدر: ج٩، ص٦٤.

٣. الحلبي: محمد راغب بن محمود: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج٤، ص٢٠١؛ وهناك بعض المعلومات عند عبد المنعم الخفاجي: بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والاداري، ج٦، ص١١، حيث قال: "حلب موطن من مواطن الخفاجيين".

٤. ابن الأثير: ج٩، ص٧٨.

٥. ابن العديم: زبدة، ج١، ص٢٧٧.

شحنة الحلّة فهربت الى رحبة الشام[١]. في الوقت الذي لم يرد فيه ذكر لهذه القبيلة في العراق حتى القرن الرابع الهجري. ولا نعلم متى قدموا ومن أين جاءوا؟، ومن المُحتمل أنهم إنحدروا إليه من الشام.

إن أقدم ما وصلنا عن بني خفاجة في العراق ما قدّمه ابن الأثير في سنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م عندما نهبوا الكوفة التي كانت تابعة لقرواش مما أدى الى مقاتلتهم وهروبهم الى الشام[٢]. ومنذ هذه السنة تبدأ فعاليتهم السياسية تتكرر إذ كانوا يقومون بالإغارة على المناطق المجاورة لمدينة الكوفة، وفي سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م نافست خفاجة بني عقيل على حماية سقي الفرات[٣]. وفي سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م نهبت الكوفة[٤] كما أنها أعترضت الحجّاج القادمين من مكة[٥]. وفي سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م أصبحت ولاية الكوفة وسقي الفرات لبني خفاجة مقابل دفع مقدارٍ من المال[٦]. وفي سنة ٤٨٥هـ نهبت الكوفة[٧]. وفي سنوات ٤٩٩هـ ٥٠٠هـ حاربت قبيلة بني عبادة في موضع قرب الحلّة[٨].

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص١١٢.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٦٢.

٣. نفس المصدر: ج٩، ص٨٨.

٤. نفس المصدر: ج٩، ص١٣٣.

٥. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٦٦؛ ابن الأثير: ج٩، ص٨٨؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٨٣.

٦. ابن الأثير: ج١٠، ص٥.

٧. نفس المصدر: ج١٠، ص٨١.

٨. نفس المصدر: ج١٠، ص١٥٠.

وقال السمعاني أن أولاد خفاجة يسكنون في نواحي الكوفة[١]. كما ذكر ابن جبير أن من أسباب خراب الكوفة هجمات خفاجة "التي لا تزال تضربها"[٢] من كل هذا يظهر أن بني خفاجة سكنوا على أطراف الكوفة، وأتخذوها مركزاً لنشاطهم السياسي منذ القرن الرابع الهجري.

فالراجح ـ حسبما تقدم من معلومات ـ أن قبيلة خفاجة أنتقلت في القرن الأول الى الشام أولاً، ثم أخذت تنتقل الى العراق لاسيما منطقة الكوفة والبصرة، ويُحتمل أن موجات أخرى جاءت الى العراق والشام بعد أن أستقر الخفاجيون المذكورون في تلك المناطق إلا أننا لا نعرفها.

سكن بنو خفاجة ـ كما مرّ سابقاً ـ أطراف الكوفة، وكانت هذه المدينة تابعة لأمراء بني عقيل، ولذلك جرت عدّة معارك بينهما. ففي سنة ٣٩١هـ أنتصر بنو عقيل[٣] أولاً ولكن بني خفاجة أستطاعوا في السنة التالية أن يمتلكوا الكوفة وأصبحت لهم إمارة عليها[٤]. وفي سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م نافست خفاجة بني عقيل على ضمان سقي الفرات[٥] ولكنها لم تحصل على ذلك فشنت هجوماً على الأنبار ونهبتها[٦] وفي سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م تعرض بنو

---

١. السمعاني: ص٢٠٤ب؛ الزبيدي: تاج، ج٢، ص٢٣.

٢. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٧.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص٦٢.

٤. نفس المصدر: ج٩، ص٧٣ وما بعدها.

٥. نفس المصدر: ج٩، ص٨٨.

٦. نفس المصدر والصفحة.

خفاجة للكوفة مما دفع قرواش العقيلي الى محاربتهم[1] وهذا يُظهر أن بين قبيلتي خفاجة وعقيل نزاعاً مستمراً رغم أن خفاجة بطن من عقيل، ويبدو أن المنافسة على السيطرة هي السبب الرئيسي لذلك النزاع، إذ أن بني عقيل كانوا يسيطرون على منطقة واسعة بينما لا تملك خفاجة شيئاً. ويُحتمل أيضاً أنهما ورثا المنافسة والنزاع الذي كان سائداً في الجزيرة العربية.

لم تقتصر أعمال خفاجة على نهب الكوفة وسوادها والتعرض لبعض المدن الأخرى، بل أعترضت طرق الحجّاج، ونهبتهم، وقامت بأعمالٍ مزعجة لهم. كأن ألقت الحنظل في الماء حتى أفسدته مما أدى الى موت عدد منهم وحينذاك نهبتهم[2].وفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م أعترضت الحجّاج أيضاً بعد أن دخلت مدينة الكوفة ونهبتها[3].ولا أدل من غضب الناس على أعمالها أنها لما دخلت الكوفة رماها الأهالي بالنشّاب، وقد نهبت حتى الثياب من الرجال والنساء[4].

وقد دفعت هذه الأعمال السلطة الى الإصطدام بخفاجة إما مباشرةً أو بإستخدام إحدى القبائل المجاورة ضدها، كبني عقيل أو بني أسد، كما أستعانت بقبيلة بني أسد عندما تعرضت خفاجة للحجّاج[5]. ويمكن القول أن

١. نفس المصدر: ج٩، ص١٣٣.

٢. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٦١؛ ابن الأثير: ج٩، ص٨٨؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٨٣.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص٨١.

٤. نفس المصدر والصفحة.

٥. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٦١.

موقف السلطة وتذبذبها بين القوة والضعف كان عاملاً رئيسياً في الأعمال التي قامت بها خفاجة والقبائل الأخرى.

لقد ورث بنو مزيد أملاك بني عقيل، فأصبحت الكوفة وأطرافها خاضعة لهم، الأمر الذي أدى الى إصطدام المزيديين ببني خفاجة عدّة مرات ـ كما سنوضحه في الفصل السياسي لبني مزيد ـ بسبب تعرضها ونهبها وإغارتها على بلاد بني مزيد[١] وعلى الكوفة[٢]، والبطيحة[٣].

لا شك أن من العوامل التي دفعت بني خفاجة الى أتخاذ ذلك الموقف، إضافةً الى موقف السلطة المركزية، هو عامل المنافسة مع القبائل الأخرى، وإهمال سلطة بغداد لها. فبنو عقيل قد أمتلكوا منطقة واسعة، ثم جاء بنو مزيد وسيطروا على منطقة واسعة أيضاً، بينما لم يحصل الخفاجيون على أي شئ. وأبرز دليل على ذلك أنه في سنة ٤٥٢هـ عندما وافق السلطان على بني خفاجة وأعترف بهم وخلع عليهم وأصبحت لهم ولاية الكوفة وسقي الفرات، رضخوا وأخذوا يدفعون أربعة آلاف ديناراً سنوياً مقابل تلك الحماية[٤]. ومعنى هذا أنهم أرتبطوا بالسلطة وأصبحوا عضواً نافعاً.

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٨٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٥٢ـ١٥٣.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٤٨ (سنة ٤٩٨هجرية)، ج١١، ص١٢ (سنة ٥٥٦هجرية).

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧ وما بعدها.

٤. ابن الأثير: ج١٠، ص٥.

ظلت قبيلة بني خفاجة قوية تقوم بنشاطها في هذه المنطقة. فقد أشتبكت مع بني عقيل وبني مزيد، ومع قبيلة عبادة سنة ٤٩٩هـ ٥٠٠هـ [1] مما أكسبها دوراً مهماً في الحياة السياسية، ففي سنة ٥٩٦هـ خلع الديوان العزيز على زيادة الخفاجي وسلمت إليه حماية البلاد الفراتية [2] بينما ضعف تأثير القبائل الأخرى كبني عقيل وبني مزيد.

بنو عبادة

وهم بطن من قبيلة بني عقيل [3]، والظاهر أنهم كانوا يسكنون بجوار بني عقيل، قال لغدة خلال ذكره مواضع بني عقيل "ومنها البيضاء وهي لبني معاوية بن عقيل وهو المنتفق معهم منها عامر بن عقيل وبرك ونعام لعقيل ما خلا عبادة ولهم الحصيص وهو لعقيل.. ولهم المدراء بينهم وبين الوحيد بن كلاب وليس لعبادة فيه شيء" [4]. وهذه الرواية توضح أن بني عبادة كانوا يسكنون بالقرب من أماكن بني عقيل، كما أنها تبين مدى سيطرة بني عقيل على أماكن كثيرة، بينما لم يكن لبقية بطونها إلا مواضع قليلة.

---

١. نفس المصدر: ج١٠، ص١٥٠، ١٥٧ وما بعدها.
٢. ابن الساعي: الجامع المختصر في عيون التواريخ وعيون السير، ج٩، ص٤٣.
٣. عن نسبهم أنظر: ابن الكلبي: ص١٣٤ أ ـ ب؛ ابن دريد: ص٢٩٩؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١١٠ـ١١١؛ القلقشندي: نهاية، ص٣٣٥؛ قلائد الجمان، ص١٢٢؛ النويري: نهاية، ج٢، ص٣٤٠؛ السويدي: سبائك، ص٤٥؛ كان عبادة يعرف بالأخيل لأنهم رهط ليلى الأخيلية، والأخيل طائر يتشائم به، ابن دريد: ص٢٩٩؛ ابن خلدون: م٦، ص٢٥؛ من أيامهم يوم رحرحان. الأغاني، ج٥، ص٢١.
٤. لغده: ص١ أ، عن أبي الورد العقيلي.

ذكر لبني عبادة موضع في الجزيرة العربية وهو ماء الغزايل أو ذو غزايل[١]. ولكننا لا نعلم عن زمن أنتقال بني عبادة الى العراق. إلا ما ذكره ابن ماكولا "عبادة حي من العرب...مم نزلوا على جانب من الفرات"[٢] وقد كرر ابن سعيد قول ابن ماكولا وأضاف أن قريش بن بدران من أمرائهم قد تغلب على الموصل وحلب في أواسط المائة الخامسة[٣]. ولعل ابن سعيد كان يقصد بني عقيل الذين سيطروا على - الموصل، وكان قريش بن بدران أحد أمرائهم، إلا أن هذا الإلتباس يؤدي الى نتيجة مهمة وهي سيطرة بني عقيل على القبائل الأخرى، وأن بني عبادة كانوا مع بني عقيل في فترة متأخرة.

قال ابن خلدون: "وهم - عبادة - لهذا العهد بالعراق مع بني المنتفق وفي البطائح التي بين البصرة وواسط لرجل أسمه قيّان بن صالح.... وما أدري أهو من بني معروف أمراء البطائح بني المنتفق أو من عبادة الأخائل"[٤] غير أننا لا نعلم فيما إذا كان هذا النص يوضح أحوال بني عبادة في زمنه أم قبله، وهذه الروايات من الجهة الأخرى تبين دور بني عبادة في العراق في حوالي القرن الخامس الهجري، حيث أخذت تكوّن لها كياناً مستقلاً، ولكنها لا تبين زمن

---

١. لغده: ص١ أ؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٥٩٧ عن الأصمعي.

٢. السمعاني: ص٣٨٠ب؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١١٠-١١١ عن ابن ماكولا.

٣. أنظر: القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٢٢؛ نهاية الإرب، ص٣٣٥ عن ابن سعيد. أن قرواش وبدران أولاد المقلدين المسيب العقيلي صاحب الموصل. أنظر: الروذراوري: ص١٧٩؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٨.

٤. ابن خلدون: م٦، ص٢٥.

قدومها العراق، ولعلها جاءت مع بني عقيل زمن الفتوح الإسلامية الأولى إلا أن المؤرخين لم يفردوها في الذكر.

وقد وصف ابن سعيد قبيلة عبادة أنها ذات عدد وكثرة. ثم ذكرهم في روايةٍ أخرى أن لهم بقية في الخازر والزاب إلا أنهم في عددٍ قليل لا يتجاوز المائة فارساً[١]. ولا يمكن هذا إلا أن يكون ابن سعيد قد خلط بين بني عقيل وعبادة، حيث كانت الأولى كثيرة العدد بينما لم يرد ما يؤيد قوة وكثرة عبادة، ويُحتمل أيضاً أن لبني عبادة عدّة فروع تختلف فيما بينها في العدد والقوة.

كذلك خلط العمري أيضاً بين بني عبادة وبني عقيل فقال أن منازل قبيلة عبادة تقع بالقرب من بغداد الى الموصل[٢]، مع العلم أن أكثر فعاليات بني خفاجة ـ كما سنلاحظ ـ كانت بالقرب من الكوفة، ولم ترد معلوماتٍ عن سيطرتهم على هذه المنطقة. ولا شك أن هذا الخلط دليل على نفوذ بني عقيل من جهة، وضعف بني عبادة من جهةٍ أخرى.

يظهر دور عبادة في القرن الخامس الهجري، وهذا التاريخ يتفق ومما ذكره ابن سعيد سابقاً، إلا أنه بدلاً من الموصل وحلب نراهم بالقرب من الكوفة. فقد أصطدمت في سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م قبيلتي عبادة وخفاجة وكان سبب

١ـ القلقشندي: قلائد الجمان، ص١٢٢ عن ابن سعيد.

٢ـ نفس المصدر والصفة، عن العمري في مسالك الأبصار.

ذلك يرجع الى نهب أحد رجال بني خفاجة جملين لرجل من عبادة[1]. مما يدل على أنهما كانتا متجاورتين، وكلاهما يوجد بالقرب من الحلّة والكوفة، إذ أن المعركة التي وقعت بينهما كانت في موضع الوقف القريب من الحلّة[2]. كما أن الرواية تصور أستمرار الطبيعة البدوية وعاداتها في الصحراء حيث كانت الغزوات والمنازعات فيما بينهم لمثل تلك الأسباب. وتكررت الحرب سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م وقد أنتصرت قبيلة عبادة وأستقرت في المناطق التي تسكنها خفاجة[3].

وأشتركت قبيلة عبادة في جيش المزيديين سنة ٥٠١هـ ولكنها فرّت من المعركة[4]، مما يدل على أن أشتراكها لم يكن مهماً ورئيساً، وأنها لم تكن من الجيش الثابت. ويظهر أنها كانت قليلة العدد حتى أنها في حربها مع خفاجة طلبت المساعدة من بني مزيد[5].

بقي بنو عبادة الى فترةٍ متأخرة في منطقة الفرات الأوسط، فمثلاً في سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م قدم وفد من شيوخ القبيلة على السلطان بعد أنحدار

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٤٩-١٥٠.
٢. نفس المصدر والصفحة؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٨٤.
٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧ وما بعدها.
٤. ابن الجوزي: ج٩، ص١٥٦؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٨؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ص٢٦.
٥. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧ وما بعدها.

المستنصر وكانوا من أهل هيت والأنبار والحلّة والكوفة وكان رئيسهم سليمان بن مهارش العبادي[١] ويعني هذا أنهم خلفوا بني مزيد على مناطقهم. وكما قال ابن خلدون أنهم الى فترته ـ القرن الثامن والتاسع الهجري ـ كانت لهم السيطرة على المنطقة بين البصرة والكوفة وواسط والبطيحة[٢].

بنو المنتفق

وهم بطن من بني عقيل[٣]، وكانوا يسمون بالخلط[٤] كان بنو المنتفق يسكنون في جزيرة العرب بالقرب من بني عقيل، قال لغدة أن أرض المنتفق في الميثب[٥]، وهذا كان من مياه بني عقيل[٦] وذكر الجرجاني أن بني المنتفق كانوا يسكنون في جنوب البصرة[٧]. وقال ابن سعيد أن "منازل المنتفق الآجام بين البصرة والكوفة والإمارة في بني معروف"[٨] والراجح أن مجيئهم الى العراق مع بقية بطون بني عقيل زمن الفتوح وأستقروا في أطراف البصرة. ولم ترد

١. المقريزي: السلوك لمعرفة الملوك، القاهرة، ١٩٣٦م، ج١، ق٢، ص٤٧٦.

٢. ابن خلدون: م٦، ص٢٥.

٣. عن نسبهم أنظر: ابن الكلبي: ص١٣١بـ١٣٢أ؛ ابن دريد: ص٢٩٩؛ ابن حزم: ص٤٨٣؛ ابن الأثير: اللباب، ج٣، ص١٨١؛ القلقشندي: نهاية، ص٧٥؛ قلائد الجمان، ص٧٥؛ ينظر: (al-Muntafik) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/بالإنجليزية) بقلم: G. Levi Della Viola.

٤. ابن خلدون: م: ص٦٤٧، م٦، ص٣٤، ٦٣.

٥. لغده: ص١ أ، والميثب ماء تقع على الطريق المؤدي الى تيماء.

٦. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٧١٢ عن الأصمعي.

٧. ابن خلدون: م٦، ص٢٤ عن الجرجاني.

٨. نفس المصدر: م٢، ص٦٤٧ عن ابن سعيد.

بقية بطون بني عقيل زمن الفتوح وأستقروا في أطراف البصرة. ولم ترد إشارة الى أنهم سكنوا منطقة أخرى من العراق[١].

لقد ورد ذكر بني المنتفق في علاقتهم مع بني مزيد سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م عندما أستولى صدقة على البصرة وأستناب بها أحد مماليك جده المسمى النونتاش وبعد رجوعه الى الحلّة قام بنو المنتفق بغزو البصرة ونهبها[٢]. وفي سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م حالفهم دبيس بن صدقة على نهب البصرة[٣]. إن هاتين الروايتين تؤكدان أن مساكن بني المنتفق كانت قريبة من البصرة. وأشترك بنو المنتفق أيضاً مع جيش الخليفة المسترشد في طرد بني أسد من الحلّة وكان مقدمهم ابن معروف الذي تسلم الحلّة بعد جلاء بني مزيد عنها سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م[٤]. وبذلك أصبحت لهم الإمارة على بلاد بني مزيد والمناطق التي كانت تسيطر عليها.

---

١. ذكر ابن خلدون أن الخلط لهذا العهد في إعداد جشم بالمغرب، م٢، ص٦٤٧ وربما كانوا من بطونهم.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٤؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص١١١.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٤٥؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩١. وقد جعلها ابن كثير سنة ٥١٦هجرية والأصح ٥١٧هجرية.

٤. ابن الأثير: ج١١، ص١٢.

بنو عبس

إحدى القبائل الثلاث التي أطلق عليها جمرات العرب[١] وهم من بطون غطفان[٢]، وهم من القبائل المشهورة عند ظهور الإسلام.

وقد ذكرت لهم عدّة مواضع ومياه[٣]. وكانوا مجاورين لمساكن بني أسد قال لغدة أن موضع "الجزير أسفله لبني وأعلاه لبني أسد... وأسفل بارق لعبس وأعلاه لأسد"[٤].

والظاهر أن كثيراً من بني عبس قد هاجر من الجزيرة العربية، قال ابن خلدون: "إنه ليس بنجدٍ لهذا العهد أحد من بني عبس"[٥].

وقد ساهم بنو عبس في الفتوحات الإسلامية الأولى[٦]. واستوطن عدد من أفرادهم المدائن[٧]. كما كانت لهم خطة ومساجد[٨]

---

١. ابن قتيبة: المعارف، ص٨٧؛ الجاحظ: الحيوان، ج٥، ص١٢٣.

٢. عن نسبهم أنظر: ابن حزم: ص٢٥٠ــ٢٥٢؛ السمعاني: ص٣٨٢ أ؛ ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص١١٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٣٤٤؛ النويري: نهاية، ج٢، ص٣٤١.

٣. أنظر: الجاحظ: الحيوان، ج٤، ص٤٧٦؛ البكري: ج١، ص١٨٠، ١٩٤، ٣٣١، ج٢، ص٣٧٧، ٤٣٦، ٥٤٥، ٦٣١، ٧٦٢، ٨٦٤، ١٠١١، ١٠٦٥، ج٤، ص١١٥٠، ١١٨٥، ١١٢٢، ١٢٨٨، ١٣١٧.

٤. لغده: ص٧ أ؛ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، ج٢، ص١٠٠.

٥. ابن خلدون: م٢، ص٦٣٢؛ ينظر مقالة (Ghatafan) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/باللغة الإنجليزية) بقلم الأستاذ: J. W. Fuck.

٦. الطبري: م١، ص١٧٤٠، ٢٤٨٧؛ ابن خلدون: م٢، ص٨٥٩.

٧. الطبري: م١، ص٢٤٨٧.

٨. البلاذري: فتوح، ص٢٧٨.

بالكوفة[١]، وذكر السمعاني أن لهم كثرة وجماعة في مدينة الكوفة[٢]. كما أنه ورد ذكر جماعة منهم يتنقلون في الطريق بين بغداد والكوفة سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٣م[٣].

وأستوطن بنو عبس أيضاً أرض الجزيرة الفراتية وقنسرين[٤]. كما أن بعضهم ظل يسكن البادية[٥].

كانت علاقة بني عبس ببني مزيد ضعيفة، ومن المُحتمل أنهم أصبحوا حضراً بعد أن سكنوا الكوفة لذلك أنعدم وجودهم كبدو، ولم يلعبوا دوراً سياسياً واضحاً، أو أنهم كانوا ضمن الأعراب الذي يتكون منهم جيش المزيديين، أو أنهم أشتغلوا بالرعي والزراعة وأهملوا الحياة السياسية.

كان بنو يعيش بن عبس بن خلاط مسيطرين على مدينة عانة، وعلى أغلب الظن أنهم بطن من عبس وقد طلبوا المساعدة من صدقة بن مزيد ضد الأتراك الذين أرادوا أخذ المدينة والاستيلاء عليها، وقد ساعدهم صدقة وأعادهم الى المدينة[٦].

---

١. ماسنيون: خطط الكوفة، ص١١، وكانوا مع بني ذبيان.

٢. السمعاني: ص٣٨٢أ ـ ب.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص١٨٢ـ١٨٣.

٤. ابن العديم: زبدة الحلب، ج١، ص٤٨.

٥. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٤، ص٣٢٥.

٦. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٧.

بنو غزيّة

هناك قبيلتان بأسم غزيّة، ترجع إحداهما الى بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن[١]. في حين يرجع نسب الأخرى الى بني غزيّة بن أفلت بن ثعل الطائي[٢].

كانت منازل القبيلة الأولى ـ من هوازن ـ كما ذكر السمعاني غربي نجد[٣]. بينما ذكر ابن سعيد من بين مساكن القبيلة الثانية ـ من طيء ـ عين تمر والأنبار[٤]. قال الحمداني كان منهم قوم يسكنون الشام والحجاز والعراق[٥]. وروى العمري أن هناك طائفة منهم بطريق الحج وكان لهم فيه بعض المياه[٦]

---

١. عن نسبهم أنظر: ابن الكلبي: ص١٥٣ ب ـ ١٥٤ أ؛ ابن دريد: ص٢٩٢؛ القلقشندي: قلائد، ص١١٥؛ وذكر ابن خلدون أنهم مع قومهم بني جشم بالسروات بين تهامة ونجد. القلقشندي: صبح، ج١، ص٣٤٣؛ نهاية الإرب، ص٣٨٧ وما بعدها؛ السويدي: سبائك، ص٤٨. ولم أعثر على الرواية عند ابن خلدون في كتابه العبر.

٢. عن نسبهم أنظر: ابن خلدون: م٢، ص٥٣١، م٦، ص١٣ وما بعدها؛ القلقشندي: قلائد، ص٨٨ صبح الأعشى، ج١، ص٣٢٣؛ الزبيدي: تاج، ج١٠، ص٢٦٦.

٣. السمعاني: ص٤٨ب. ويبدو أنه قصد قبيلة غزية من طئ لأنه ذكر أحد رجالهم الذي وصفه ابن الأثير في اللباب، ج٢، ص١٧١ بأنه من طئ. ولبني غزية من جشم رجل مشهور يعرف دريد ابن الصمّة. أنظر: ابن دريد: ص٢٩٢.

٤. ابن خلدون: م٦، ص١٣ عن ابن سعيد.

٥. القلقشندي: قلائد، ص٨٨ عن الحمداني.

٦. نفس المصدر والصفحة عن العمري من مياههم الكمن، المعينة، اليحموم، الثعلبية، زرود، الأجود.

وكان لقبيلة طيء خطة في الكوفة[١]، مما يدل على أنهم أنتقلوا الى العراق زمن الفتوح، ويُحتمل أن غزيّة كانت معهم أو بالقرب منهم.

إن كل ما لدينا عن هذه القبيلة في علاقتها مع المزيديين، هو أن دبيس بن صدقة عندما هرب في الحرب مع الخليفة، ذهب الى قبيلة غزيّة وهي من عرب نجد[٢]. لهذا من المُحتمل أن المقصود بها بنو غزيّة التي من طيء لأن هذه كانت لها مساكن في الشام والعراق والحجاز، وكانت في عين التمر والأنبار، وعلى الطريق بين نجد والعراق.

ويظهر من الرواية التي ورد فيها ذكر بني غزيّة، أنها كانت تتحول بالقرب من البصرة إذ أن دبيساً بعد هروبه توجه إليها يريد محالفتها، ولكنها رفضت لبعده عنها في النسب، ولأنها لا تريد معاداة الدولة، فعند ذلك ذهب الى بني المنتفق وحالفهم على غزو البصرة[٣]. ويعني هذا أنهم كانوا بجوار بني المنتفق وعلى طريق الحج لأنهم قالوا لدبيس: "ما يمكننا معاداة الملوك ونحن بطريق مكة"[٤] وهذا النص يؤكد مرةً أخرى أنهم من طيء، لأن (طيء) أستوطنت بعض الأماكن في طريق مكة.

---

١. ماسنيون: خطط، ص١١.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٢؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص١١١.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٢؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص١١١؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٩١.

٤. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٤٥.

ذكر ابن خلدون أن "فيهم الإمارة في العراق الى الآن ولهم صولة عظيمة"[١]. أي أنهم كانوا حتى القرن الثامن والتاسع الهجريين مستقرين وكانوا أقوياء.

بنو أسد

وهم بنو أسد بن خزيمة[٢]. ولهم بطون عديدة أشهرها بنو دودان[٣]. التي أفترقت عنها أكثر بطون أسد الأخرى.

إن مساكن بني أسد في الجزيرة العربية من حيث العموم تقع بين تيماء وجبلي آجا وسلمى الى ضرية[٤]. وكانت لهم السيطرة على الطرق التجارية وطرق الحجّاج[٥]، مثل الغمر الذي يبعد عن فيد ليلتين[٦]، والذروة التي تقع قرب الكوفة[٧].

١. القلقشندي: صبح، ج١، ص٣٢٣ عن ابن خلدون. بينما قال ابن خلدون: "وهم أهل إغارة وصولة". م٦، ص١٤.

٢. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج١، ص٤٣٨؛ ابن حزم: ص٤٨٠؛ ابن منظور: ج٤، ص٣٨.

٣. عن بطونهم أنظر: اليعقوبي: تاريخ، ج١، ص٢٦٤ـ٢٦٥؛ ابن حزم: ص٤٨٠، ٤٦٦؛ النويري: نهاية، ج٢، ص٣٦٥؛ القلقشندي: نهاية، ص٤٠١؛ السويدي: ص٦٠؛ ينظر أيضاً مقالة: (Banu Asad) في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة/بالإنجليزية) بقلم: H. Kindermann.

٤. عن المواضع في نجد أنظر: الأصفهاني: ج٥، ص٢٥؛ ياقوت: ج١، ص٨٨٨، ج٢، ص٢٤، ٢٦٦، ٤٠٧، ج٣، ص٢٨٥، ٤٠٠، ٧٧٩.

٥. ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، كانون الثاني، ١٩٤٢م، ١٧: ٤٠٥.

٦. المسعودي: التنبيه والإشراف: ص٢٥٢.

٧. الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣١٠.

كان لبني أسد في الجزيرة العربية كثير من المياه والجبال والوديان[1]. وفي القرنين الثالث والرابع الهجريين ذكر اليعقوبي خلال وصفه الطريق من الكوفة الى مكة الذي كان يقسم الى ثماني مراحل، فقال أنه من المرحلة الخامسة الى

---

١. عن صفة بلاد بني أسد أنظر: عبيد بن الأبرص: ديوان، ص٢٥؛ وعن المياه أنظر: ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص٣٢؛ الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ج١، ص٣٢٣؛ ياقوت: ج١، ص٤٢٩، ٦٠١ـ٦٦١ـ٦٧٦ـ٧٤٢ـ٨٤٤ـ٩٣١، ج٢، ص٤٨ـ٢٦٥ـ٢٦٦ـ٤٠٧ـ٥١٠ـ٧٢٤، ج٣، ص٩٢ـ٢٥٥ـ٢٧٤ـ٣٥٧ـ٤٠٣ـ٤٧٩، ج٤، ص١٨١ـ٣٣٢ـ٤٢٩ـ٦٠١ـ٦٣٢ـ٧٤٠؛ الزبيدي: تاج، ج١، ص٢١١، ج٣، ص٢١٥، ج٤، ص٢٧، ج٦، ص٢٤٢ـ٢٨٧، ج٨، ص٢٢٧، ج٩، ص١٤٥؛ الفيروز آبادي: ج٣، ص١٩٤، ج٤، ص٢٠٣.

١. ووديانهم أنظر: الهمداني: صفة، ص١١٨؛ البكري: ج١، ص١٤١؛ ياقوت: ج١، ص٢١١ـ٩٣٢، ج٢، ص٦٨ـ٥٠١ـ٦٣٦ـ٨١٦، ج٣، ص٨٥٩، ج٤، ص٤٩ـ٦٦٦؛ الزبيدي: ج٥، ص١٠٢، ج٨، ص٣٣١؛ الفيروز آبادي: ج١، ص٣٧٥؛ ابن منظور: ج١٨، ص٢٧١.

وعن جبالهم أنظر: الأغاني، ج٨، ص٣١٦؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٨٣٧ـ٨٨٨ـ٨٩٣، ج٢، ص١٠١ـ١٩٧ـ٤٣٢، ج٣، ص٢٨٩ـ٣٦١ـ٣٤٨ـ٤٠٠ـ٥٨١ـ٦٠١، ج٤، ص١٣٨ـ١٥٥ـ١٥٨ـ١٩٥؛ الزبيدي: ج٩، ص١٤٥.

وتوجد لهم مواضع أخرى أنظر: الهمداني: صفة، ص١٧٤ـ١٧٨؛ البكري: ج١، ص١٠٦ـ٢١٨؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص١٠٦ـ١١٦ـ١٤١ـ٣٥٥ـ٣٦٢ـ٨٤٢ـ٩٠٤ـ٩١٤، ج٢، ص٩١ـ١٦٢ـ٢٠٤ـ٣٠١ـ٣٧٠ـ٥٠٠ـ٨٨٤، ج٣، ص٧٥ـ١١٨ـ٤١٧ـ٤٦٦ـ٧١٦ـ٧٤٠ـ٧٤٣، ج٤، ص١٧ـ٢٩٢ـ٧٢٦ـ٨٠٤.

ووصفت بلاد بني أسد بأنها فيا في غامرة أنظر: التوحيدي: أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ج١، ص٨٠؛ الجاحظ: الحيوان، ج٢، ص١٧١؛ وعن صفات بني أسد، كان يطلق عليهم الأشراف، الطبري: م٢، ص٨٠٢؛ ويتصفون بالقوة والكرم. ديوان الأبرص، ص٦٣؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٣٦. وأشتهروا أيضاً بالقيافة والعيافة والزجر والكهانة. ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج٤، ص١٢٢؛ المسعودي: مروج، ج٢، ص١٦٩؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص١٧٤؛ ابن حزم: ص٣٧٦.

الثامنة كانت من ديار بني أسد[١]. وهذا يعني أن بني أسد، أو بعض فروعهم، أخذوا يهاجرون الى الطرق التجارية. فكانت محطة زبالة لبني غاضرة من بني أسد[٢]. وبطان لبني ناشرة من بني أسد[٣]. والذروة التي تقع قرب الكوفة[٤] وحدد الإصطخري في القرن الرابع الهجري المنطقة التي فيها بنو أسد فقال: "فأما بين القادسية الى الشقوق في الطول والعرض من قرب السماوة الى حدّ بادية البصرة فسكانها قبائل من بني أسد"[٥] أي أن قبيلة بني أسد أخذت تتجه نحو الكوفة، وتتجمع على الطريق الذي يربط الكوفة بمكة، ولا شك أنها أخذت تهجر مواطنها بالتدريج، غير أننا لا نعلم متى هاجرت؟. والظاهر أن قسماً من بني أسد قد ظلّ في الصحراء حتى فترةٍ متأخرة، فهناك عدّة روايات تاريخية توضح ذلك. فقد روى الدينوري أن رجلاً هرب من الكوفة في عهد المختار الثقفي ونزل في ذروة وهي ماء لبني أسد[٦] وفي سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م خرج علي بن زيد من الكوفة الى خفاف وهي من بلاد بني أسد وأقام بها[٧]. وفي سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م وثب جماعة من الأعراب من بني

---

١. اليعقوبي: البلدان، ص٣١١. المحطات هي القادسية، المغيثية، القرعاء، واقصة، زبالة، الشقوق، بطان.
٢. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٩١٢.
٣. نفس المصدر: ج١، ص٦٦١.
٤. الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣١٠.
٥. الأصطخري: مسالك الممالك، ص٢٢.
٦. الدينوري: الأخبار، ص٣١٠؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٥.
٧. ابن الأثير: ج٧، ص٨٥.

أسد على علي بن مسرور البلخي قبل وصوله الى المغيثية بطريق مكـة[١] وفي سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م مضى زكرويـه القرمطـي نحـو واقـصة ومـرّ في طريقـه بطوائف من بني أسد فأخذها من بيوتها وقصد الحُجّاج المنصرفين من مكة[٢]. جميع هذه الروايات تؤكد أن هناك دياراً لبني أسد في الجزيرة العربية، ويبـدو أن القبائل التي هي بطون لبني دودان بن أسد قد أستقرت الكوفة وأطرافهـا، وبنو مزيد يرجعون الى هذه البطن.

لعل من أهم الأسباب التي دفعت الى ترك بني أسد لديارهم، مجـئ قبيلـة طئ من اليمن نحو الشمال فقد أصطدمت بقبيلة بني أسد التي كانـت أماكنـها في طريق هجرة هذه القبيلة، وأول ما أقتطعته طيء من بني أسد جبلي آجـا وسلمى[٣]. ومما لا ريب فيه أن هذا جعل قبيلة بني أسد تبحـث عـن منـاطق أخرى.

وشارك بنو أسد في الفتوحات الإسلامية، ونزلوا في أطراف الكوفة[٤] ولهـم خطة ومساجد فيها[٥] كما أنهم أشتركوا في كثيرٍ من الأحـداث الإسـلامية في

١. الطبري: م٣، ص١٩٣١؛ ابن الأثير: ج٧، ص١١٧ والمغيثية منزل في طريق مكة، يـاقوت: ج٤، ص٥٨٥.

٢. الطبري: م٣، ص٢٢٧٠؛ مسكويه: ج٥، ص٥١ (ليدن ـ ١٩١٣م).

٣. ابن قتيبة: المعارف، ص٦٤١ـ٦٤٢؛ ابن خلدون: م٢، ص٦٦٢، ٩٣٩.

٤. اليعقوبي: البلدان، ص٧٠.

٥. الأغاني، ج١١، ص٢٥٢.

القرون الأول والثاني والثالث للهجرة[١] مما يوضح أستمرار سكناهم في أطراف الكوفة.

وسكن بنو أسد أماكن أخرى من العراق كأرض الغاضرية من كربلاء حيث أشتركوا مع الإمام الحسين (عليه السلام)[٢]. كما ذُكر سكناهم في عين التمر سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م[٣]. ومن المُحتمل أنهم سكنوها منذ أوائل العصر الإسلامي.

وقد نزل قسم من بني أسد على الطريق بين البصرة والكوفة[٤]. وسكن آخرون في واسط[٥]. وفي بغداد كانت لهم حلّة في باب حرب حيث أشتهروا بالقيافة والزجر[٦].

وأورد محمّد بن عبد الملك روايةً سنة ٣٣٢هـ عن مسيرة ناصر الدولة الحمداني صاحب الموصل ومعه بني أسد[٧]. الأمر الذي يدل على أنهم كانوا سكنوا الموصل أو بالقرب منها.

---

١. أنظر: الطبري: م٢، ص٨٠٣، م٣، ص١٥٢٠، ١٦١٧، ١٨٥٠، ٢٢١٧؛ مسكويه: ج١، ص٣٠؛ وعن سكناهم أطراف الكوفة أنظر: القرطبي: صلة تاريخ الطبري، ص١٦٤؛ مسكويه: ج١، ص٣٠؛ الصولي: أخبار الراضي والمتقي لله، ص٢١٥؛ ابن خلدون: م٤، ص١٩.

٢. الطبري: م٣، ص١٦٢٣ـ١٦٢٤؛ المسعودي: مروج، ج٦، ص١٤٧؛ ابن الأثير: ج٤، ص٣٥.

٣. الطبري: م٣، ص٢٢٥٩ـ٢٢٦٠؛ E1. (z) (Asad).

٤. الطبري: م٣، ص١٨٥٠، إلا أنه لم يكن لهم خطة بالبصرة. ابن دريد: ص٥٠١.

٥. ابن بطوطة: الرحلة، ص١٨٣.

٦. التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١، ص١١٨.

٧. محمد بن عبد الملك الهمداني: تكملة، ج١، ص١٦٧.

وفي مناطق أخرى أنظر: اليعقوبي: البلدان، ص٣٥٣؛ في مدينة أسطيف. وكذلك في ←

وفي القرن الرابع الهجري، أصبح بنو أسد قوة يُعتمد عليها، فقد وقفوا الى جانب الحمدانيين سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م[١]. وأعتمد عليهم البويهيون أثناء منازعاتهم على السلطة[٢]. وتعدّ فعاليات بني أسد السياسية في هذا القرن البدايات الأولى لإتجاه بني مزيد، كما سنوضحه فيما بعد.

ويرى الأستاذ بوزورث أن عائلة بني مزيد لم يظهر لها دور في التاريخ حتى السنوات الأولى من القرن الخامس الهجري بعد أن منح البويهيون مزيداً حماية سورا في حين تؤكد المعلومات السابقة أن لبني أسد شأناً في الحياة السياسية والإجتماعية في المنطقة[٣] قبل هذا التاريخ.

← دمشق المقريزي: السلوك، ج٢، ق١، ص٨٣. ويوجد بعض الأشخاص في الرقة. البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٢٦٦، ج٨، ص٤٨٩. وفي حلب، ابن العديم: ج١، ص٨٩، ج٢، ص٢١. وفي قنسرين (نقرة بني أسد) ابن العديم: ج١، ص٢٠.

١. محمد بن عبد الملك الهمداني: تكملة، ج١، ص١٦٧.

٢. ابن خلدون: م٣، ص٩١٧.

٣. ينظر مقالة Mazayd في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة بالإنجليزية) بقلم الأستاذ: Bosworth.

الفصل الثالث

أمراء بني مزيد



الحديث عن بداية ظهور بني مزيد وتطور إمارتهم في منطقة الفرات الأوسط ضد السلطة الحاكمة في بغداد يتطلب منا إلقاء نظرة عامة على ظروف وطبيعة السلطة المركزية في ذلك الوقت. فأول رواية جاء فيها ذكر بني مزيد هي تلك التي أوردها ابن الجوزي التي يعود تاريخها الى فترة الوزير المهلبي، وزير معز الدولة البويهي. والظاهر أن المزيديين لم يلعبوا في تلك الحقبة التاريخية أي دور سياسي مهم لسببٍ واضح وهو قوة السيادة البويهية في زمن معز الدولة الذي دام حكمه من سنة ٣٣٤ـــ٣٥٦هـــ/٩٤٦ـــ٩٦٧م. ومع أن أسمهم قد ورد خلال فترة حكم معز الدولة، إلا أنه يختفي تماماً من مسرح الأحداث السياسية التي سادت فترات حكم بختيار ابن معز الدولة وعضد الدولة وصمصام الدولة وشرف الدولة ليظهر من جديد في فترة حكم

بهاء الدولة (٣٧٩ـ٤٠٣هـ/٩٨٩ـ١٠١٢م). إنه من الصعب تحديد سبب هذا الغموض في تاريخ المزيديين، ولا ندري هل هو عائد الى صمت المؤرخين في تسجيل حوادث المزيديين، أم أنه يعود الى أمر آخر هو أن المزيديين لم يلعبوا أي دور سياسي خلال تلك الفترة أو بصورةٍ أدق لأنهم لم يشكلوا قوة سياسية ذات أهمية في المنطقة.

من الواضح أن بهاء الدولة البويهي قد حكم فترة طويلة نسبياً إلا أنه خلال أغلب هذه الفترة كان منشغلاً بحروبٍ مع أفراد أسرته المنافسين لسلطته في الري، وفارس، والأهواز، وكرمان، والجزيرة[١]. إن أهم النتائج السلبية التي رافقت هذا الإضطراب السياسي لسلطة البويهيين هو ضعف سيطرتهم على العراق مما ساعد على تبلور ثورة بني عقيل في الموصل التي أمتد نفوذهم أيضاً الى بعض المناطق في الفرات الأوسط. وكذلك الى ظهور بني مزيد قوة على المسرح السياسي وتوسع نشاطاتهم، ثم الى أزدياد هجمات القبائل البدوية على الحُجّاج والمسافرين الى مكة، كما حدث في سنوات ٣٩٢هـ/١٠٠١م، ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، ٣٩٩هـ/١٠٠٩م[٢].

ينتمي بنو مزيد، كما أشرنا قبل ذلك، الى عشيرة من بني أسد[٣]. وهناك ثلاث روايات عن شجرة أنسابهم أوردها كل من أبي البقاء هبة الله،

---

1. Kabir, The Buwyahid pp. 77 _ 85 .

٢. أنظر عن هذه الحوادث: ابن الجوزي: ج٧، ص٢١٩، ٢٤٤؛ ابن الأثير: ج٨، ص٢٢٣، ج٩، ص٧٧؛ سبط ابن الجوزي: (مخطوطة المتحف البريطاني) ورقة ١٩٤ (ب).

٣. أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٤.

والزبيدي، وصاحب كتاب بحر الأنساب المسمى بالمشجّر الكشّاف. والذي يبدو أن مؤلف الكتاب الأخير قد نقل شجرة الأنساب عن الزبيدي غير أن الشجرة التي قدّمها المؤلف الأول تحتوي على بعض الأختلافات عما هو موجود في شجرة الزبيدي. وبما أن مخطوطة المناقب المزيدية هي الأكثر أختصاصاً في أنساب بني أسد لذلك فمن المُحتمل أن تكون أصح الشجرات من حيث طابعها العام. لقد جاءت شجرة أنسابهم في هذه المخطوطة على أنهم أولاد مزيد بن مرثد بن الديّان بن عذور بن عدلي بن جلد بن جبي بن عبادة بن مالك بن عمرو بن أبي المظفار ومالك بن عوف بن معاوية بن كسر بن ناشرة بن نصر بن سواه بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان[١]. وكان بنو مزيد كما هو الحال في أغلب القبائل العربية التي سكنت الفرات الأوسط، من الشيعة. ويشير الأستاذ بوزورث أن المزيديين كانوا شأنهم شأن الكثير من القبائل العربية في أطراف الصحراء السورية شيعة.

في دراستنا لتطور قوة الإمارة المزيدية سياسياً وتوسع نفوذها في العراق سوف نركز على نشاطات وفعاليات كل أمير من أمرائها.

---

١. البقاء: المناقب المزيدية (مخطوطة)، ورقة: ١١٢ (أ)، ينظر المحقق: ج١، ص٣٦٢؛ أما الزبيدي (تاج العروس، مادة حلل، ج٧، ص٢٨٣) فقد ذكرهم على أنهم بنو مزيد بن مرثد بن الديان بن خالد بن حي بن زنجي بن عمرو بن خالد بن مالك بن عوف بن مالك بن ناشرة بن نصر بن سواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد. وقد ذكرهم صاحب بحر الأنساب المسمى بالمشجر الكشاف، ص٢٥٦. على أنهم بنو مزيد بن مرشد بن السريان بن خالد بن حي بن زنجي بن عمرو بن خالد بن مالك بن عوف بن مالك بن ناشرة بن تعز بن سواه بن سعد بن مالك بن ثعلب بن دودان بن أسد بن خزيمة.

إن صاحب مقالة "المزيديون"[١] في دائرة المعارف الإسلامية قد أعتمد على قول ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٣هـ عندما خلع سلطان الدولة البويهي على علي بن مزيد، وقد بنى على هذه الرواية أستنتاجاً هو قوله أنها الإشارة الأولى في التاريخ نشأة كيان الإمارة المزيدية، غير أن هناك بعض الروايات التي ذكرها الروذراوري وابن الجوزي وحتى ابن الأثير نفسه التي يُستشف منها أن تأسيس الإمارة المزيدية يرجع الى سنوات أقدم من التاريخ المذكور آنفاً.

قال ابن الجوزي إن أول من ملك من هذا البيت هو مزيد وإليه يرجع المزيديون، وقد عهد إليه "أبو محمد المهلبي وزير معز الدولة أبي الحسين ابن بويه حماية سورا وسوادها، فوقع الأختلاف بين بني بويه وكان يحمي تارة ويغير أخرى وبعث به فخر الملك أبو غالب الى بني خفاجة سنة القرعاء فأخذ الثأر منهم ومات"[٢] وتظهر هذه الرواية أن الإشارة الأولى لتحمل مزيد مسؤولية حماية منطقة سورا كان في فترة وزارة المهلبي التي أمتدت بين ٣٤٥-٣٥٢هـ/٩٥٦-٩٦٣م. كما أن الرواية ذاتها تصرّح بأن مزيد أستمر في حمايته للمنطقة حتى زمن فخر الملك أبي غالب... ومع أن فخر الملك هذا كان يشغل منصب الوزير لبهاء الدولة، إلا أنه تلقب بفخر الملك بعد تعيينه

---

١. Mazydis) EI (1) by Zettersteen)؛ بقلم الأستاذ بوزورث Bosworth. ينظر: مقالة Mazyad في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة).

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٥.

حاكماً على بغداد من قبل بهاء الدولة وبعد وفاة حاكمها السابق عميد الجيوش في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م. ولقد أمتدت فترة حكم فخر الملك في بغداد من سنة ٤٠١هـ حتى ٤٠٧هـ/١٠١٠ـ١٠١٦م. وعلى هذا فإن ابن الجوزي يناقض ما صرّحت به الروايات الأخرى التي لم يرد فيها أسم مزيد خلال فترة حكم فخر الملك. فقد ذكر الروذراوري (وتبعه في ذلك ابن الأثير[١] في سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م) روايتين تتعلقان ببعض الحوادث السياسية التي جرت بين علي بن مزيد الأسدي، أمير بني أسد، وبين بهاء الدولة، وكذلك بينه وبين المقلد العقيلي. ومن هاتين الروايتين يتبين لنا أن علياً كان الأمير المزيدي في زمن فخر الملك وليس مزيداً. ومن المحتمل أن يكون مزيد قد مات في أوائل حكم بهاء الدولة، وأعقبه علي على الإمارة.

ومن الجهة الأخرى فإن رواية ابن الجوزي تُظهر بوضوح فكرة وجود الإمارة المزيدية قبل سنة ٤٠٣هـ وأن مزيداً كان متقلداً بصورة رسمية حماية منطقة سورا في الفرات الأوسط. والظاهر أن الدور الذي لعبه مزيد في المنطقة كان مرتبطاً بالظروف السياسية للسلطة البويهية. فالبويهيون، لاسيما بعد وفاة معز الدولة، أخذوا يتصارعون فيما بينهم على السلطة في بغداد، مما أدى الى ضعفهم وتفتيت قوتهم بحيث لم يستطيعوا في كثير من الفترات صدّ

---

١. الروذراوري: ذيل، ص٢٩٥ وما بعدها، ٣٠٤؛ ابن الأثير: ج٩، ص٥٠ ـ ٥١ ولقد ناقش جورج مقدسي هذه النقطة بصورة جيدة في مقالته: Makdisi, 'Notes on the Hilla and the Mazydids in Medieval Islams in JAOS (1954) pp. 259_62.

هجمات القبائل على المناطق القريبة من بغداد. ولـذلك فقد كانت وظيفة مزيد بالدرجة الأولى المحافظة على تلك المنطقة من هجمات القبائل الأخرى. ومن الناحية الأخرى فإن أضطراب سلطة البويهيين قد ساعدت مزيداً وغيره من الأمراء على توسيع نفوذهم السياسي. وهذه المعلومة يمكن أن تكون رداً على ما ذكره الأستاذ يوزورث من أن أسرة بني مزيد لم يظهروا في التاريخ إلا في السنوات المبكرة من القرن الخامس الهجري.

وعلى الرغم من كون مزيد أول شخصية ذكرت في تاريخ بني مزيد، إلا أن علي بن مزيد يعدّ الواضع الحقيقي لأسس الإمارة المزيدية، وهذا الأمر يتضح من كيفية معالجته للمشاكل التي واجهته. والذي يبدو أن منطقة سورا بقيت هي المنطقة الرئيسة التي كانت تحت سيطرة علي، وهو في الواقع قد ورثها من أبيه. وكان يدفع مقداراً من المال سنوياً الى البويهيين في مقابل حمايته لتلك المنطقة. فالمشروع الأول الذي أراد تحقيقه هو توسيع حدود إمارته وتثبيت أركانها. وقد حاول أولاً أن يبدأ ذلك على حساب الممتلكات التابعة لبني عقيل، حيث كان لبني عقيل أصحاب الموصل سيطرة على عدد من المواضع في منطقة الفرات الأوسط. وقد جاءت الفرصة ملائمة لعلي في حوالي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م عندما أختلف كل من الأخوين المقلد بن المسيب العقيلي وعلي بن المسيب حول السيادة على الموصل، في ذلك الحين سيطر علي بن مزيد على الأنبار، إلا أن سيطرته لم تدم طويلاً إذ أستطاع المقلد بن المسيب بعد وصوله الى الصلح مع أخيه أن تجريد حملة ضد الأنبار

ومحاربة علي بن مزيد الذي هرب بعد المعركة الى مهذب الدولة. وقد قام الأخير بإصلاح أمره مع المقلد[١].

وفي السنة ذاتها أعلن علي بن مزيد تمرده على بهاء الدولة عندما طالبه هذا بتقديم مقدار من المال المقرر عليه، ومن المحتمل أن علياً أستغل فرصة غياب بهاء الدولة عن بغداد وأختلافه مع صمصام الدولة. وأعقب عمله هذا بوقوفه الى جانب صمصام الدولة وإقامة الخطبة له في المناطق الخاضعة للمزيديين. ولم يقف علي عند ذلك فقط بل إنه أراد تحقيق جزءاً من مشروعه التوسعي فأرسل قبيلة بني أسد للهجوم على واسط ونواحيها. غير أنه لم يوفق في ذلك، إذ جهز ضده بهاء الدولة جيشاً بقيادة أبي جعفر الحجّاج وقد أجتمع هذا الجيش مع جيش أبي العباس بن ماسرجس في واسط. فلم يستطع على مواجهة كل هذه الجيوش لذلك قرر الهرب، ومن هناك راسل قوّاد الجيش البويهي مستعطفاً طالباً منهم إصلاح أمره مع بهاء الدولة، وقد بذل الأموال لذلك، فوافق بهاء الدولة على ذلك وأقره على ممتلكاته[٢].

من المحتمل أن علياً بعد فشله في المشروعين السابقين ركن الى الهدوء ومراقبة تطورات الظروف السياسية للبويهيين في الوقت نفسه. وفي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م حدث أصطدام بين قرواش بن المقلد العقيلي الذي أستطاع السيطرة على المدائن وبين الجيش البويهي بقيادة أبي جعفر الحجّاج. وقد

١. الروذراوري: ص٣٠٤؛ ابن الأثير: ج٩، ص٥٠ ـ ٥١.
٢. الروذراوري: ص٢٩٥ وما بعدها؛ ابن الأثير: ج٩، ص٥١.

تمكن الجيش البويهي من إزاحة قرواش عن المدائن وسيطرته عليها. أما علي فإنه بادر الى الاجتماع مع العقيليين ضد الجيش البويهي، ولهذا فإن ميزان القوى تحول الى جانب القبائل العربية. إلا أن قائد البويهيين طلب النجدة من قبيلة خفاجة، التي كانت آنذاك في الشام. وبمساعدة هذه القبيلة أصبح الجيش البويهي قادراً على دحر القبائل العربية في معركة دارت رحاها بالقرب من الكوفة، وقد هرب علي بن مزيد بعد فشله تاركاً حلله وأمواله عرضةً للنهب من قبل البويهيين وخفاجة[١]. لا شك أن من بين الدوافع التي جعلت علي بن مزيد يُسارع الى مساندة بني عقيل هو العاطفة القبلية، وكرهه الخضوع للسلطة المركزية فقد كان يدفع لها كما مرّ بنا، أربعين ألف دينار سنوياً مقابل حمايته المنطقة، ثم الأهم من ذلك طمعه في الحصول على بعض الممتلكات.

أما بخصوص موقف المزيديين بعد فشلهم في الحرب السابقة، فالذي يبدو أن علي بن مزيد دخل أيضاً في مفاوضات للصلح مع السلطة المركزية في بغداد والتي كان يمثلها آنذاك أبو علي بن أستاذ هرمز الملقب بعميد الجيوش. ووفقاً لرواية ابن الجوزي فإن عميد الجيوش أقره على حماية بلاده مقابل دفعه المبلغ المذكور (٤٠ ألف دينار سنوياً)[٢]. غير أننا لا نعرف فيما إذا كان هذا المبلغ هو مقابل حمايته للمنطقة نفسها، أعني سورا، أم أن هناك مناطق

١. ابن الأثير: ج٩، ص٦٤.

٢. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٢٣؛ ابن كثير: ج ١١، ص٣٣٢.

أخرى جديدة؟ إلا أنه بالإعتماد على رواية ابن الجوزي التي ذكرها في حوادث سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م يمكن القول بأن علياً أصبح حامياً لمناطق أخرى. قال ابن الجوزي في تلك السنة أن الخليفة القادر أخذ ما كان يملكه علي بن مزيد من كوثى ونهر الملك وسلمها لقرواش العقيلي[١]. ولكن الخليفة أعاد في السنة التالية (٣٩٧هـ) تلك الأملاك لأبن مزيد، وبالإضافة الى ذلك فإنه منحه لقب سند الدولة[٢].

يبدو من ذلك أن العامل الرئيس لذلك القلق السياسي وتبدل ميول الخليفة والأمير البويهي كان عاملاً مادياً، فمن المحتمل أن يكون قرواش العقيلي قد قدّم مبلغاً أكثر مما كان مقرراً على ابن مزيد مما جعل الخليفة يغير رأيه في ابن مزيد. والرواية من الجانب الآخر تلقي ضوءاً على نوعية أملاك علي فقد كانت كل من كوثى ونهر الملك وسورا من المناطق التي تمتاز بالخصوبة وكثرة الضياع والقرى[٣].

إن منح الخليفة علي بن مزيد لقب سند الدولة قد يعتبر نقطة تحول في المكانة السياسية لعلي، لاسيما وأن الألقاب في ذلك الوقت مع كثرة أنتشارها كانت تعكس أهمية خاصة من الناحية السياسية[٤]. فلقب سند الدولة مثلاً

---

١. ابن الجوزي: ج٨، ص١٤٧؛ ولا تذكر المصادر الأخرى هذه الرواية.

٢. ن.م. ج٧، ص٢٣٤؛ ابن كثير: ج١١، ص٣٣٧.

٣. سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، ص١٢٤؛ الإصطخري: مسالك، ص٨٥.

٤. كان الخليفة هو الذي يختص بمنح الألقاب للوزراء والقواد والأمراء، ويرجع ذلك الى أنه كان المرجع الأول في تعيين الولاة، وكان الوالي حريصاً على أن يحصل أذناً وموافقة رسمية ←

يعني أن علياً أصبح معولاً عليه في الحماية والدفاع عن الدولة ومقرباً من الخليفة، ولهذا يعتبر أول شخص حصل على هذا اللقب من بين قبيلة بني مزيد.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الألقاب والمنح كانت مقابل خدمات وواجبات يقوم بها الأمير المزيدي، إضافة الى ما يقدمه من أموال. لهذا نرى في سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م عندما أعترض البدو الحجّاج القادمين من مكة أرسل علي بن مزيد أخاه حماداً لمساعدة الحجّاج، فجاء بهم هذا الى المدائن ثم الى بغداد سالمين[1]. وفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م تعرضت قبيلة خفاجة لطريق الحجّاج وألقت الحنظل في المياه، الأمر الذي أدى الى موت عدد كبير من الحجّاج ـ قدرهم ابن الجوزي مع شئ من المبالغة بخمسة عشر ألف إنسان ـ حينذاك أمر فخر الملك علي بن مزيد بملاحقة خفاجة ومحاربتهم. وبالفعل فقد نفّذ ابن مزيد الأمر وحارب خفاجة وأوقع بهم وأرسل الأسرى والأمتعة التي أخذوها من الحجّاج الى فخر الملك، فاستحسن عمله، وخلع عليه[2].

← من الخليفة، حتى تصبح ولايته رسمية، لهذا لا يحق لأحد أن يمنح الألقاب. كما أن اللقب لا يعتبر ساري المفعول دون مصادقة الخليفة... عن الألقاب وأهميتها السياسية ينظر: ياقوت: الأدباء، ج٢، ص٦٣؛ القلقشندي: صبح، ج١، ص١١٢؛ ج٦ فصل الألقاب؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٤٣؛ نظام الملك: سياستنامة (إنكليزي)، ص١٥٢ ــ ١٦٣؛ حسن باشا: الألقاب الإسلامية، ص٦٠، ٩٠.

١. سبط ابن الجوزي: مرآة (مخطوط في أسطنبول) مجلد ١١، ورقة ٢٥٧ (ب).

٢. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٦٠ ـ ٢٦١، ٢٦٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص٨٨، ٩٠ يضع الحادثة في سنة ٤٠٢هجرية؛ سبط ابن الجوزي: (مخطوط المتحف البريطاني) ورقة ١٩٩ (أ ـ ب).

ومع أننا لا نعرف نوع الخلعة التي يحتمل أن تكون أعترافاً رسمياً بإمارة علي أو منحه بعض الأملاك والهدايا. وهنا أيضاً فإن علياً يعتبر أول شخص خلع عليه من بين قبيلته. وعلى الرغم من الأهمية التي تعكسها هذه الرواية، إلا أنه لا يمكن أعتبارها الإشارة الأولى لإعتراف السلطة المركزية بالإمارة المزيدية. وذلك لأن مزيد وعلي بن مزيد كانا متقلدين حماية منطقة سورا رسمياً وبموافقة السلطة أيضاً إلا أن الأختلاف المهم الذي حدث في هذه الفترة هو أن علياً أصبح ذا نفوذ وقوة كبيرتين بين القبائل العربية، كما أن خدماته الناجحة في تعقّب القبائل ومساعدة الحجّاج أكسبته أهمية كبيرة وساعدت على إبراز شخصيته من الناحية السياسية. فمما أورده ابن الأثير في سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م أن زعيم خفاجة أراد طلب الصلح من فخر الملك حاكم العراق وأستشفع بعلي بن مزيد لأن يتوسط في أمره، وفعلاً فإن فخر الملك رضي عنه وفرض عليه بعض العهود. غير أن خفاجة نكثت بالعهود مرةً أخرى وهاجمت سواد الكوفة ونهبته، وأثارت الرعب في نفوس الأهالي، مما أدى الحال الى مكاتبة فخر الملك لعلي بن مزيد بتعقب ومحاربة خفاجة. وقد سار إليهم علي وأوقع بهم وأسر زعيمهم[١]. ومن المحتمل أن هجوم خفاجة على الكوفة وسوادها، ثم كفاية ابن مزيد في ردّها دفعت فخر الملك الى أن يجعله نائباً على بلاده الكوفة[٢]. ومن الحوادث الأخرى التي تُظهر أتساع نفوذ علي بن مزيد السياسي في منطقة الفرات الأوسط، إضافة الى أتساع رقعة

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٩١.

٢. أبو الفداء: المختصر، م١، ج٤، ص٣٩؛ ابن كثير: ج١١، ص٣٥٢.

أملاكه ما حدث سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م عندما حدثت فتنة بين السُنّة والشيعة في واسط، نهبت على أثرها محلات الشيعة والزيدية، لذلك قصد وجوه الشيعة علي بن مزيد يستغيثون به ويستنصرونه[١]. على الرغم من أن بني بويه كانوا يميلون أيضاً الى هذا المذهب، وهم أصحاب السلطة والنفوذ في بغداد، ويدل توجه أهالي واسط الى ابن مزيد واستنجادهم به دلالةً واضحةً على سعة نفوذه وسلطته أولاً، وعلى أنه أصبح أيضاً مسؤولاً عن المناطق المجاورة لمدينة واسط. ومما ينبغي ذكره في هذا المجال أن مدينة النيل التي تقع بالقرب من واسط كانت المركز المهم الذي سيطر عليه المزيديون، وقد أشتهرت في بداية تاريخهم إذ أتخذها علي بن مزيد عاصمة ومركزاً لهم، قبل أنتقالهم الى الجامعين والحلّة[٢]. لقد كان لعلي بن مزيد بالإضافة الى نفوذه السياسي، مكانةً في عالم الأدب، فمدحه عدد من الشعراء منهم مهيار الديلمي الذي بعث قصيدة الى النيل سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م أنشد فيها:

قُل للأمير ولو قلت، السماء به أعطيت مالك، حتى دبّ حادثه

مفضوحه الجود، لم تظلم ولم تحبِ أردت فيها الذي تعطى فلم تُصبِ[٣]

---

١. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٨٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص ١١١؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٩٦.

٢. أنظر: مهيار الديلمي: ديوان، ج١، ص١٨؛ ابن الأثير: ج٩، ص٩٣، ١٤٠؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص١٩٢؛ ابن الوردي: تتمة، ج١، ص٣٢٦.

٣. مهيار الديلمي: ديوان، ج١، ص١٨ ـ ١٩، ٢٠.

وهذه الأبيات تصور كرم علي بن مزيد. وهناك دليل آخر على صفاته الحميدة هو ما قام به سنة ٤٠٢هـ عندما نهبت قبيلة خفاجة الأنبار فقبض على زعيمها وأسر الكثير من أفرادها رأينا علي بن مزيد يشفع لهم ويبذل الأموال الكثيرة عنهم الى أن أطلقهم من أسرهم[١]. على الرغم من أن علاقته ببني خفاجة لم تكن وثيقة وحسنة كما تقدم، فقد كان لأبيه ثأر معهم، كما أنهم أتفقوا سنة ٣٩٢هـ مع البويهيين ضده ونهبوا حلله وأمواله، جنباً الى ما قاموا به نهب بعض الأماكن التابعة لسيطرته وخاصة الكوفة، وما قاموا به من عرقلة طريق الحاج الذي يعود أمر تأمينه والمحافظة عليه له. والعمل هذا يثبت كرمه ومروءته. وحدث مثل ذلك في سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م عندما أستشفع سلطان بن ثمال الخفاجي، رئيس بني خفاجة بابن مزيد على أن يتوسط له عند فخر الملك ليرضى عنه فأجابه على ذلك[٢].

علاقة المزيديين ببني دبيس

من المشاكل الأخرى التي جابهها علي بن مزيد في دور تأسيسه الإمارة المزيدية بالإضافة الى مشاكله مع السلطة المركزية وبعض القبائل العربية المجاورة التي أشرنا الى بعضها فيما تقدم هي علاقته مع أقاربه بني دبيس.

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٨٨.

٢. ن.م. ج٩، ص٩١.

يرجع بنو دبيس في نسبهم الى أسد[١] وقد سكنوا في نواحي خوزستان في جزيرة تعرف بأسم الجزيرة الدبيسية[٢]. وقال ياقوت الحموي عن موضع الحويزة أنه "موضع حازه دبيس بن عفيف الأسدي في أيام الطايع لله ونزل فيه بحلته وبنى فيه أبنيته وليس بدبيس بن مزيد... ولكنه من بني أسد أيضاً"[٣] وبذلك أزال ياقوت الشك عن نسب بني دبيس وأوضح أنهم غير بني مزيد. ومساكن بني دبيس، الحويزة التي تقع بين واسط والبصرة وخوزستان في وسط البطائح[٤]، ولهم أيضاً حلّة بأسم حلّة بني دبيس بن عفيف الأسدي وتقع بين الحويزة والبصرة والأهواز[٥]. ويهمنا مما يخصهم من الروايات تحديد أماكن سكناهم، ومعرفة الفترة التاريخية التي جاءوا فيها وأستقروا في تلك المناطق، وقد صرّح ياقوت أنها كانت أيام الطائع الذي تقلّد الخلافة سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م.

---

١. أنتظر: الروذراوري: ص٧٩؛ ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٧١؛ ابن خلدون: م٤، ص٥٩٠؛ القلقشندي: نهاية الإرب، ص٤٢.

٢. لعلها تسمى الآن الدبيسات التي تقع بين العمارة والأهواز.

٣. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٧١ وما بعدها.

٤. ن.م. أنظر أيضاً عن الحويزة: Sehwarz, P.: Iran im mittelalter nach den Arabischen 93_geographen, pp. 392

٥. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٣؛ المشترك، ص١٤٣؛ ولهم أيضاً الهمامية وهي من نواحي واسط. أنظر: ياقوت: البلدان، ج٤، ص٩٨٠.

كانت العلاقة بين المزيديين وبني دبيس في بداية الأمر حسنة، فبالإضافة الى النسب المشترك، هناك صلة المصاهرة بينهم، وكما أورد ابن الأثير أن محمد بن مزيد الملقب بأبي الغنائم كان متزوجاً من بني دبيس، وكان مقيماً في جزيرتهم[1]. والظاهر أن هذا الأمير لم يلعب دوراً مهماً في تاريخ بني مزيد، ومن المحتمل أيضاً أن سيطرة علي بن مزيد القوية على الإمارة جعلته يقيم عند بني دبيس. وقد أجمعت الروايات بالقول أن محمداً هذا أصبح سبباً في توتر العلاقة بين المزيديين وبين بني دبيس[2]، حيث أنه في سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م قتل أحد وجوه بني دبيس وهرب الى أخيه علي بن مزيد، فتبعه بنو دبيس، وتهيأ الطرفان للحرب. أما بالنسبة الى رواية ابن الأثير الذي لم يذكر مصدرها أن علياً أستنجد بعميد الجيوش البويهي فإنحدر هذا بزبزبه ومعه ثلاثين ديلمياً، إلا أنه وصله خبر هزيمة علي بن مزيد وقتل أخيه محمد فرجع الى بغداد. في حين سكت بعض المؤرخين أمثال أبو الفداء وابن الوردي عن مثل هذه التفصيلات وأكتفيا بذكر المعركة التي كانت نتيجتها قتل محمد بن مزيد وهروب علي[3]. وقد أعقبتها حرب ثأرية أخرى في سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م فقد أراد علي بن مزيد أن يثأر لأخيه من مضر ونبهان وحسّان وطرّاد من بني دبيس وقد سبق أن أوضحنا أن علياً هرب

١. ابن الأثير: ج٩، ص٨٣.

٢. ن.م.

٣. أبو الفداء: م١، ج٤، ص٣٤؛ ابن الوردي: تتمة، ج١، ص٣٤١؛ وقد وضع أبو الفداء هذه الحادثة سنة ٣٩٩هجرية.

في المعركة الأولى وأنه بقي طيلة الفترة من ٤٠١ــ٤٠٥هــ يستعد ويتهيأ ويجمع المحاربين حتى أنه جمع عدداً كبيراً من العرب والأكراد. وقد حاولت زوجة علي بن مزيد التي هي أخت مضر بن دبيس أن تتدخل في الأمر ولكن دون جدوى. وأخيراً وقعت الحرب بينهما وأنتصر علي بن مزيد وقتل من بني دبيس حسان ونبهان، ولحقهم علي الى الحويزة، ثم نهب بيوتهم. وإعتماداً على رواية ابن الأثير أن من جملة ما وجد عندهم مكاتبات من فخر الملك البويهي بحث بني دبيس على قتال علي بن مزيد ويشجعهم على ذلك[١]. ولهذا توترت العلاقة بين الطرفين، وقد لعبت فيها التقاليد البدوية كالأخذ بالثأر دوراً رئيساً. ومع ذلك فهناك بعض النقاط الأخرى التي يمكن أستنتاجها من رواية ابن الأثير فيما إذا كانت الرواية صحيحة. إذ يمكن الإستنتاج أن السبب الرئيسي في توسيع شقة الخلاف بين الطرفين هو الحاكم البويهي عميد الجيوش الذي كان يُراسل بني دبيس سراً ويحرضهم على قتال ابن مزيد، وإذا ما رجعنا الى المعركة الأولى التي حدثت سنة ٤٠١هـ عندما طلب علي بن مزيد النجدة من عميد الجيوش بإعتباره المرجع الأعلى للمزيديين والموجه العام للواجبات المفروضة عليهم، وبالفعل فقد لبّى عميد الجيوش طلب علي فتوجه بزبزبه لمساعدته، غير أنه لم يصل في الوقت الملائم[٢] إذ من المحتمل أن يكون تأخره متعمداً حتى يبقى ابن مزيد وحيداً في

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٩٢ ـ ٩٣؛ ولم يورد أبو الفداء (م١، ج٤، ص٣٩) وابن الوردي (ج١، ص٣٢٦) هذه التفصيلات. كما أن أبا الفداء وضع الحادثة في سنة ٤٠٤ هجرية.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٨٣.

المعركة، وفعلاً فقد خسرها وهرب من بلاده وقتل أخوه. أما سبب تدخل البويهيين فهو واضح وجليّ، فقد كان علي بن مزيد واسع النفوذ إذ ضمّ إليه منطقة واسعة في الوقت الذي كان فيه الأمراء البويهيون منشغلين بمنازعاتهم الداخلية حول السلطة. ولهذا فإنه ليس من الممكن الحدّ من قوة المزيديين إلا بإثارة قبيلة أخرى ضدهم، وقد وجدوا في بني دبيس عاملاً قوياً للقيام بهذا العمل، فهم من بني أسد، ثم أنهم سبق وأن أشتركوا الى جانب البويهيين في معارك كثيرة[1] وأخلصوا لهم. إضافة الى كونهم من قبيلة قوية لها السيطرة على منطقة خوزستان، وبنجاح هذه الخطة يتحقق لهم أحد هدفين، إما هزيمة علي بن مزيد والاستيلاء على بلاده، أو هزيمة بني دبيس فتضعف قوتهم. وما حدث بعدئذٍ يدعم هذا الإستنتاج فإنه عندما نجح علي بن مزيد في حربه عاتب فخر الملك بما عثر عليه من مكاتبات بينه وبين أعدائه، فإعتذر له فخر الملك وقلّده أعمال بني دبيس في الجزيرة الأسدية إعترافاً بقوته[2].

والشئ الآخر المهم في حرب علي الأخيرة مع بني دبيس أنه لم يعتمد على عشيرته فقط بل أستمر طيلة حوالي أربع سنوات يتجهز ويتهيأ فجمع الأعراب والأكراد الى صفوف جيشه. وهذا الأمر يدعو الى التساؤل أأن بني

---

١. أنظر: مسكويه: ج٢، ص٣٦٩؛ الروذراوري: ص٨٠؛ محمد بن عبد الملك الهمداني: تكملة، ص٢٦١ ـ ٢٦٢.

٢. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٧٠؛ الغساني: مخطوط المسجد المسبوك، ج١، ورقة ١٧ (ب)، وقد حقق الجزء الثاني منه الذي يبدأ بحوادث سنة ٥٧٥ هجرية حتى ٦٥٦ هجرية وطبع في بغداد ١٩٧٥م حققه د. شاكر عبد المنعم.

مزيد كانت تنقصهم القوة العسكرية أم ليست لهم إمكانية الدخول في الحرب لمفردهم، أم أن هناك سبباً آخر؟ من المحتمل جداً أن يكون أفراد القبيلة قد أنقسموا قسمين، فمنهم من يؤيد بني دبيس لاسيما وأنهما من صلبٍ واحد وربما كان هذا الفريق المؤيد لبني دبيس يمثل الأكثرية. مما لا شك فيه أن إعتماد علي على المرتزقة من الأعراب والأكراد كوّن نقطة ضعف في جيشه حتى بعد أنتصاره على بني دبيس وهروب مضر من المعركة. وكما قال ابن الأثير أن مضر أستطاع أن يجمع عدداً من المقاتلين وأن يهاجم أبا الحسن علي بن مزيد ليلاً مما أدى الى هروبه.

توفي علي بن مزيد سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م بعد أن كافح طيلة عشرين سنة في سبيل تحقيق مشروعه المتضمن تثبيت أُسس الإمارة المزيدية وتوسيع حدودها، وقد كان موفقاً الى حدٍّ كبير في كليهما.

كان له من الأخوان أبو الغنائم محمد الذي كان مقيماً، كما سبق ذكره، في الجزيرة الدبيسية، وقد قتل خلال الحرب مع بني دبيس في سنة ٤٠١هـ غير أننا لا نعرف شيئاً آخراً عن حياته وأهميته ودوره في الإمارة المزيدية. ومن المحتمل أن أبا الغنائم هذا كان غير راضٍ عن إمارة أخيه، ومنشقاً عليه. أما أخوه الآخر حمّاد، فلم يرد ذكر له في الحوادث التاريخية، ولكن جاء ذكر لأبنائه الثلاث شبيب الملقب بأبي الحملات وكان أديباً وشاعراً وله مكاتبات شعرية مع الشاعر مهيار الديلمي، وسرايا ووهب. بينما كان لعلي بن مزيد

أولاد منهم أبو قوّام ثابت بن علي. والمقلد بن علي ونور الدولة دبيس بن علي[١].

وقد أتفق المؤرخون على أن علياً قبل موته كان قد جعل أبنه دبيس ولي عهده على الأعمال التابعة للإمارة المزيدية، ولكي يكسب ذلك الصفة الرسمية فإنه أيضاً طلب من السلطة المركزية الإعتراف بأبنه. وفعلاً فقد أقرّت السلطة البويهية ذلك وخلع على دبيس خلعة ثم قرأ المنشور بولايته[٢]. ولقد أمتدت إمارة دبيس من سنة ٤٠٨ــ٤٧٤هـ/١٠١٧ــ١٠٨١م وهي فترة طويلة واجه فيها كل من دبيس والإمارة المزيدية تحدياتٍ داخلية وخارجية وتطورات مع السلطة الأجنبية، ففي هذه الفترة ظهرت المنافسات الشخصية بين أفراد القبيلة ضد سيطرة دبيس، وفيها أشتدت ضربات القبائل المجاورة، والأهم من كل ذلك فإنه في هذه الفترة أنتهت سيطرة البويهيين على العراق لتحلّ محلها سيطرةٍ أجنبيةٍ أخرى وهم السلاجقة. ولذلك نرى دبيس في جميعها منشغلاً في التغلب على مشاكله مع منافسيه ومحاولاً أعطاء إمارته مظهراً آخراً وذلك بإستغلاله التبدلات السياسية للسلطة المركزية.

---

١. أنظر: مهيار الديلمي: ج١، ص١١٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص١١٤، ١٤٠، ١٦٣؛ Zambaur: Manuel de genealogie et de chronologie pour L'histoire de L'Islam, p. 137 Lane_poole, S.: The Mohammadan dynasties (1893) p. 120.

٢. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٨٩؛ ابن الأثير: ج٩، ص١١٤؛ سبط ابن الجوزي: مرآة (مخطوط في أسطنبول) مجلد ١٢، ورقة ١٦ (ب) حقق القسم الخاص بتاريخ السلاجقة من سنة ١٠٥٦ ــ ١٠٨٦ علي سويم (أنقرة: مطبعة الجمعية التاريخية التركية، ١٩٦٨) صفحات ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣.

١ـ كان أختلاف قبيلة بني مزيد وتفككها بعد موت علي يعدُّ من أول وأخطر هذه المشاكل التي واجهها دبيس. إذ أنه بعد توليته الإمارة ظهرت المنافسة بين أفراد الأسرة، والتي أدت بطبيعة الحال الى أنقسام العشيرة بصورةٍ عامة حول من يخلف علي بن مزيد[1]. ويبدو أن هذا الصراع في سبيل الحصول على الإمارة يرجع الى تعيين وتقريب الأب أحد أبنائه دون غيره، فمن المحتمل أن يكون دبيس ـ الذي أصبح أميراً شرعياً ـ صغير السن وليس له دراية واسعة في الأمور السياسية ولكنه بأعتباره مقرباً الى والده فإنه عهد إليه بالإمارة، مما أثار الحسد والغيرة في نفوس أخوانه وأبنائه الآخرين الذين يرون في أنفسهم الكفاية. كما أنه قد يكون لهذا الأمر علاقة بالسياسة البويهية العامة وما كان يحدث بين الأمراء البويهيين من خلاف حول السلطة، فعندما يؤيد أحد الأمراء البويهيين أحد أفراد عائلة المزيديين، بينما يؤيد أمير بويهي آخر إمارة جهة أخرى تتسع تبعاً لذلك شقة الخلاف. هذا الى جنب ما كان يهدف إليه البويهيون من وراء أختلاف الأمراء المزيديين حول السلطة مما يؤدي الى ضعفهم وسيطرة البويهيين عليهم. وقد كان المقلد أول من أعلن تمرده على تولية أخيه، فحاك مؤامرته في بغداد بعد أن كسب تأييد الأتراك ببذله الأموال الطائلة. وكان هدفه القضاء على أخيه وتسلم الإمارة، وفعلاً فقد سار بصحبة جمعٍ كبير من الأتراك وتم له الأنتصار على أخيه الذي هرب الى واسط حيث قام "الأثير الخادم" برعاية شؤونه

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص١١٤؛ الغساني: مخطوط المسجد المسبوك، ج١، ورقة ١٨ (ب).

حتى ثبت قدمه، كما قال ابن الأثير[١]. وهذا يؤكد ما سبق ذكره أن دبيساً لا زال صغيراً لم يستطع تحمل عبء الإمارة، بينما كان المقلد مسنوداً من قبل الأتراك في بغداد. ثم تنقطع أخبار المقلد ومدة بقائه في الإمارة فيما عدا ذكر مهيار الديلمي له حيث قدم له قصيدة في مدحه[٢]. ومن المحتمل أن مدة بقاء المقلد في الإمارة كانت قصيرة لاسيما وأن دبيساً كان الأمير الشرعي وأن العشيرة أتفقت عليه[٣]. ويبدو من كلام ابن الأثير أن موقف المقلد بعد الأنتصار أصبح قلقاً بعد عودة الأتراك الى بغداد وتركه لمفرده. كما أن دبيساً بعد هروبه الى واسط أستطاع أن يجمع مؤيديه من القبيلة وأن ينتصر على أخيه. غير أن المقلد لم يقطع آماله في الأخذ بثأره وأستلام الإمارة مرةً أخرى، فذهب أولاً الى بني عقيل غير أنه من المحتمل أن لا يكون قد وجد منهم تشجيعاً ومساعدة عسكرية. ويختفي دوره ليظهر على مسرح أحداث سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م عندما تعرض دبيس الى هجوم من قبل أولاد عمه. وقد أستطاع المقلد أن يحصل على مساعدة من جلال الدولة، وأن يسير مع الجيش البويهي ضد أخيه. وللمرة الثانية فقد أحرز المقلد الفوز في المعركة وهرب دبيس من ممتلكاته الى السندية. ومن هناك دخل في مفاوضات مع جلال الدولة لإصلاح أمره وتعهد بدفع (١٠) عشرة آلاف دينار إذا أُعيد الى إمارته. وبذلك أستطاع نيل تأييد جلال الدولة الذي خلع عليه وقلّده

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص١١٤؛ عبد العزيز آل صاحب جواهر: آثار الشيعة الإمامية، ص١٢١ ـ ١٢٦.

٢. مهيار الديلمي: ج٤، ص٩٧.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص١١٤؛ مخطوط المسجد المسبوك، ج١، ورقة ١٨ (ب).

الإمارة. ولما رأى المقلد فشل خطته في البقاء، لجأ وبمساعدة قبيلة خفاجة الى نهب وتخريب الأماكن التابعة لدبيس مثل مطير أباذ والنيل وسورا. ثم بعد ذلك هرب الى أبي الشوك[١].

كان على دبيس أيضاً مواجهة تمردٍ آخر قاده أخوه الآخر أبو قوام ثابت بن علي سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٢م. وفي هذا المجال ينبغي علينا القول بأن ابن الجوزي لم يذكر شيئاً عن هذه الحادثة أو التي سبقتها، وأن ابن الأثير هو مصدرنا الرئيس في ذلك. وعلى الرغم من أن ابن الأثير قد ذكر سبب هذا التمرد هو "أن ثابتاً كان يعتضد بالبساسيري ويتقرب إليه"، إلا أن هذا لم يكن في الواقع السبب الحقيقي لذلك وأنه من الأرجح أن يكون التمرد بسبب المنافسة على السلطة. ومن المحتمل أن أبا قوام لم يستطع المجاهرة به دون العثور على تأييد عسكري. وكما حصل المقلد مثل هذا التأييد من الأتراك في بغداد، فإن مساعدة أبي القوام جاءت من جانب البساسيري الذي كان نجمه العسكري ونفوذه السياسي آنذاك في صعود. ففي تلك السنة أجتمع الطرفان على قتال دبيس الذي لم يكن بإمكانه الصمود فأضطر أيضاً الى الهروب وترك بلاده تحت سيطرة ثابت. والظاهر أن ثابتاً بقي مسيطراً على الإمارة حوالي سنة واحدة. في خلالها كان دبيس مستمراً على جمع المحاربين

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص ١٤٠ ـ ١٤١؛ سبط ابن الجوزي: (القسم المحقق)، ص١٠٤، ١٠٥.

من قبيلة بني أسد وخفاجة وقبائل عربية أخرى، ولـذلك أستطاع في سـنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م التوجه الى بلاده ومحاربة ثابـت. ومـن المحتمـل أن يكـون البساسيري قد ترك جيشاً الى جانب ثابت، فضلاً عن ذلك فقد جهّز جيـشاً وسار من بغداد لمعاضدته ولكن المعركة بين الطرفين قـد أنتـهت بمـصالحتهم على أن يعود دبيس الى إمارته وأن يقطع أخاه إقطاعاً معينـاً[١] ومـن خـلال الحوادث التالية نرى أن ثابتاً لم يحرك ساكناً ولم ترد معلومـات أخـرى عـن أعماله عدا علاقته بالشاعر مهيار الديلمي فقد كان على أتصالٍ به، وقد قدم له الهدايا، والمهم من هذه العلاقة أن مهياراً كان يبعث بقـصائده الى ثابـت في مدينة النيل[٢] مما يؤكد على أن ثابتاً كان يقطن مـع أخيـه وقـد نـزع ثـوب المعارضة.

بالإضافة الى تمرد أخوانه، فإن دبيساً واجه عصياناً آخر قام به أبناء عمّه حمّاد وهم شبيب وسرايا ووهب. ففـي سـنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م قـاد هـؤلاء الأخوة حملة على الجامعين وأحتلوهـا، في الوقـت الـذي كـان فيـه دبـيس منشغلاً مع أبي كاليجار في حربه ضد جلال الدولة. غير أن سـيطرتهم علـى الجامعين لم تستمر طويلاً، إذ كان بأستطاعة دبيس أن ينتصر عليهم ويقـضي

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص١٦٣؛ ابن العبري: ص٣١٩؛ (Mazyadids) (1) EI؛ وأنظر فصل الإدارة عن هذا النوع من الإقطاعات.

٢. مهيار الديلمي: ج٤، ص٩٧.

على تحالفهم[1]. ومع أن ابن الأثير قد أهمل ذكر سبب هذا التمرد، إلا أنه من المحتمل أن يكون نفس السبب في الحوادث السابقة، أي تنافس أفراد القبيلة الواحدة على السلطة.

٢ـ إن أنشغال دبيس في كفاحه ضد أفراد عائلته المنافسين لسلطته قد أعطى فرصة ثمينة لبعض القبائل المجاورة وبالأخص قبيلة خفاجة على مهاجمة أملاكه في المنطقة. وقد برهن دبيس على قدرته في أستغلال تلك الحروب لغرض توسيع أملاكه. وإعتماداً على رواية ابن الأثير فإن أول أصطدام حدث بين دبيس وقرواش العقيلي (زعيم قبيلة بني عقيل) في سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م، وفي هذه الرواية أيضاً قد أهمل ابن الأثير شرح سبب هذا الأصطدام. وأن كل ما قاله في هذا الصدد هو أجتماع كل من دبيس بن علي وغريب بن معن مع جيش بغداد لمحاربة قرواش بالقرب من كرخ سر من رأى. وقد أنهزم قرواش من المعركة، ثم أستطاع أن يستنجد بأمير خفاجة ضد هذا التحالف الثلاثي. إلا أن قرواش قد فشل أيضاً وهرب مرة أخرى. إن النتيجة الوحيدة التي أعقبت هذه المعركة هي سيطرة نواب السلطان على أعمال قرواش[2]. وهذه النتيجة تثير بضعة أسئلة منها هل أن (قرواش) كان السبب في هذه المعركة وذلك بمهاجمته المنطقة؟ أم أن إحدى القوى الثلاثة ـ

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص١٤٠.

٢. ن.م. ج٩، ص١٢٠؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص٤٩؛ ابن الوردي: ج١، ص٣٣٣.

دبيس ومعن وجيش بغداد ـ أراد الإستيلاء على منطقة كرخ سامراء التي يبدو أنها كانت تحت نفوذ قرواش. ومع هذا فالرواية لم تصرح بنصيب دبيس في المعركة، ومن المرجح أنه أراد إرضاء السلطة المركزية. وفي سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م نجد دبيساً قد أنضم الى كتلة جديدة مكونة من أمير خفاجة وجيش بغداد وكان الهدف أيضاً قرواش، وقد ذكر ابن الأثير سبب هذا الأصطدام بقوله أن بني خفاجة قد تعرضوا الى بعض ممتلكات قرواش في سواد الكوفة، مما دفع قرواش أن يسير من الموصل لمحاربة خفاجة. الأمر الذي جعل أمير خفاجة يستنجد بدبيس. وقد سارع دبيس الى نجدته. والتقى الطرفان قرب الكوفة، وأنهزم فيها قرواش الى الأنبار ـ ويبدو أنها كانت له أيضاً ـ ولكنه أضطر الى مفارقة الأنبار وتركها تقع في يد دبيس وخفاجة[1]. من خلال دراسة هذه الحادثة والتي سبقتها نجد أن دبيساً كان متمرساً في الحرب، وقد لعب دوراً مهماً في كليهما. ترى هل أن دبيساً حاول من جراء مشاركته هذه أن يحقق مشروعه التوسعي وذلك بإبعاد ومن ثم التخلص من إحدى القوى المهمة في المنطقة، وهم بنو عقيل الذين لا زال نفوذهم كما يبدو حينئذٍ واسعاً في منطقة الفرات الأوسط.

ومع أن دبيساً تمكن من الأستيلاء على بعض الأماكن القريبة من الكوفة التي كانت تابعة لقرواش، إلا أنه لم يستطع الحدّ من هجمات قبيلة خفاجة.

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص١٣١.

ومن الملاحظ أن فعاليات هذه القبيلة وهجماتها ولاسيما ضد قبيلة بني عقيل، أصبحت متكررة ومركزة، ومن المحتمل أن هذا يرجع الى وقوع المناطق التابعة لبني عقيل على طريق هجرة خفاجة أولاً والى أضطراب الظروف السياسية للسلطة المركزية وخاصةً بعد موت مشرف الدولة الذي لم يترك أحداً يعقبه ثانياً ثم أيضاً الى النزاع الذي أعقب ذلك بين كل من جلال الدولة وأبي كاليجار. ففي سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م هاجم منيع بن حسان أمير بني خفاجة الجامعين ونهبها، علماً بأن تلك المنطقة هي لدبيس. لذلك سار دبيس في طلب خفاجة فقصدت الأنبار ـ التي سبق وأن أسترجعها قرواش من سيطرة خفاجة ـ ونهبتها أيضاً. فكان من نتيجة هذا العمل أن توحد هدف كل من قرواش ودبيس وأجتمعا على قتال خفاجة بالقرب من الأنبار، وبالرغم من كثرة أعداد جيش دبيس وقرواش فإن بني خفاجة حصلوا على الأنتصار، ورجعوا الى الكوفة. وقد أبطلوا فيها الخطبة لجلال الدولة ونادوا بشعار أبي كاليجار[١]. من هنا نجد أن موقف بني مزيد في هذه المنطقة أصبح قلقاً من أنهم تركوا وجهاً لوجه أمام بني خفاجة. فبينما كان المزيديون مسيطرين على الجانب الشرقي من الفرات فإن لبني خفاجة الأقسام الواقعة الى غربه. إلا أن المصادر لم تذكر شيئاً عن العلاقة بين الطرفين حتى سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م. ففي هذه السنة هجم الخفاجيون على الجامعين والأعمال

١. ابن الأثير: ج٩، ص١٣٢.

الأخرى التابعة لدبيس ونهبوها[1]. وهنا أيضاً يمكن القول أن السبب الرئيسي لهذا الهجوم هو قلق الوضع السياسي للبويهيين فقد كانوا على أعتاب الأنهيار التام في العراق على أيدي السلاجقة. والظاهر أن دبيساً لم يستطع ردّ هجوم بني خفاجة بمفرده إلا بعد أستنجاده بالبساسيري من أجل مساعدة عسكرية، وبوصول البساسيري وعسكره أصبح من الممكن دحر خفاجة وإبعادها عن الجامعين. ولم يقف البساسيري عند هذا بل لاحق تلك القبيلة بعد تراجعها في البرية وأسر عدداً من زعمائها[2]. وجاءت نتيجة هذه المعركة موافقة جداً لما كان يهدف إليه دبيس في إبعاد خفاجة عن المنطقة كي يصبح نفوذه في المنطقة بدون منافس، وكذلك لكي يضم المواقع التابعة لهم لأملاك إمارته. ومن الجدير ذكره أن إمارته بعد هذه الأحداث أصبحت تضم الكوفة وأطرافها، الجامعين، سوراء، والنيل وأطرافها.

٣ـ مما لا شك فيه بأن للوضع السياسي للسلطة المركزية ومدى تأثيره على موقف دبيس جانبين، أحدهما إيجابي والآخر سلبي، غير أنه قبل ذلك من المستحسن أن نقدم وصفاً عاماً لمركز البويهيين وسلطتهم في العراق خلال فترة إمارة دبيس وحتى سنة ٤٤٧هـ التي تلاشت فيها سيطرة البويهيين. كان سلطان الدولة هو الأمير البويهي الذي حكم من سنة ٤٠٣هـ وحتى سنة

---

١. ن.م. ج٩، ص٢٢٤.
٢. ن.م.

٤١٢هـ/١٠١٢ـ١٠٢١م. وقد أمتاز حكمه في أنه وقع منذ الفترات الأولى لحكمه تحت سيطرة ثلاث شخصيات من موظفي البلاط الذين كانوا يديرون أمور الدولة وهم أبو الخطاب حمزة بن علي، وأبو منصور، وأبو المسك الملقب بالأثير. وكان هؤلاء في تنافس مستمر مع حاكم بغداد آنذاك وهو فخر الملك الذي ذهب ضحية لدسائسهم. كما كان في صراع سياسي وحربي على السلطة مع أخيه الأصغر مشرف الدولة والذي أستمر الى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م حين أستطاع مشرف الدولة أن يستولي على مقاليد الأمور بدلاً من أخيه سلطان. غير أن حكم مشرف الدولة لم يستمر طويلاً، وبعد وفاته في ٤١٦هـ/١٠٢٥م مرّت على بغداد والعراق فترة سيطرة الجنود الأتراك دون أن يكون هناك أي حاكم فعلي. وبطبيعة الحال فقد رافق هذه الفترة أضطراب كبير في العاصمة وفقدان الأمن، وكثرة هجمات اللصوص والأعراب. ثم بعد ذلك أختار الجنود جلال الدولة البويهي أميراً عليهم، وفي الواقع فإن هذا الأمير لم يكن راغباً بصورةٍ جدية في أن يتسلم السلطة في مثل تلك الظروف الغامضة، كما أنه لم يكن يأمن جانب الجنود الأتراك الذين أختاروه. وبالفعل فإن المتتبع لأحوال إمارته منذ أستلامه الحكم في سنة ٤١٨هـ حتى ٤٣٥هـ/١٠٢٧ـ١٠٤٣م لا يجد إلا[1] سلسلة من أضطرابات

١. يعدّ ابن الأثير وسبط ابن الجوزي (القسم المخطوط) من أهم المصادر التي عالجت هذه الأمور. ولحدٍّ ما أنظر أيضاً الحوادث التي قدمها ابن الجوزي ـ وكذلك أنظر: ←

الجند ضده من أجل تأخر أرزاقهم، يضاف الى ذلك سلسلة من الوقائع الحربية بين جلال الدولة وأبي كاليجار حول السيطرة على العراق، وقد دام هذا الصراع من حوالي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م الى أن تمكن أبو كاليجار من أستلام مقاليد الحكم في حوالي سنة ٤٣٥هـ/١٠٤٣م. وعلى الرغم من سيطرته، فإن أبا كاليجار لم يكن موفقاً في علاقته مع الجند خلال فترة حكمه القصيرة البالغة أربع سنين التي أنتهت بموته وأستلام أبنه الملك الرحيم السلطة. وقد أمتدت فترة الملك الرحيم من ٤٤٠ـ٤٤٧هـ/١٠٤٨ـ١٠٥٥م ولكنه قضاها في حروب ضد منافسيه من الأسرة البويهية نفسها حتى مجيء الغزو السلجوقي.

كان من أهم المكاسب التي حصل عليها دبيس من جراء أضطراب الأوضاع العامة للسلطة المركزية هي توسيع حدود إمارته على حساب القبائل المجاورة وعلى حساب السلطة نفسها ثم تقوية نفوذه السياسي. فبالإضافة الى منطقة النيل والجامعين وسورا، فإن دبيساً أقطع نهر الصلة ونهر الفضل من قبل الملك الرحيم[١]. وكذلك كانت له السيطرة على نهر الملك وقد بنى عليه قنطرة في سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م[٢]. كما وتوجد بعض الروايات

→ Bowen: 'The last Buwayhids' in JRAS (1929) pp. 225 — 45. Kabir: The Buwayhid dynasty pp. 92 – 115. Also see (Buwayhids) EI (2) by Cahen. .

١. ابن الأثير: ج٩، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

٢. ابن الجوزي: ج٨، ص١١٤.

التي تعكس أهميته ونفوذه، ففي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م عندما هاجم الغز الموصل الأمر الذي أدى الى هزيمة قرواش من المدينة وتركها بأيديهم. وفي الوقت نفسه فقد راسل قرواش جلال الدولة ودبيساً وغيره من أمراء العرب حول طلب نجدة عسكرية لدفع الغز عن الموصل. ولم يستطع جلال الدولة نجدته، إلا أن دبيساً سار بجيشه لنجدة قرواش الذي أستطاع الأنتصار على الغز وطردهم من الموصل[١]. وعندما أثار الجند الأتراك الشغب على جلال الدولة في سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م فقد ذكر كل من ابن الجوزي وابن الأثير على أن جلال الدولة أستنجد بدبيس بن علي وأمراء آخرين للسيطرة على الوضع في بغداد[٢]. وعندما فشل الملك العزيز بن جلال الدولة في مقاومة أبي كاليجار في الصراع من أجل السيطرة على بغداد في سنة ٤٣٥هـ ترك الملك العزيز بلده ولجأ الى دبيس[٣] للإستنجاد به. ومن الأمور الأخرى التي تدل على أتساع نفوذه أنه ـ كما أورد ابن الأثير ـ عندما وصله خبر الفتنة في بغداد بين السُنّة والشيعة في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م حيث أحرقت فيها بعض الأضرحة المقدسة عند الشيعة، غضب دبيس كثيراً وقاد غضبه الى قطع الخطبة للخليفة القائم في أعماله وعاتبه على عدم قدرته في المحافظة على الأمن والضرب على أيدي المسببين لذلك..[٤] ومع أنه أعاد الخطبة للخليفة

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص١٤٥ ـ ١٤٦، ١٤٧.

٢. ابن الجوزي: ج٨، ص١٠٤؛ ابن الأثير: ج٩، ص١٧٥.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص١٩٢ ـ ١٩٣.

٤. ن.م. ج٩، ص٢٢٤.

بعد ذلك إلا أن تلك الرواية تكشف بصراحة نفوذه ودفاعه عن ميوله. كما أن تلك المنازعات السياسية بين أفراد الأسرة البويهية على السلطة لها نتائج سلبية بالنسبة الى دبيس وإمارته بالإضافة الى نتائجها الإيجابية. وتتضح هذه النقطة هي ملاحظة موقف دبيس المتذبذب وما رافق ذلك من تعقيدات سياسية. ففي النزاع الذي نشب بين مشرف الدولة وسلطان الدولة، نجد دبيساً يقف الى جانب مشرف الدولة ضد سلطان الدولة[١] بأعتبار أن الأول هو الذي كان يحمل الصفة الشرعية كما أنه أوسع نفوذاً وقوة من الثاني.. بينما كان موقفه في النزاع الذي دار بين جلال الدولة وأبي كاليجار غير ثابت، فإنه كان مؤيداً الى جلال الدولة، الأمير الشرعي. ولكنه في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م نراه يتجه الى جانب أبي كاليجار، وسبب ذلك يرجع الى أن جلال الدولة ساعد المقلد بن علي بن مزيد عسكرياً في تمرده ضد سلطة أخيه.

وقد لعب دوراً كبيراً في عرقلة تراجع الملك العزيز بن جلال الدولة إذ فجّر البثوق من بلده الأمر الذي أدى الى موت عدد كثير من جنده. غير أننا نراه يرجع مرةً أخرى الى مساندة جلال الدولة، وذلك عندما أستولى المقلد على بلاده وأضطر ذلك الى الهرب الى السندية حيث دخل في مفاوضة مع جلال الدولة طالباً الصُلح[٢].

---

١. ن.م. ج٩، ص١٤٠.
٢. ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

٤ـ أمتازت فترة إمارة دبيس بميزة تاريخية مهمة ألا وهي فترة أنتهاء السيطرة البويهية في العراق، وبداية فترة السيطرة السلجوقية. وسوف نلاحظ خلال الصفحات التالية أنه في هذا الدور بالذات أتخذت الإمارة المزيدية طابعاً آخراً متسماً بالقوة والأنفعالية. وقبل التوغل في سرد التفصيلات عن هذا الدور نرى من الأفضل تقديم بعض الأمور العامة التي تساعدنا على تفهم العلاقة بين المزيديين والسلاطين السلاجقة وهذه الأمور هي:

أـ إن المزيديين أصبحوا القوة العربية الوحيدة والمهمة في المنطقة، لاسيما بعد ضعف وأنتهاء نفوذ العقيليين في منطقة الفرات الأوسط والجزيرة الفراتية وأنحراف أطماعهم نحو الجهات الغربية أي نحو بلاد الشام.

ب ـ لم يحاول أو بالأحرى لم يستطع السلاجقة وخاصةً في الفترات الأولى، القضاء على كيانات القبائل العربية، وكما قالت البروفيسور لامبتون أن السلاجقة لم يرغبوا الى حدٍّ كبير في السيطرة المباشرة[1] على تلك القبائل لهذا فقد أتخذوا سياسة المهادنة والإرضاء. كما أن بقاء بني مزيد في هذه المنطقة يسهّل كثيراً مهمة السلاجقة في حفظ أمن تلك المنطقة ضد هجمات القبائل الأخرى.

---

١. لقد جاءت البروفيسور لامبتون بآراء جديدة وجديرة بالإهتمام في دراستها. Lambton: Contributions to the study of Seljuq institutions. Uupublished thesis for the Ph.D. (1939) pp. 39 — 40. See also Bosworth: 'The political dynastic history of the Iranian world' in the Chambridge History of Iran, Vol. 5 p. 24.

ج- كان الخليفة والسلاجقة من السُنّة بينما كان المزيديون من الشيعة الإمامية. وقد لعب هذا العامل دوراً كبيراً في مجرى الأحداث السياسية في زمن دبيس وخير مثال على ذلك موقفه من ثورة البساسيري الشيعية. غير أن هذا العامل كان له أبلغ أثراً زمن كل من صدقة بن منصور وأبنه دبيس بن صدقة، حيث تشكلت ثلاث كتل سياسية متنافسة في فرض وتوسيع سيطرتها وهي كتلة الخليفة وكتلة السلطان السلجوقي ثم كتلة بني مزيد.

إن أول حركة سياسية خطيرة واجهها طغرلبك السلجوقي قبل أستقراره ببغداد ثورة البساسيري، إن هذا الموضوع بحد ذاته خارج عن نطاق هذه الدراسة[١]، لذا سوف نركز على علاقة دبيس بهذه الثورة. بدأت علاقة البساسيري ببني مزيد منذ سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م عندما توجه عسكرياً لمساعدة ثابت بن مزيد ضد أخيه دبيس، وقد سبق ذكر هذه الحادثة. ومن المحتمل أن علاقته تحسنت بدبيس، إذ يذكر ابن الأثير أن البساسيري سار لنجدة دبيس عندما هاجم بنو خفاجة الجامعين. وقد أستطاع البساسيري أن ينتصر عليهم ويطردهم من منطقة الكوفة التي أصبحت تحت سيطرة دبيس[٢].

---

١. للباحث دراسة عن ثورة البساسيري في بغداد أثناء الغزو السلجوقي للعراق (مجلة كلية الآداب ـ جامعة البصرة/١٩٧١م).

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٢٢٤.

ثم أن هناك علاقة المصاهرة بين دبيس والبساسيري[1]. وقد فضل دبيس أن يتحاشى التسرع في الإصطدام مع السلاجقة. وعندما دخل طغرلبك بغداد هرب البساسيري منها والتجأ الى دبيس فأقام عنده، ولكن عندما أمره طغرلبك بإبعاد البساسيري من بلده أمتثل للأمر وأبعده[2].

ومن الجدير بالإشارة هنا وقبل التطرق - الى علاقة دبيس بالخليفة الفاطمي فعلى أعتبار أن المزيديين شيعة لكن هذا لم يكن السبب الوحيد في تأييدهم للفاطميين الشيعة في مصر، بل إنه بالإضافة الى ذلك فإن من طبيعة القبائل أن تُظهر تأييداً كبيراً للحكّام الذين يبعدون عن مناطق نفوذهم جغرافياً أكثر من أولئك القريبين منهم. كما أن دبيساً قد أيد البساسيري في علاقة الأخير بالخليفة المصري. وللمؤيد في الدين (داعي الدعاة الفاطمي والذي كان له دور بالغ الأهمية في ثورة البساسيري) معلومات وافية بهذا الصدد. فقد جاء في العهد الذي كتبه الخليفة المصري لدبيس تأكيد ذلك الولاء إذ قال فيه: "رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن يفيض عليك من خاص ملابسه ما تفيض به السعادة عليك ملابسها".[3] وقد منحه لقب سلطان ملوك العرب، سيف الخلافة صفي أمير المؤمنين[4]. كما وأن الخليفة الفاطمي

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٢٢٨؛ ابن الوردي: ج١، ص٣٥٤؛ مخطوط المسجد المسبوك، ج١، ورقة ٢٧ (ب).

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٢٢٩؛ ابن العديم: زبدة، ج١، ص٢٧٠؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص٧٦.

٣. سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص١٢٧.

٤. ن.م.

قد قلّده الزعامة على عرب العراق[١]. ويبدو أن الخليفة الفاطمي هدف من وراء إعطاء هذه الألقاب والإمتيازات لدبيس ربطه بالدعوة الفاطمية بصورة أكثر، لاسيما وأن لهذا اللقب أهمية كبيرة في نفوس القبائل. وقد وضح المؤيد في الدين في ديوانه ذلك فقال أن دبيساً لما علم بالخلع والألقاب التي منحها الخليفة المصري للبساسيري حسده وأراد الحصول على مثلها فأخذ يفرض على المؤيد شروط الأتفاق وقد قبلها المؤيد كلها[٢]. وبالإضافة الى ذلك فإن منح الخليفة الفاطمي لتلك الألقاب والإمتيازات إنما تعكس بوضوح نفوذ دبيس وأهمية تأييده للدعوة الفاطمية، فلقب الزعيم على عرب العراق يدل على أن دبيساً كان واسع النفوذ وهو الممثل الأعلى للقبائل العربية الأخرى التي سكنت العراق.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو هل أن دبيساً كان جاداً ومخلصاً في تأييده للخليفة الفاطمي؟ أم أنه كان يهدف الى أستغلال الدعوة في سبيل الحصول على مكاسب مادية وسياسية أولاً، وثانياً الى معرفة رد الفعل السلجوقي من الناحية العسكرية، فإن كان قوياً فإن ذلك يفرض عليه التريث وأما إن كان ضعيفاً فإن بإمكانه أن يسود ويوسع نفوذه. وينفرد المؤيد في الدين في إعطاء بعض المعلومات المهمة عن موقف دبيس ومكانته بالنسبة للدعوة. ومما قاله: أن دبيساً أخذ يفرض على المؤيد الشروط والتعهدات مقابل تأييده

١. ن.م.
٢. ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص٤٣.

للفاطميين. وقد قبل المؤيد جميع تلك الشروط، ومع هذا فإن جماعة دبيس رفضوا البيعة للخليفة المصري إلا بعد قراءة نص اليمين[1] وقد أورد نفس المؤلف كلاماً آخراً عن دبيس يستشف منه أن دبيساً كان متشككاً في الدعوة وخائفاً من الإصطدام بالسلطة المركزية، فقد قال للمؤيد في إحدى المناسبات: "إن هذا الأمر الذي نحن بصدده أمر عظيم، تقصر قوانا وقوى أضعافنا عن النهوض له"[2] غير أننا لا نعرف الى أي مدى يمكن تصديق المعلومات التي أوردها المؤيد، مع أنه معاصر للحوادث ومندوب من قبل الفاطميين.

والشئ المهم الآخر أن المصادر الأخرى لا تعطي مثل هذه الملاحظات، فأما ابن الجوزي فإنه لا يذكر شيئاً عن علاقة دبيس بالبساسيري، في حين يذكر صاحب مخطوطة تاريخ دولة عباسية "أن البساسيري أنضم الى نور الدولة أبي الأعز دبيس بن علي ابن مزيد الأسدي وقريش بن بدران صاحب الموصل وديار ربيعة وكاتب المستنصر يحسّن له ما في نفسه من خلع دولة بني العباس وإزالة ملكهم"[3] ومع ما في هذه الرواية من تناقضات بالنسبة لقريش بن بدران حيث تقول المصادر الأخرى بأنه لم ينضم الى الآخرين إلا بعد محاربته من قبل البساسيري وإجباره على الخضوع[4]، فإن

١. ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص٤٣.
٢. السيرة المؤيدية، ص١٢٦.
٣. مخطوطة تاريخ دولة عباسية لمؤلف مجهول (أسطنبول) ورقة ٩٦ (ب) ـ ٩٧ (أ).
٤. ابن الأثير: ج٩، ص٢٣٤؛ الغساني: مخطوط المسجد المسبوك، ج١، ورقة ٢٦ (ب).

المؤلف يذكر أيضاً الخلع والأموال التي وردت من الخليفة الفاطمي الى البساسيري ودبيس. وابن الأثير لا يذكر موضوع الخلع والهدايا إلا بعد أستيلاء البساسيري وكتلته على الموصل[١]. والذي يبدو أنه ليس هنالك من شك في تأييد دبيس للدعوة الفاطمية، إلا أنه في نفس الوقت لم يحاول أن يرمي بنفسه تماماً في سبيل ذلك فيفقد بهذا أستقلاله. كما وأنه أراد الحصول على أكبر قسط ممكن من الإمتيازات من وراء تأييده.

أما عن الدور السياسي الذي لعبه دبيس بالإشتراك مع البساسيري في حملاته العسكرية فإن ابن الأثير يشير الى مشاركته البساسيري في حربهم ضد قريش بن بدران صاحب الموصل. والمصادر المتوفرة لدينا تتفق أيضاً على مشاركته البساسيري في الاستيلاء على الموصل[٢]. أما في حادثة الهجوم على بغداد في سنة ٤٥٠هـ نجد بعض التناقضات، فبالنسبة لأبن الجوزي وابن الأثير فإنهما يريان أنه في الوقت الذي كان فيه السلطان طغرلبك خارجاً لمحاربة أخيه إبراهيم بن ينال أشيع في بغداد على أن البساسيري متوجه عسكرياً نحو المدينة لمهاجمتها. لذلك أستنجد الخليفة بدبيس من أجل المساعدة، فابن الجوزي يقول بأن دبيساً نصح الخليفة بترك بغداد والخروج عنها[٣]. أما ابن الأثير فيذكر أن دبيساً سار ـ على أثر أستنجاد الخليفة به ـ

١. ابن الأثير: ج٩، ص٢٣٤.

٢. السيرة المؤيدية، ص١٣٤ ـ ١٣٥؛ مخطوط تاريخ دولة عباسية، ورقة ٩٦ (ب) ـ ٩٧ (أ)؛ ابن الأثير: ج٩، ص٢٣٤.

٣. ابن الجوزي: ج٨، ص١٩١؛ سبط ابن الجوزي: مرآة (المحقق)، ص٢٢، ٢٤، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٣، ٤٥.

في مائة فارس ثم عسكر في موضع يسمى النجمي، ومن هناك دخل في مفاوضات مع الخليفة ناصحاً إياه بالخروج من بغداد والإجتماع معه على محاربة البساسيري[1]. إن هذه الإشارات تتصادم وما قدّم سلفاً من أن دبيساً كان متفاهماً مع البساسيري وقد شاركه في كثير من حملاته، فهل أن دبيساً تراجع عن موقفه السابق المؤيد للبساسيري ووقف الى جانب السلطان والخليفة؟ لاسيما وأن كلاً من ابن الجوزي وابن الأثير يوردان نصاً يفيد أن دبيساً قد أصلح حاله في سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م مع السلطان وعاد الى بلاده[2]. أم أن دبيساً قد هدف من وراء أقتراحه (خروج الخليفة من بغداد) أن يسهل السبيل أمام البساسيري عند أحتلاله المدينة. كما أن هناك أدلة أخرى تؤيد أن دبيساً بقي مؤيداً للبساسيري بعد سيطرته على بغداد مع أن ذلك كان لفترة قصيرة، فقد قام بالإشتراك معه بعدة حملات عسكرية قصد من ورائها توسيع نفوذه والحصول على أعترافات أصحاب المناطق المختلفة بسلطته. مثلاً أشتراكه في حملته ضد البطيحة والأهواز. إن ضعف علاقة دبيس بالبساسيري لم تكن وليدة عامل مباشر واحد بل وليدة عوامل عدة أهمها:

أولاً: تضارب مصالح كل منهما، فالبساسيري رجل عسكري أراد الاستحواذ على الأمور كلها بيده ومحاولة تجريد دبيس من بعض أمتيازاته. ومن الجدير ذكره بهذا الصدد أنه عندما سار البساسيري ودبيس في حملة

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٢٣٩ وما بعدها.

٢. ابن الجوزي: ج٨، ص١٨١؛ ابن الأثير: ج٩، ص٢٤٠؛ سبط ابن الجوزي: (القسم المحقق)، تحقيق: أحمد سويم، ص١٨، ١٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٦٥، ٦٦.

ضد الأهواز، أستنجد صاحب الأهواز بدبيس من أجل التوسط عند البساسيري على أن لا يهاجم الأهواز مقابل مبلغ من المال ولكن البساسيري رفض طلب دبيس[١].

ثانياً: لقد أثبت طغرلبك كفاية كبيرة في القضاء على تمرد أخيه إبراهيم، فمن المحتمل أن دبيساً شعر بأن النتيجة قد تكون غير مرضية بالنسبة له حالما يحرز طغرلبك على النصر. وقد ذكر ابن الجوزي في هذا المجال رواية مفادها أن آنو شروان أحد قوّاد السلطان السلجوقي راسل دبيساً وطلب منه تسليم البساسيري أو الأبتعاد عنه، وقد أوضح لدبيس مكانته عند السلطان. فكان جواب دبيس بأنه خادم السلطان وأنه يكره البساسيري ولكن من الأفضل أن يجهد نفسه في إصلاح أمره والإستفادة منه[٢]. إلا أن هناك رواية أخرى أوردها أيضاً ابن الجوزي وتدل على برود العلاقة بينهما وأن دبيساً لم يكن متحمساً في أشتراكه مع البساسيري، قال ابن الجوزي: "وكان البساسيري شاكّاً في ابن مزيد مستشعراً منه إلا أن الضرورة قادته إليه"[٣].

وفعلاً فبعد أن رجع طغرلبك من حربه مع أخيه وقتله البساسيري، طلب دبيس إصلاح حاله مع السلطان وطلب العفو منه فرضى السلطان عنه[٤]. في

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٢٤١.

٢. ابن الجوزي: ج٨، ص٢٠٩ وما بعدها.

٣. ن.م.

٤. ابن الأثير: ج١، ص٣؛ ابن العبري: ص٣٢١.

الوقت الذي كان بإمكان السلطان وهو في نشوة النصر أن يقضي على دبيس أيضاً، ولكن كما قلنا بأن هذا كان جزءاً من السياسة السلجوقية وتعاملها مع القبائل في العراق. ثم تحسّن موقف دبيس مع السلطة المركزية، فبعد موت طغرلبك كان دبيس من جملة الأمراء الذي كتب إليهم ديوان الخلافة حول الأمر وقد أستقبله الوزير ابن جهير، وعمل له مسلم بن قريش سماطاً ثم خلع عليه وعلى أبنه منصور[١] وعندما تقلد المقتدى الخلافة كان دبيس من بين الجماعة الذين حضروا لمبايعته[٢].

كان دبيس رجلاً كريماً مضيافاً، ولا أدل على ذلك من ذهاب بعض الشخصيات إما إلتجاءاً إليه أو هرباً من السلطان أو ضيافة عنده.. منهم الشرابي صاحب البطيحة[٣] والبساسيري وسعدي بن أبي الشوك[٤]. والمقلد أخو قريش بن بدران[٥] والوزير ابن جهير[٦]. وكانت الظروف السياسية هي التي قادت هؤلاء على اللجوء إليه فمنهم المغضوب عليه من قبل السلطان أو الخليفة ومنهم مغضوب عليه من قبل أفراد عشيرته كالمقلد. والظاهر أن

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٠؛ سبط ابن الجوزي: (القسم المحقق)، ص١١٢، ١١٣.
٢. البنداري: ص٤٨ ـ ٤٩.
٣. ابن الأثير: ج٩، ص١٣٤.
٤. ن.م. ص٢٠٠؛ سبط ابن الجوزي: مرآة (القسم المحقق)، ص١٣٠.
٥. ن.م. ص٢١٨ ـ ٢١٩.
٦. ن.م. ج١٠، ص٢١.

الرجل كان يتمسك بتقاليد البداوة التي تؤكد على المروءة والنجدة ولهذا كان أولئك مطمئنون الى أنه لم يغدر بهم وإن أدى ذلك به الى الحرب. كما جاءه أشخاص آخرون قصد الضيافة ومنهم عميد الملك[١]. وأم صاحب قلعة تكريت[٢].

توفي دبيس سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م وقيل ٤٧٣هـ/١٠٨٠م[٣] وكانت إمارته نيفاً وستين سنة، وقيل أنها سبع وخمسون سنة، وقيل سبع وستون سنة[٤].

من أشهر أولاد دبيس بهاء الدولة منصور[٥]. فقد ولي الإمارة سنة ٤٧٤هـ على إثر وفاة والده، ثم ذهب الى السلطان، كما هي العادة، في بغداد كي يحصل على الأعتراف الرسمي بولايته، وقد خلع عليه السلطان والخليفة

---

١. ن.م. ج٩، ص٢٣٩؛ البنداري: ص٣٣ ـ ٣٤.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٢٣٥.

٣. ذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة ٤٧٤ ج٨ ص٣٣٣؛ وكذلك ابن الأثير: ج١٠، ص٤٤؛ الذهبي: دول الإسلام، ج٢، ص٤ ـ ٥؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٢٣؛ أما البنداري فقد ذكر أنه توفي في سنة ٤٧٣ ص٦٦ ـ ٦٧.

٤. ابن الجوزي: ج٨، ص٣٣٣؛ في حين ذكر ابن الأثير (ج١٠، ص٤٤) أنها ٥٧ سنة وهذا لا يتفق مع سنة ولايته في سنة ٤٠٨ بينما جعل وفاته سنة ٤٧٤؛ وأعتقد أنه خطأ الناسخ؛ أما البنداري (ص٦٦ ـ ٦٧) فذكرها ٦٧ سنة؛ وفي مخطوط المسجد المسبوك جعلها المؤلف ٦٠ سنة (أنظر: ج١، ورقة ٣٥ ب) والأصح ٦٧ سنة.

٥. توهم زامباور في ذكر أولاد دبيس، وأنه خلط بينهم وبين أولاد بني دبيس أصحاب الجزيرة الدبيسية. أنظر: Zambaur, p. 137.

خلعة لإسباغ الشرعية على إمارته[١]. ولقد أستمر منصور يدفع ألف دينار سنوياً الى السلطة[٢] كما كان مقرراً على أبيه.

خلت فترة إمارة منصور بن دبيس من أي حدث سياسي مهم تعرضت له الإمارة المزيدية، والحقيقة أن فترته كانت قصيرة قد بلغت حوالي خمس سنين، كما من المحتمل أن هذا الأمير، بعكس الأمراء السابقين، قد تجنب التدخل في الأمور السياسية.

لقد كان منصور كثير الصلات والصدقات[٣]. وكان فاضلاً قرأ على جماعة من أهل العلم فبرع بذكائه[٤]. قال ابن الأثير أن نظام الملك حينما سمع بموته قال: "مات أجلّ صاحب عمامة"[٥]. وقد رويت له بعض الأبيات الشعرية[٦]. وفي عهده أفتدى أبنه صدقة أسرى بني عقيل.[٧] لقد أُختلف في سنة وفاته فوضعها ابن الجوزي في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م[٨] بينما ذكرها ابن الأثير في سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٩].

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٤٤.

٢. البنداري: ص٦٦ ـ ٦٧.

٣. ابن كثير: ج١٢، ص١٣٠.

٤. ابن الأثير: ج١٠، ص٥٥.

٥. ابن الأثير: ج١٠، ص٥٥.

٦. العماد الأصبهاني: خريدة القصر (قسم الشام)، ج٢، ص٢٦٢ ـ ٢٦٤؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٥٥.

٧. ابن الأثير: ج١٠، ص٤٩.

٨. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٥.

٩. ابن الأثير: ج١٠، ص٥٥؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٣٠.

صدقة بن منصور

خلّف منصور على الإمارة المزيدية أبنه القدير صدقة، وقد حكم صدقة من ٤٧٨ حتى ٥٠١هـ/١٠٨٥ـ١١٠٨م. وتعتبر فترة حكم صدقة من أهم الفترات في تاريخ الإمارة المزيدية، ففيها أخذت هذه الإمارة تتوسع بصورة كبيرة وتبني كياناً خارجياً قوياً. وهذا يعود بالدرجة الأولى الى شخصية صدقة وكفايته السياسية والعسكرية. إن أول إشارة الى الأمير صدقة ترجع الى سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م عندما كان برفقة أبيه منصور مشتركاً مع حملة فخر الدولة بن جهير صاحب ديار بكر الذي كان ذاهباً الى ميارفارقين[١].

ويتردد ذكره أيضاً زمن والده على أنه أفتدى أسرى بني عقيل عندما أسرهم عسكر السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، حتى أنه أشترى فديتهم بكل ما في خزائنه[٢] وهذه الروايات تشير الى أن صدقة كان الأبن المقرب والمرشح لمنصب الإمارة بعد أبيه. والنقطة التي يجدر ملاحظتها هنا هي أن تولية صدقة كانت ـ حسبما يظهر ـ مدعومة من قبل أفراد الأسرة المزيدية على عكس ما واجهه دبيس قبله، ولهذا فإنه لم يضيع وقته وطاقته في مثل تلك الحروب.

---

١. البنداري: ص ٧٠.

٢. مخطوط المناقب المزيدية، ورقة ١٤١؛ المحقق، ج٢، ص٤٥١؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٤٩، ابن كثير: ج١٢، ص١٢٦؛

Herbert Loewe: 'The Seljuqs' in Cambridge Med. Hist. 1st ed. (1923) pp. 305 _ 311.

Bosworth, op.cit., pp. 54 _ 66, 87 _ 102.

C. Cahen: Pre_Ottoman Turkey (1968) pp. 26 _ 32.

من الممكن تقسيم دراسة علاقة صدقة بالسلطة المركزية، وكذلك فعالياته وأنجازاته السياسية الى فترتين:

الأولى: وتمتد من سنة توليه الإمارة حتى سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وهي الفترة التي بلغت فيه السلطة السلجوقية أوج عظمتها من الناحيتين العسكرية والسياسية تحت قيادة السلطان ملكشاه بن أرسلان إذ أمتدت حدود إمبراطوريته شمالاً وغرباً. وحسبما تقول الروايات بأن ملكشاه بعد سيطرته على ممتلكات العقيليين في سوريا وكذلك أنطاكية، قاد فرسه بنفسه ليشرب من مياه البحر الأبيض المتوسط شاكراً الله على ما آلت إليه إمبراطوريته من توسع وقوة[١]. والذي ينبغي ذكره في هذا المجال أن ملكشاه جاء ليكمل ما قام به والده السلطان أرسلان الذي بلغت شهرته العالم الغربي حينما أنتصر على الجيش البيزنطي في معركة ملازكرد Manzikert في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ولم يقم صدقة خلال فترة ملكشاه بفعاليات سياسية كبيرة كالتي قام بها في الفترة الثانية، والراجح أن سبب ذلك يعود بالدرجة الأولى الى قوة السلطة المركزية ونفوذها الواسع وقد شهد ابن الأثير بذلك في إحدى المناسبات[٢]، وكذلك الى السياسة العامة التي أتبعها السلطان ملكشاه في تعامله مع الإمارات المحلية الموجودة في العراق والمناطق الأخرى. رأى ملكشاه أنه من الأصلح

١. أنظر عن فترة حكم أرسلان وملكشاه مقالة: (Alp. Arslan) في .E.I (دائرة المعارف الإسلامية، طبعة ثانية، مجلد ١، ص٤٢٠ ـ ٤٢٢) (بالإنجليزية) بقلم الأستاذ .Cahen , CL.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٦٨؛ سبط ابن الجوزي: (القسم المحقق) ص١٠٣.

الإعتراف بالأمر الواقع في إبقاء هذه الإمارات لكي تتمتع بحكم ذاتي في المناطق التي كانت واقعة تحت سيطرتها، وهي سياسة واقعية فبدلاً من صرف الأموال الطائلة من أجل محاربة وأجتثاث إمارات كانت موجودة ولها نفوذ واسع في فترة حكمه، فإن بأستطاعته تركيز أهتمامه في القضاء على الحركات الإنفصالية والتمردات التي قادها أفراد أسرته. ثم بالإضافة الى ذلك فإنه يستطيع الإعتماد على مثل هذه القبائل في رد هجمات القبائل البدوية الأخرى التي بقيت تواصل هجماتها على المناطق الخصبة. وبالنسبة الى صدقة فإنه عندما توفي والده توجه الى ملكشاه بغية أن يحصل على الأعتراف الرسمي، وقد خلع عليه السلطان وولاّه ما كان لأبيه حسبما ذكره ابن الأثير[1].

وبالرغم من عدم ورود أي ذكر على أن السلطان قرّر على صدقة مبلغاً من المال يدفعه سنوياً كما كانت العادة، فالذي يبدو أن السلطان فعل ذلك. فقد صادف أن ملكشاه كان في العراق في سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، حيث أقام له صدقة وليمة كبيرة جداً وصفها ابن الجوزي وصفاً مفصلاً وحمل له عشرين ألف دينار وأنواع مختلفة من المصوغات[2]. ومن المحتمل أن هذه العشرين ألف دينار كانت من ضمن المبلغ المقرر على صدقة. وقد أورد ابن الجوزي رواية أخرى يُستشف منها أن صدقة كان مستمراً على دفع مبالغ

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٥٦، ومنح لقب ملك العرب The Lord of the Arab وفي المصادر الصليبية اللاتينية Rex Arabium.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٣٠؛ ابن كثير: ج١٣، ص١٣١.

مقررة الى السلطان فقال: "وكان ـ يعني صدقة ـ يؤدي إليه ـ السلطان ـ المال ويقصد بابه كل قليل"[١].

والى جانب دفعه الأموال فإن صدقة ظل على طاعته وولائه للسلطان ملكشاه، ففي سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م هجم أعراب بني عامر الساكنين منطقة الإحساء على البصرة ونهبوها وأحرقوا عدّة مواضع فيها، لذلك أنتدب السلطان صدقة لملاحقة هؤلاء الأعراب ومحاربتهم، وقد سار صدقة الى البصرة ولكنه وجد الأعراب قد فارقوها[٢].

إن الحديث عن علاقة السلطان السلجوقي بصدقة يجرنا الى التحدث بصورة عامة عن وضعية الخليفة وعلاقته بالسلطان ملكشاه، وهل أستطاع أن يكوّن كتلة سياسية مستقلة خلال هذه الفترة؟ إنه من الممكن القول بأن وضعية الخليفة لم تتحسن كثيراً تحت ظل السيطرة السلجوقية عمّا كانت عليه في الفترة البويهية، وأنه في هذه الفترة قد جُرّد الى درجة كبيرة من سلطته الزمنية التي أخذ يمارسها السلطان ونوابه. غير أننا لا نتفق والرأي السائد بأن الخليفة أستسلم للأمر الواقع ولم يحرك ساكناً، إذ كانت علاقته بالسلطان بين مدٍّ وجزر تبعاً لظروف السلطان السياسية وتبعاً لقوته العسكرية. ومن المهم ذكره بأن السلاطين السلاجقة لم يتخذوا بغداد عاصمة لهم أو مركزاً لسكناهم، فالسلطان ألب أرسلان مثلاً لم يزر بغداد أبداً طيلة فترة حكمه

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٦٨.

البالغة عشر سنين. وكانت العاصمة تسلم إدارتها الى شحنة (وهو يقوم مقام الحاكم العسكري) ونائب يعينه السلطان. إن أبتعاد السلاطين عن العاصمة قدّم فرصاً ثمينة أمام الخليفة، فقد حاول عن طريقها أن يكوّن جبهة موحدة مع مؤيديه وأن يمارس بعض أمتيازاته وأن يفرض كلمته، كالذي حدث في سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م عندما عارض في تعيين أبتكين السليماني شحنة على بغداد إذ أضطر الوزير نظام الملك على تبديله[١]. كما أنه أظهر إمتعاضه من السلطان حينما عزل وزيره ابن جهير وقتياً في سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، فمن بين أسباب عزل وزيره كما قال ابن الجوزي أن الخليفة قال له: "أنك لبست خلع عضد الدولة ـ يعني السلطان أرسلان ـ في الدار العزيزة"[٢]. ولقد خدم هذا الوزير الخليفة خدمةً كبيرة وذلك في التأثير على الأمراء العرب الشيعة وكسب تأييدهم لصالح الخليفة.

غير أن وضع الخليفة أصبح ضعيفاً جداً زمن سلطنة ملكشاه، وهذا ما نراه بصورةٍ جليّة في السلطة الواسعة التي مارسها شحنة بغداد آنذاك المسمى كوهرائين الذي لم يكتفِ بسيطرته على الأمور الزمنية فحسب بل تدخل في الأمور الدينية التي هي من أمتيازات الخليفة[٣]. وقد خطى السلطان ملكشاه خطوة كانت من أبتكار وزيره المشهور نظام الملك ألا وهي تزويج أبنة

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٤٧ ـ ٤٨.

٢. ابن الجوزي: ج٨، ص٢٤٩.

٣. أنظر: Bosworth: The political and dynastic history p. 99.

السلطان خاتون من الخليفة المقتدي[١]، ولهذه الخطوة هدفان فإنه أراد في المدى القريب أن يُحسن علاقته بالخليفة بينما كان هدفه البعيد أن يحصل على مولود من أبنته حتى يقلّده الخلافة. وقد حقق السلطان هدفه الأول لفترةٍ قصيرة دامت حوالي سنتين، وبعدها أخذت الأميرة تشتكي من معاملة الخليفة لها ولذلك طلب السلطان من الخليفة إرجاعها مع أبنها الذي سُمّي الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدي[٢]. ومنذ ذلك الحين أخذت العلاقة بين الطرفين تزداد سوءاً فقد تجاهل السلطان الخليفة عند زيارته بغداد ولم يقم بزيارته[٣]. كما أنه أتخذ من بغداد عاصمة شتوية له، وبذلك أراد أن يقضي على محاولات الخليفة في كسب مؤيدين لصالحه. وفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م تأزم الموقف كثيراً، حينما أرسل السلطان تهديداً للخليفة جاء فيه أنه "لا بد أن تترك لي بغداد وتتصرف الى أي بلدٍ شئت"[٤] وقد طلب منه الخليفة تأخير ذلك لمدة شهر، إلا أن السلطان لم يرض بتأخير ذلك حتى لساعة واحدة. ولم ينقذ الخليفة من هذه الورطة إلا موت السلطان نفسه بعد فترةٍ قصيرة[٥].

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٣٦.

٢. ن.م. ص٤٦ ـ ٤٧.

٣. ن.م. ص٥٧؛ Bosworth, op. cit. p. 101.

٤. ابن الجوزي: ج٩، ص٣٢. ولم يذكر ابن الأثير هذه الحادثة، بل قال أنه لما جاء السلطان الى بغداد أستقبله وزير الخليفة ابن جهير (ج ١٠، ص١٣٣ ـ ١٣٥).

٥. ابن الجوزي: ج٩، ص٦٢.

يظهر مما تقدم أن الخليفة مع كونه مجرداً من السلطات الرئيسة وواقعاً تحت سيطرة السلاطين فإنه كذلك كان يعمل بالخفاء على كسب التأييد من رؤساء الإمارات والشخصيات البارزة في بغداد. وهناك روايات قليلة جداً عن علاقة الخليفة بالأمير صدقة، وهي مع قلتها تعكس الفكرة السابقة. لقد أورد ابن الأثير روايةً مهمة قال فيها أنه لما توفي منصور والد صدقة في سنة ٤٧٨هـ أرسل الخليفة نقيب العلويين الى صدقة لتعزيته[١] فإرسال نقيب العلويين الى صدقة تدل على أهميته ومكانته السياسية أولاً علماً بأن الخليفة لم يرسل مثل ذلك الى منصور أو دبيس قبلاً. وهي من الناحية الثانية توضح محاولة الخليفة كسب جانب صدقة باستغلال الناحية الدينية. كما أن هناك رواية أخرى ذكرها ابن الجوزي عن فتنة وقعت بين السُنّة والشيعة في بغداد في سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م التي نهبت فيها المحال وقتلت فيها النفوس. ومما زاد في أمر الفتنة هو مقتل رجل علوي، لذلك أمر الخليفة بمكاتبة سيف الدولة صدقة بن مزيد من أجل إرسال مساعدة للسيطرة على الوضع. وقد أرسل صدقة نجدة عسكرية تحت رئاسة أبي الحسن الفاسي الذي قام "بنقض دور الذين قتلوا العلوي وحلق شعور من ليس بشريف ولا جندي وقتل قوم ونفى قوم فسكنت الفتنة"[٢] إن مراسلة صدقة من قبل الخليفة لأجل حفظ

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٥٦ وقد جعلها في سنة ٤٧٩ هجرية وذلك لأنه وضع سنة وفاة منصور في تلك السنة.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٤٨؛ وقد ذكر ابن الأثير الحادثة مع بعض الأختلافات. أنظر: الكامل، ج١٠، ص٦٥؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

الأمن ما هو إلا أعتراف بسلطته وأعتباره المدافع عن شؤون الشيعة، ومن المحتمل أيضاً أن تكون وسيلة أخرى من وسائل الخليفة لكسب ثقة صدقة وتأييده. غير أننا لم نعثر على رواية تعكس مدى إخلاص وتأييد صدقة للخليفة، ومن المحتمل أنه لم يصرح بولائه للخليفة خوفاً على علاقته بالسلطان ملكشاه لاسيما وأن السلطان كان يتمتع بسلطة قوية ونفوذ واسع مما يفتقر إليه الخليفة في ذلك الوقت.

الثانية: وتمتد هذه الفترة من سنة ٤٨٥هـ حتى مقتل صدقة في سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ففي الوقت الذي مثّلت فيه الفترة السابقة فترة قوة السلطان السلجوقي وتوسع الإمبراطورية السلجوقية وقوتها وبصورة خاصة في أيام السلطانين ألب أرسلان وملكشاه، فإن الطابع العام للفترة التي سندرسها الآن هو أرتباك الأوضاع السياسية، والصراع المستمر بين أفراد الأسرة السلجوقية حول السيطرة على السلطنة كالذي حدث بين بركيارق السلطان الشرعي وبين المؤيدين لتولية الأمير محمود، وبين بركيارق وإسماعيل الياقوتي، ثم كذلك بين بركيارق وخاله أرسلان آرغون، وبين بركيارق وتتش، ثم أخيراً بين بركيارق ومحمد. وقد دام النزاع بين بركيارق ومحمد حتى وفاة الأول في سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وأستقرار الأمر للسلطان محمد. وبالإضافة الى الصراع الداخلي بين الفئات السلجوقية المتنافسة، فإن الصليبيين أخذوا يشكلون خطراً كبيراً إذ أستطاعوا بنجاح أن يسيطروا على بعض أجزاء من الإمبراطورية. وقد أنتفع الأمير صدقة بن مزيد من هذا الوضع وعلى

الأخص من النزاع الداخلي بين السلاجقة فائدتين مهمتين أولاهما أنه أخذ يستغل هذا النزاع فيميل الى جانب ضد الجانب الآخر وبذلك أستطاع أن يوسع إمارته ونفوذه، وثانيهما أنه أخذ يشكل قوة سياسية مستقلة لا يُستهان بها، فقد أعلن ثورته وأراد فرض آرائه في عددٍ من المرات.

وأعتماداً على رواية أبي البقاء أن العلاقة بين صدقة والسلطان بركيارق كانت قديمة وترجع الى زمن صراع الأخير مع أخيه محمود، قال أبو البقاء: "أنه لما أستولى ـ بركيارق ـ على الملك بعد وفاة أخيه محمود أستمال سيف الدولة فمال إليه وقصد خدمته وهو بأصفهان وأقام ببابه مدة يسيرة وجرى بينهما من العهد والميثاق ما يجري بين مثليهما فحافظ على خدمته وقام بشرط طاعته"[1] وقد أورد البنداري مثل هذا فقال عندما جاء بركيارق الى بغداد عن طريق خوزستان وواسط أتصل به صدقة[2]. وقد ظل صدقة مؤيداً للسلطان بركيارق ففي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م أستولى داعية تاج الدولة أبو سعيد تتش بن محمد ألب أرسلان على بغداد وأزال خطبة بركيارق وخطب بدلاً عنه لتتش، لذلك توجه صدقة بجنده وعسكر في محلة باب الشعير مُظهراً مناصرته للسلطان بركيارق مما أدى الى أن يترك داعية تتش بغداد[3].

---

١. أبو البقاء: المناقب المزيدية، ورقة ١٣٢ (ب)؛ المحقق ج٢، ص٤٢٤.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٠٩؛ البنداري: ص٢٣٧؛ الذهبي: العبر، ج٣، ص٣٣٥.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص٨٤.

غير أن الموقف تغير بين الطرفين في سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م إذ خرج فيها صدقة عن طاعة السلطان بركيارق وأعلن خطبته للسلطان محمد. ولقد أتفق كل من ابن الجوزي وابن الأثير في ذكر السبب في تمرد صدقة، علماً بأن ابن الجوزي يقدم مادة أكثر من تلك التي قدمها ابن الأثير. قالا أن وزير السلطان بركيارق الأعز أبا المحاسن الدهستاني هدد صدقة على أنه إذا لم يدفع لخزانة السلطان ألف ألف دينار فإن عساكر السلطان سوف ترحف لمحاربته وطرده من بلاده، فأعتبر صدقة ذلك التهديد أهانة له فقطع خطبته وخطب للسلطان محمد[1]. لا شك أن هذا لم يكن السبب الحقيقي لثورة صدقة وتغيره على السلطان بركيارق بل كان عاملاً مشجعاً له لتطبيق سياسته في الميل الى جانب ضد الآخر من أجل تحقيق أهدافه لاسيما وأن السلطان بركيارق كان يعاني من مشاكل سياسية ومالية.

فبعد أنتصاره على أخيه محمد في الري، أخذ عسكره يتفرق عنه وبقي في قلّة من العسكر، ولذلك أستطاع السلطان محمد أن يسترجع قواه ويعيد الكرة ويلاحق جيش أياز الذي كان مع بركيارق وينتصر عليه[2]. وأخيراً سار بركيارق وجيشه البالغ خمسة آلاف فارس الى بغداد إلا أن أستقراره في

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص١٢٤؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١١٤ ـ ١١٥.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١١٤ ـ ١١٥.

بغداد لم يخفّف من الأزمة بل إنه واجه أزمة أخـرى ماليـة. وفي الحقيقـة أن الأزمة المالية كانت موجـودة قبـل مجـيء بركيـارق الى بغـداد، ففـي سـنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م عندما جاء أبو المحاسن الدهستاني الى الوزارة وجد الخزانة فارغة[١]، لذلك أراد التغلب علـى هـذه المـشكلة بمطالبـة صـدقة بـالأموال. والظاهر أن صدقة لم يدفع الأموال المقررة عليه للسلطان خلال فترة أنشغاله في الحروب. إن مجيء بركيارق الى بغداد قد سـاعد علـى تـضاعف الأزمـة المالية، إذ ضاقت عليه الأموال كثيراً "فلم يكن عنده ما يخرجه علـى نفـسه وعلى عساكره"[٢] ولهذا أرسل الى الخليفة قائلاً: "إن المطالب قد أمتنعـت ولا بد من إعانتنا بشئ نصرفه على العسكر"[٣]. إن عجز السلطان بركيارق علـى التغلب على هذه المشاكل يعكس بوضوح مدى ضعف موقفه في العراق، وقد شجع هذا الموقف صدقة الى أن يعلن ثورته.

والذي أعتقده أن السبب الحقيقي للثورة هـو مجـيء بركيـارق الى بغـداد وأستقراره وبذلك فإنه سوف يشكل خطراً كبيراً على أستقلال ونفوذ صدقة.

---

١. ابـن الجـوزي: ج٩، ص١١٢؛ Lambton: 'The internal of the Seljuq Empire 2 in the Camb Hist, vol. 5 p. 255.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١١٥.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص١٢٤؛ قال ابن الجوزي أن الخليفة أعطاه خمسة آلاف دينار بينمـا ذكـر ابن الأثير (ج١٠، ص١١٥) المبلغ على أنه خمسـون ألف دينار.

وكما قلنا سابقاً أن القبائل البدوية تفضل بصورةٍ عامة تأييد السلطان البعيد من منطقة نفوذهم على ذلك القريب منهم. ولقد كان من المتوقع أن يكون رد فعل بركيارق قوياً إلا أن المصادر لا تحدثنا شيئاً عن ذلك، وربما يرجع سبب ذلك الى أنه كان غير قادر على تسيير حملة عسكرية ومحاربة صدقة ثم أن فترة بقائه في بغداد كانت قصيرة إذ أستطاع السلطان محمد في نفس السنة أن يسيطر على بغداد وأن يطرد بركيارق منها.

ومن الطريف ذكره في هذا المجال أن هناك دليلاً على أن تمرد صدقة هذه كان يمثل بصورةٍ غير مباشرة الثورة العربية ضد السيطرة الأجنبية السلجوقية. إعتماداً على ابن الجوزي أن صدقة عبّر عن غضبه حينما هدده الوزير الدهستاني وذلك بطرده رسول الوزير بصورةٍ مضحكة فقد أمر بقطع أطناب الخيمة على الرسول فخرج الرسول وركب عائداً في الحال. وقد قال عدّة أبيات من الشعر تؤيد الفكرة السابقة، قال:

لا ضربت لي بالعراق خيمة	ولا علت أناملي على قلمِ
إن لم أقدها من بلاد فارس	شعث النواصي فوقها سود اللممِ
حتى ترى لي في الفرات وقعة	يشرب منها الماء ممزوجاً بدمِ[1]

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص١٢٤.

وتتفق الروايات على أن فترة سيطرة بركيارق على بغداد لم تستمر إلا قرابة الشهر وفي السابع والعشرين من ذي الحجة حسبما قاله ابن الأثير دخل السلطان محمد بغداد، وقطعت خطبة بركيارق وخطب لمحمد. وبمناسبة مجيء السلطان محمد الى بغداد فإن صدقة توجه إليه لتهنئته بمنصبه ولإظهار طاعته وولائه للسلطان الجديد[١] تقول البروفيسور لامبتون أنه حالما أصبح محمد سلطاناً شرعياً، فإن صدقة لم يستمر على تأييده كما كان لبركيارق[٢] غير أن هناك عدّة روايات ذكرها ابن الجوزي وابن الأثير تدلل على قوة العلاقة بين الطرفين، وأن صدقة حافظ على ولائه للسلطان محمد. ففي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م حاول السلطان بركيارق، الذي كان معسكراً في واسط، أستغلال فرصة خروج السلطان محمد وسنجر الى بلادهم وذلك بالسيطرة على بغداد مرة ثانية. وكان بإمكان صدقة أن يميل الى جانب السلطان بركيارق، إلا أنه تقدم الى الخليفة وسأله أن يعطيه أمراً بمحاربة جيش بركيارق[٣]. وفي سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م أصبح الموقف ضد صالح السلطان محمد فقد أنتصر عليه بركيارق وأعيدت الخطبة بأسمه في بغداد ولكن صدقة أستمر على الخطبة للسلطان محمد، ولم يكتف بهذا بل زحف بعسكره الى بغداد

---

١ لقد وضع ابن الجوزي (ج٩، ص١٢٤) دخول محمد بغداد في ٢٥ جمادي الآخرة سنة ٤٩٤. بينما وضعها ابن الأثير (ج١٠، ص١١٥) في ٢٧ ذي الحجة من نفس السنة.

2. Lambton: Contributions, pp. 42 _ 43 .

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص١٣٠ _ ١٣١.

ووصل الى جسر صرصر، ونهب نهر الملك وقام بمحاصرة بغداد. وقد وصف كل من ابن الجوزي وابن الأثير[1] أرتباك الأوضاع الإقتصادية في بغداد على أثر ذلك الحصار فبلغ سعر الخبز ثلاثة أرطال بقيراط. فإضطر الخليفة الى أرسال قاضي القضاة أبي الحسن وتاج الرؤساء ابن الموصلايا الى صدقة يأمره بالكف عن مثل تلك الأعمال، إلا أن صدقة أصرّ حسبما قاله ابن الأثير على طلب إخراج القيصري[2] أحد قوّاد بركيارق من بغداد وإلا فإنه سوف يدخل بغداد بالسيف. وأخيراً أستقر الأمر على إخراج القيصري من بغداد، وأعيدت الخطبة للسلطان محمد. وعندما سار القيصري الى واسط، أقام الخطبة لبركيارق، ولذلك سار إليه صدقة ودخل واسط وأنتصر على جيش القيصري وأعاد الخطبة للسلطان محمد. والمهم هنا هو أن صدقة بعد أنتصاره على القيصري في واسط أدخل أسمه في الخطبة بعد أسم السلطان محمد[3]، مما يدل على مدى توسع نفوذه وسلطته. والسؤال الذي يفرض نفسه هو هل كان صدقة صادقاً في دعواه ومخلصاً في إعادة السلطة لمحمد؟ أم أنه كان يهدف بعيداً، فربما كان هدفه توسيع شقة الخلاف بين الطرفين، وربما أنه أراد الفوز بنصيبه وحصته وهو السيطرة على بغداد التي سوف نشير إليها في موضوع علاقة صدقة بالخليفة.

---

١. ن.م. ج٩، ص١٣٤؛ ابن الأثير: ج ١٠، ص١٣٣.
٢. ابن الأثير: ج ١٠، ص١٣٣.
٣. ن.م.

كان من نتائج علاقة صدقة الحسنة مع السلطان محمد أنه "عندما ولي محمد صار له ـ أي صدقة ـ بذلك جاه... وقرر مع أخيه بركيارق أن لا يعرض لصدقة"[١] وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان السلطان محمد واثقاً من جانب صدقة. ولما أتفق الطرفان ـ محمد وبركيارق ـ في سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م وتقاسما البلاد، أختار السلطان محمد من العراق بلاد صدقة ضمن أملاكه[٢]. كما أنه في سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م عندما شعر بركيارق بقرب أجله وهو في طريقه الى بغداد عيّن أبنه ملكشاه البالغ من العمر أربع سنين سلطاناً وجعل الأمير أياز أتابكه. وقد سيطر هؤلاء على بغداد وأعلنت الخطبة بأسم ابن بركيارق، في الوقت الذي كان فيه السلطان محمد منشغلاً بحرب جكرمش في الموصل. وحينما سمع بوفاة أخيه توصل الى الصلح مع جكرمش وجلس للعزاء. في ذلك الوقت قام صدقة بعملٍ آخر يؤكد ما قلناه سابقاً أنه بقي محافظاً على علاقته مع السلطان محمد، فقد جمع صدقة حوالي خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل حسب قول ابن الأثير وابن القلانسي وسار بأتجاه بغداد، ثم أنه أرسل في حينه ولديه بدران ودبيساً الى السلطان محمد في الموصل يخبره بما حدث في بغداد ويحثه على المجيء وإخراج ابن بركيارق منها[٣]. وأخيراً فإنه في سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م عرض

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦.
٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٨؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٣.
٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٤٤؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٧.

مملوك زنكي ابن جكرمش في الموصل على صدقة تسليمه الموصل، التي كانت كما يبدو تابعة للسلطان محمد. إلا أن صدقة رفض، وكما قال ابن الأثير، لأنه "حبذ طاعة السلطان"[١]. في حين نرى صدقة يسارع لنجدة صاحب طرابلس عندما طلب السلطان محمد منه ذلك نتيجة لمضايقات الفرنج لصاحب طرابلس[٢].

لقد كان السلطان محمد كريماً مع صدقة فقد أقطعه إقطاعاتٍ عديدة، ولم يعترض على سياسة صدقة التوسعية. ونظرة الى خريطة العراق تتوضح سعة مساحة الأملاك التي ضمّها صدقة، والتي لم تعهد الإمارة المزيدية مثلها. فقد كان من بين المناطق التي سيطر عليها المزيديون، النيل والجامعين والأنبار ودمما، إضافة الى أملاك أبيه وجدّه في نهر الملك وكوثى. ولم يقف صدقة الى هذا الحدّ في توسيع إمارته على منطقة الفرات الأوسط بل كما سنرى سعى الى ضم مناطق أخرى بعيدة متشبهاً بإمارة بني عقيل عندما كانت لها السيادة القبلية في العراق.

وقبل أن ندخل في تفصيل مخطط صدقة التوسعي فإنه ينبغي الإشارة الى حدث مهم في حياة الإمارة المزيدية ألا وهو التحول الجغرافي في سكناهم. إذ أن صدقة أتخذ موضع الجامعين مركزاً له بدلاً من مدينة النيل، وفي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م قام ببناء أو تعمير الحلّة التي هي الجامعين وأصبحت هذه

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥١.

٢. ابن القلانسي: ص١٥٦.

المدينة عاصمة المزيديين[١] الجديدة. ومما يجب ذكره كذلك أننا سوف نتحاشى هنا الى التعرض الى تناقض الروايات حول فكرة بناء الحلّة التي تعرض إليها جورج مقدسي[٢] في مقالة مهمة. لقد ذكر ياقوت الحموي أن أصل الجامعين كان أجمة تأوي إليها السباع[٣]، ولكن صدقة أتخذها مركزاً لعدة أسباب منها أنه أراد الأبتعاد عن المشاكل والمنازعات السياسية[٤]، ولقد مرّ بنا كيف أصبحت النيل منطقة مضطربة حدثت فيها حروب ومعارك كثيرة. وهناك سبب ثانٍ هو الموقع الإستراتيجي، فهي أجمة يصعب الوصول إليها، فهي لذلك مدينة حصينة. ولا شك أن ما شاهده صدقة من منازعاتٍ بين السلاطين أثر في نفسه فخاف على بلاده وأراد أن يكون في مأمن من حملاتهم، إضافة الى ما كانت تقوم به القبائل الأخرى من هجمات[٥] على بعض المناطق التي يملكها صدقة. ويحتمل أن هناك سبباً آخراً وهو قرب الجامعين والحلّة من المياه، وخصوبة أرضها، وكان لطريق القوافل والحُجّاج

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص١٣٢؛ ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٣؛ ذكر الأستاذ زترسين Zettersteen أن المزيديين كانوا قبل تأسيس الحلة يعيشون في الخيام Tents. والواقع أنهم كانوا يقطنون بيوتاً في النيل قبل تأسيسهم مدينة الحلة لا الخيام (ينظر مقالة Sadaka في دائرة المعارف الإسلامية ـ طبعة جديدة بالإنجليزية).

٢. Makdisi,g.: 'Notes on Hilla and the mazyadids' in JAOS, pp. 249—58؛ ينظر: أبا البقاء: المناقب، ورقة ١٣٢؛ المحقق ج٢، ص٤٢٥.

٣. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٣.

٤. ن.م. قال أن من أسباب بنائه الجامعين هو أن "يبتعد عن الطالب".

٥. ابن الأثير: ج١٠، ص٩٧؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٥٢ ـ ١٥٣.

من بغداد ـ الكوفة أهمية كبيرة، لهذا أراد أن يسيطر على الطريق وجعل الحلّة محطةً مهمة فيه. وربما كان أنحلال مشاريع الري في منطقة النيل سبباً في أنتقاله منها الى الحلّة.

توسعاته

فقد أستولى صدقة على هيت في سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م. وحدثنا أبو البقاء عن طريقة فتحها بصورةٍ مختصرة من دون ذكر أسباب ذلك فقال: "ومما يشابه هذا مساعيه ما كان من فتح هيت بأيسر سعي وأهون تكلف"[١]. أما ابن الأثير فيقدم لنا وصفاً مفصلاً لما كانت عليه هيت الى وقت أستيلاء صدقة عليها فقال كانت هيت تابعة لمسلم بن قريش العقيلي وقد أقطعها إياه السلطان ألب أرسلان، ولما قتل ألب أرسلان أصبحت هيت تابعة لبعض قوّاده. وأستمرت كذلك حتى موت السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان فأخذها أخوه تتش. وعندما تولى السلطنة بركيارق أقطعها الى ثروان بن وهب بن وهيبة وهو من بني عقيل وكانت علاقة ثروان في بداية الأمر حسنة مع الأمير صدقة، غير أنها سرعان ما تغيرت وذلك لأن صدقة زوج أبنته من ابن عمّه بينما كان ثروان قد خطبها من صدقة من قبله ولكنه رفض. والظاهر أن ثروان وجماعة من بني عقيل كانوا يقيمون مع صدقة في الحلّة،

١. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٧(أ)؛ ينظر: المحقق من كل من الدكتور صالح درادكة والدكتور محمد عبد القادر خريسات، ج٢، ص٤٩٨.

لأن ابن الأثير يقول بأن من نتائج أعطاء صدقة أبنته الى ابن عمّه أن حاول بنو عقيل التمرد على صدقة في الحلّة، إلا أن صدقة تمكن من القضاء على هذه المحاولة وقد أحتج لثروان المذكور على هذا العمل. ويحتمل أن العلاقة تحسنت مرة ثانية بين الطرفين، وأن ثروان ذهب الى الحج وعندما رجع كان مريضاً وغير قادر على تحمل أعباء المسؤولية في هيت فوكل صدقة وأعطاه هيتاً وأرسل حاجبه ومعه كتاب يقضي بتسليم هيت الى صدقة وكان فيها حينئذٍ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر الذي رفض تسليمها، لذلك جهز صدقة عسكره وزحف إليها بنفسه وأخذها بالقوة[١]. والمهم في هذه القصة أن السلطان لم يتدخل أو يعارض فكرة أستيلاء صدقة على المدينة.

ولأبي البقاء قصيدة وصف بها فتح صدقة لهذه المدينة وقد دخلها بجيشٍ قوي العدد والعدة، كما أنه وصف هيت كالبنت الباكر "والدرة التي لم تثقبِ"[٢].

ثم فتح صدقة عانة في سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م. ففي تلك السنة جهز صدقة عسكراً لفتحها وكان بها حينئذٍ جيش من الأتراك مع يلك بن بهرام ابن

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٤؛ وكذلك ابن خلدون: ج٤، ص٦٠١؛ وقد جاء أسم ثروان بن وهيبة على شكل توران بن تهيبة، ورافع ابن رفاع بن منيعة بدلاً من ضبيعة. وأعتقد أن يكون ذلك تصحيفاً.

٢. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٧ (أ) ـ ١٥٧ (ب)؛ ينظر: المحقق من المناقب، ج٢، ص٤٩٨.

أرتق. وعلى الرغم من مناعتها فإن صدقة أستطاع أن يسيطر عليها[1]، لكن أبا البقاء الذي ذكر هذه الأحداث لم يذكر الأسباب التي دعت الى فتح المدينة. بينما قدّم ابن الأثير سبب ذلك فقال أن يلك بن بهرام أراد أن يستولي على عانة التي كانت تابعة لبني يعيش بن عبس بن خلاط، وعندما رأى بنو يعيش الخطر قصدوا سيف الدولة مستنجدين وسألوه التوجه إليها ووعدوه بتسليم المدينة له ففعل صدقة ذلك. والذي يبدو أنه قد وقعت معركة بين صدقة وبين الأتراك وبهرام أنتصر فيها صدقة، إذ يحدثنا ابن الأثير بأن بهرام وجماعته من الأتراك أضطروا الى ترك المدينة وأن صدقة أستطاع من دخولها وأن يستولي على رهائن الأتراك، ثم عاد الى حلّته[2]. ولا شك أن مجيء بني يعيش الى صدقة وعدم توجههم الى سلطة بغداد يدل دلالة واضحة على مكانته الواسعة بين القبائل العربية، وربما لكونه ملك العرب ونائبهم والمدافع عن مصالحهم.

بعد أن فتح صدقة عانة وطرد الأتراك منها فتح مدينة واسط في هذه السنة أيضاً. وهناك عدّة روايات عن فتح تلك المدينة بعضها يبين أن واسطاً قد خلعت على الأمير صدقة من قبل السلطان[3] ويمثل وجهة النظر هذه ابن

---

١. المناقب المزيدية: ورقة ١٥٤ (أ)، ينظر: المحقق، ج٢، ص٤٩٠.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٧ وما بعدها.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦. وقد ذكر أيضاً في مكان آخر ضمن حوادث سنة ٤٩٨ هجرية أن السلطان أمر برد واسط الى صدقة. أنظر: ج٩، ص١٤٣.

الجوزي. بينما يقول ابن الأثير بأن صدقة أستولى على واسط عسكرياً، حيث سار إليها بجيشٍ كبير وكان يسيطر عليها في ذلك الوقت الأتراك. وبأقتراب صدقة منها أنقسم الأتراك الى قسمين، قسم صار الى جانب صدقة بينما ترك القسم الآخر واسط وأنسحبوا الى بغداد ولذلك دخلها صدقة. ويضيف ابن الأثير بأن صدقة ضمنها لصاحب البطيحة مقابل خمسين ألف دينار سنوياً[١]. وقد أيد أبو الفداء هذه الرواية إلا أنه ذكر أن صدقة ضمن البطيحة لمهذب الدولة ابن أبي الجبر[٢] وليس واسطاً مع العلم أن مهذب الدولة كان ضامناً للبطيحة قبل أن يسيطر صدقة على واسط. ثم أن مهذب الدولة أقام في واسط مما يدل على أن الضمان كان على واسط ولم يكن على البطيحة.

أما في مسألة أحتلالها وعدم أحتلالها فيحتمل أنه أستولى عليها ثم أقرّه السلطان ذلك، أي أن الخلعة يقصد بها هنا الأعتراف بما وقع في يده وبواقع الأمر. ويدل على هذا وقائع الرواية حيث كان في المدينة عسكر من الأتراك المؤيدين للسلطان بركيارق ولا شك أن هؤلاء منعوا صدقة من دخولها بسهولة، مما دفع صدقة الى أن يستولي عليها عسكرياً.

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٤١؛ ينظر: Sanaullah, M.F. The decline of the Seljuqid empire (Calcutta 1938) p. 108.

٢. أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٤؛ ونقلها عنه ابن الوردي: ج٢، ص٥١؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٦٣.

وتختلف الروايات أيضاً في فتح صدقة البصرة، فمما رواه ابن الجوزي أن السلطان أذن له في أخذ البصرة[1]. ولا ريب أن المفهوم من ذلك أنه أقطعها أو وهبها له. وقد ذكر أبو البقاء تفاصيل وافية عن سيطرة صدقة على البصرة، مع وصف العمليات الحربية بين إسماعيل حاكم البصرة وبين صدقة، وذكر بأن إسماعيل عمل على تحصين المدينة فحفر حولها الخنادق وجمع عدداً كبيراً من الجنود الأتراك والديلم[2] لإحباط تقدم جيش صدقة. وبالإضافة الى التفصيلات العسكرية فإن أبا البقاء يقدم حقيقة الأسباب التي دعت صدقة الى محاربته فقال أن إسماعيل كان خرمي المذهب، وأنه تمرد على السلطان وترك طاعته[3] وهذا كله دفع صدقة الى محاربته وفتح البصرة. والذي يظهر من هذه الرواية هو أن العلاقة كانت غير جيدة بين إسماعيل والسلطان، وأن إسماعيل لم يصطدم بصدقة بشكلٍ مباشر. بينما بالنسبة الى رواية ابن الأثير الذي يقدم جميع أسباب الإصطدام بين صدقة وإسماعيل فهو يقول: كان إسماعيل بن أرسلانجق مقيماً في البصرة مدة عشر سنين وكان صاحب نفوذ وسلطة، ومما زاد في سيطرته وقوته هو أختلاف السلاطين السلاجقة حتى أنه سيطر على الأموال السلطانية في البصرة، وكان أيضاً قد راسل الأمير صدقة وأظهر له الطاعة والموافقة. فلما تولى السلطان محمد على السلطنة أرسل

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦.
٢. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٦ (ب) ـ ١٥٧ (أ)، ينظر المحقق، ج٢، ص٤٩٥ ـ ٤٩٦.
٣. ن.م. ورقة ١٥٦ (ب)، ينظر: المحقق، ج٢، ص٤٩٦.

مقطعاً الى البصرة ليتولى ما يتعلق بالسلطان، ولكن إسماعيل منع ذلك الموظف من القيام بعمله. ويقول ابن الأثير بعد ذلك أن السلطان أقطع البصرة الى صدقة فبعث صدقة حاجباً له ليتسلم شرطتها. إلا أن إسماعيل قبض على الحاجب وسجنه الأمر الذي دفع صدقة الى التوجه إليه ومحاربته. وعندما فتح البصرة رجع الى الحلّة ثانيةً بعد أن عيّن عليها شحنة[١].

فالبصرة إذن كانت مقطعة الى صدقة بعد أن فشل السلطان محمد في الحدّ من سلطة إسماعيل، إضافة الى تصرف إسماعيل مع حاجب صدقة كان سبباً مباشراً في فتحها بالقوة. ولا شك أن إقطاع السلطان محمد البصرة الى صدقة وهو يعلم ما بلغه إسماعيل من قوة ونفوذ دليل آخر على قدرة صدقة وقوته، فليس هناك شخص أجدر منه على أخذ البصرة من إسماعيل الذي تجهز بكل الوسائل للدفاع عنها وكما قال ابن الأثير: "وأقام صدقة محاصراً لإسماعيل بالبصرة فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها وأعلموه أنهم لا يظفرون بطائل"[٢]. وحتى عندما دخل صدقة البصرة فإنه قد وقع قتال بين عسكره وبين طائفة من البصريين ذهب ضحيتها أبو النجم بن أبي القاسم الورامي ابن خال سيف الدولة صدقة[٣]. ولقد كانت هناك معارضة

---

١. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٧ (أ)، ينظر: المحقق، ج٢، ص٤٩٥ ـ ٤٩٦.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٠ ـ ١٥١؛ ابن خلدون: م٤، ص٦٠٢.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٠.

داخلية من بعض سكان البصرة على دخول صدقة المدينة[1]. إن تغلب صدقة على جميع هذه المصاعب يثبت قدرته العسكرية[2].

وفي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م ألتفت صدقة الى قلعة تكريت. وتكريت قد تعرضت لتطوراتٍ سياسية عديدة منذ سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م حتى الفترة التي أصبح فيها السلطان محمد هو السلطان الشرعي. لقد أقطع هذا السلطان تكريت لأقسنقر البرسقي شحنة بغداد، وقد توجه إليها هذا وكان بها حينئذٍ كيقباذ بن هزارسب الديلمي. والظاهر أن كيقباذ لم يكن راغباً بتسليمها الى أقسنقر، ولكن ليس بأستطاعته مقاومة جيش أقسنقر طويلاً، ولهذا قام بمراسلة صدقة مستنجداً به ومتعهداً بتسليمها إليه. ولم تفت صدقة هذه الفرصة فتجهز وزحف الى تكريت بنفسه وأستطاع أن يسيطر عليها ويحبط محاولة البرسقي[3] في أخذها. والذي يبدو من هذه الأحداث أن أستيلاء صدقة على قلعة تكريت جاء مشابهاً لإستيلائه على عانة.

وفي السنة ذاتها، ٥٠٠هـ بعث صدقة أبنه بدران على رأس جيشٍ قوي الى أطراف البلاد بالقرب من البطيحة، وكان السبب في ذلك حسبما قاله ابن

---

١. ن.م.؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٧؛ ابن الوردي: ج٢، ص٢٧.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٩؛ بينما جعلها ابن خلدون (م٤، ص٦٠٤) في سنة ٤٩٦ هجرية.

٣. أنظر عن التطورات السياسية في تكريت قبل أحتلال صدقة لها: ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧؛ أبو الفداء: (م١، ج٤، ص١٣٩) قال بأن صدقة أمتلكها بعد كيقباذ. أنظر أيضاً: ابن كثير: ج١٢، ص١٦٧؛ ابن خلدون: م٤، ص٦٠٣ ـ ٦٠٤.

الأثير هو ظهور خطر قبيلة خفاجة على منطقة البطيحة. كانت البطيحة في ذلك الوقت مضمونة من قبل مهذب الدولة ابن أبي الجبر[١]، إلا أن المصادر لا تحدثنا فيما إذا كانت تحت سيطرة صدقة أم لا. مع العلم أن إرسال صدقة أبنه لحماية البطيحة من هجمات خفاجة قد يدل على أنها لم تكن تابعة لصدقة، وأن أهل المنطقة أستنجدوا به، كما فعل أهالي عانة، لدفع الخطر المحدق بهم. والظاهر أن بدران لم يتمكن من دفع قبيلة خفاجة، لأن ابن الأثير يقول أنه عندما هددت خفاجة أهل البلاد أضطر بدران الى مراسلة والده. وبذلك جهز صدقة مدداً أخراً الى بدران أشرك فيه قبيلة بني عبادة[٢]. ولعل صدقة كان يهدف من هذه المناورة العسكرية الى أن يُبعد خطر خفاجة أولاً ثم والأهم من ذلك الى أن يضمها الى مناطق نفوذه.

وتظهر نوايا صدقة في السيطرة على البطيحة من خلال حوادث أخرى ففي سنة ٥٠٠هـ عندما ضمن صدقة واسط لصاحب البطيحة وعندما عجز هذا عن دفع المال في نهاية السنة قبض صدقة عليه وحبسه[٣]. ولما طلب حماد بن أبي الجبر ابن عم مهذب الدولة مساعدة صدقة ضد صاحب البطيحة أمدّه صدقة بجيشٍ بقيادة قائده المشهور سعيد بن حميد العمري[٤].

---

١. سمّى الأستاذ زترسين مهذب الدولة سعيد بن أبي الخير والصحيح بن أبي جبر. ينظر مقالة: Sadaka b. Mansur في دائرة المعارف الإسلامية، طبعة جديدة بالإنجليزية، بقلم: K. V. Zetterseen..

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧ وما بعدها.

٣. ن.م. ج١٠، ص١٦٣.

٤. ن.م. ج١٠، ص١٦٤.

بعد أن تحدثنا عن وضعية السلطان السلجوقي وعلاقته بصدقة في هذه الفترة، لا بد لنا من الإشارة الى موقف الخليفة العباسي. فمن الملاحظ بأن وضعية الخليفة السياسية في هذه الفترة قد تحسنت بصورة أكثر مما كانت عليه في الفترة السابقة وهذا يعود بالدرجة الأولى الى أنشغال السلاجقة في منازعاتهم الداخلية، غير أنه مع ذلك لم يستطع أن يكوّن بمفرده كتلة سياسية قوية في وجه السيطرة السلجوقية. ولهذا السبب أستعمل سلاحاً آخراً هو التقلب في تأييده للسلاطين المتنازعين تبعاً للظروف السياسية العامة في العراق وكذلك تبعاً للظروف الداخلية في بغداد.

وحسبما يظهر من الحوادث السياسية التي وقعت في هذه الفترة أن من الصعوبات المهمة التي واجهها الخليفة أمام توسيع نفوذه وتقوية موقفه السياسي هو وجود صدقة بن مزيد[1]. مع العلم بأن هناك في الظاهر علاقة حسنة بين الطرفين، وأن الخليفة في عدّة أحايين يلتفت الى صدقة طالباً منه المساعدات العسكرية لأجل الهيمنة على الأمور في بغداد. والظاهر أن الخليفة حاول أستغلال قوة صدقة العسكرية في العراق في الضرب على عوامل الشغب التي قد تؤثر على سلطته في العاصمة، ثم أنه من الجهة الثانية لم يحاول أن يوسع صلاحيات صدقة أو أن يساعده في زيادة قوته، وذلك لئلا يصبح حجر عثرة في طريق أستقلال وأسترجاع سلطاته ولأنه كذلك

1. Lambton: Contributions p. 373 .

كان يخشى أطماع صدقة السياسية في بسط سيطرته على العراق بما في ذلك بغداد ذاتها وربما قد يكون سبب هذا التوجس من صدقة أن هذا كان يمثل الشيعة في العراق.

ففي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م عندما حاول السلطان بركيارق العودة من واسط وأحتلال بغداد في الوقت الذي كان فيه السلطان محمد خارجاً عنها، أعتبر الخليفة هذه الخطوة خطراً كبيراً على مصالحه في العاصمة ولذلك تجهز عسكرياً لصد الهجوم. وحاول صدقة أن يكسب ثقة الخليفة والسلطان محمد وذلك بطلبه من الخليفة أن يسمح له بصدّ الهجوم، لكن الخليفة قال له: "إن الخليفة يعتقد منك الصارم العضب"[1] وبذلك أستطاع الخليفة أن يحقق هدفين مهمين أولاً التقليل من نفوذ صدقة وتأثيره في الأحداث وثانياً كسب جانبه. ونجد كذلك في السنة ذاتها الخليفة يبعث كتاباً الى صدقة ملقباً إياه ملك العرب[2]. وهو نفس اللقب الذي أسبغه الخليفة الفاطمي على دبيس بن علي ـ كما سبقت الإشارة الى ذلك ـ إلا أن هذا اللقب أبلغ أثراً من سابقه لأنه من خليفة بغداد الذين تدين له بالولاء القبائل العربية الأخرى التي سكنت العراق. كما أن لهذا اللقب أهمية إجتماعية كبيرة حيث أنه أصبح ملكاً على جميع تلك القبائل، ولم يحصل عليه أي رئيس قبيلة أو أمير. وفضلاً عن أهميته السياسية، فإن الخليفة أراد أن يُرضي صدقة كما كان يهدف من

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص١٣٠ ـ ١٣١.

٢. ن.م. ج٩، ص١٣٢.

طرف آخر إشغاله في محاربة القبائل التي كانت تعبث بالأمن. ومن جانب صدقة فإن اللقب يعتبر أعترافاً واضحاً بقوته وأمكانيته. وقد وضّح أبو البقاء تلك الأهمية فقال أنه في سنة ٤٩٥هـ تعذر على الحُجّاج الذهاب الى مكة بسبب هجمات القبائل لذلك أمر الخليفة صدقة بواسطة توقيع (بمعنى أمر إداري) أن يحمي الحجّاج فأرسل صدقة مع القافلة قائده حميد بن المقلد العمري، وواصلت القافلة رحلتها ثم رجعت الى بغداد دون أن تعترضها أية قبيلة[1].

وفي سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م حاول الخليفة تطبيق سياسته الرامية الى توسيع شقة الخلاف بين السلاجقة من أجل فرض نفوذه. ففي الوقت الذي كانت بغداد تحت سيطرة شحنة السلطان محمد إيلغازي، وكانت الخطبة للسلطان محمد أرسل بركيارق الذي كان في همذان شحنة الى بغداد أسمه كمشتكين القيصري ليخطب بأسمه. وفعلاً أستطاع القيصري السيطرة على بغداد فأعيدت الخطبة من قبل الخليفة الى بركيارق، ثم أرسل حاجبه الى صدقة لكي يغير الخطبة في بلاده. إلا أن صدقة، كما سبق الإشارة الى ذلك، رفض وأعلن تمرده وسار بجيشه الى بغداد، ونهب المناطق الواقعة بالقرب من بغداد، وأرسل الى الخليفة رسولاً يعرّفه بما حدث من أضطرابٍ في نفوس الناس من جراء عمله. إلا أنه أصرّ على إخراج القيصري وإعادة الخطبة للسلطان محمد وإلا فإنه سوف يدخل بغداد بالسيف، وبعد مفاوضاتٍ مستمرة استطاع

---

١. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٢ (ب). ينظر المحقق، ج٢، ص٤٨٥.

صدقة أن يفرض رأيه بإخراج القيصري وإعادة الخطبة للسلطان محمد[١]. وفي الواقع كان بإمكانه أن يبدل الخطبة ويجتمع مع الخليفة للتعاون وإضعاف نفوذ كل من الطرفين المتناحرين، ولكنه حسبما أعتقد خاف من تنفذ وتسلط الخليفة عند أسترداده لسلطته وبذلك سوف يشكل خطراً على مطامح صدقة وبهذا وقف هذا الموقف المعارض لسياسة الخليفة.

لم يقتصر التنافس بين صدقة والخليفة على المجال السياسي بل تعداه الى الأدبي والإجتماعي. فمما ذكره أبو البقاء أن صدقة كان يتصف بصفات حميدة وأنه كان كريماً "يغترف من بحر جوده فقير العرب والغني"[٢]. وكان يعطي للشعراء وقال كذلك: "أنه يصرف على الصلات العارضة والمطابخ حوالي ستين ألف دينار"[٣]. ومن أعماله الحميدة الأخرى أنه أطلق سراح أسرى بني عقيل وكساهم وحماهم وردهم الى أهلهم[٤]. وكانت له دار في بغداد أهداها إليه الخليفة. وقد أصبحت ملجأ لكل من تطارده السلطة[٥]، وممن ألتجأ إليها الملك ابن الغنائم صاحب الأمير نجم الدين إيلغازي بن أرتق[٦].

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص١٣٤ ـ ١٣٥؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٣٣.

٢. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٧ (أ)، ينظر المحقق، ج٢، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤.

٣. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٨ (أ)، ينظر المحقق، ج٢، ص٥٠٣ ـ ٥٠٤.

٤. ن.م. ورقة ١٤١ (أ) ـ ١٤١ (ب)؛ ينظر المحقق، ج٢، ص٥٠٣.

٥. ن.م. ورقة ١٥٠ (ب) ـ ١٥١ (أ) ـ (ب)، ينظر المحقق، ج٢، ص٤٨٠، ٤٨١. المسجد المسبوك، مجلد ١، ورقة ٤٤ (ب).

٦. المناقب المزيدية، ورقة ١٥٠ (ب) ـ ١٥١ (أ). ينظر المحقق، ج٢، ص٤٨٠.

ولقد مدح كثير من الشعراء صدقة، بقصائد طوال، بل أن بعضهم مثل ابن الهبارية قد أهدى أرجوزةً سمّاها الصادح والباغم تتكون من ألف بيت وهي على نظم كليلة ودمنة[١]. ومن أولئك الشعراء أيضاً الشاعر السنبسي[٢]، والمطاميري[٣]، والأبيوردي[٤]، والبندنيجي[٥]. كما أن هناك بعض الشعراء الذين قصدوا صدقة في الحلّة ومدحوه مثل محمد ابن حيدر بن عبد الله بن شعبان البغدادي[٦]، وابن الخازن[٧]، وأبو الفرج يحيي بن التلميذ[٨] والشاعر المكين بن الأقفاصي الأعمى الموصلي[٩]. إن هذه الكثرة من الشعراء والأدباء الذين

---

١. عن كتاب الصادح والباغم وأشعار ابن الهبارية أنظر: كتاب الصادح والباغم، ص٩ ـ ١٠، ٢٠، ١٠٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٨٠؛ الصفدي: الوافي، ج١، ص١٣٢؛ ابن الوردي: ج٢، ص١٩؛ العماد الحنبلي: شذرات، ج٤، ص٢٥ ـ ٢٦؛ حاج خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٠٦٩.

٢. وعن السنبسي أنظر: العماد الأصبهاني: خريدة القصر، (قسم العراق) ج٢، ص٢٠٠ ـ ٢٠١؛ القفطي: المحمدون من الشعراء (مخطوطة)، ص١٠٣، ١٠٩؛ ابن الدبيثي: المختصر المحتاج، ج١، ص٤٥؛ ياقوت: الأدباء، ج٤، ص٥٦٤؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٤٩؛ الصفدي: الوافي، ج٢، ص٤٨؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص٤٠٣.

٣. ياقوت: الأدباء، ج٤، ص٥٦٣.

٤. الأبيوردي: ديوان، ص١٣٤ ـ ١٣٧، ١٩٨، ٣١١ ـ ٣١٣، ٣٣٤ ـ ٣٣٥، ٣٥٨ ـ ٣٦٠؛ ياقوت: الأدباء، ج٤، ص٣٥٦.

٥. ابن الأثير: ج١٠، ص٤٩.

٦. العماد الأصبهاني: خريدة (قسم العراق)، ج٢، ص٢٢٠؛ القفطي: المحمدون، ورقة ٦٩ (ب).

٧. الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص٨١.

٨. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص٢٩٤؛ القفطي: أخبار الحكماء، ص٣٦٤.

٩. العماد الأصبهاني: خريدة (قسم الشام)، ج٢، ص٣٦٠.

أنشدوا الأشعار في إظهار صفات الأمير صدقة ـ وقد كان قسم منهم متصلاً به فقط بينما نرى آخرين قد ذهبوا إليه لمدحه ـ تدل دلالة واضحة على أن هدف صدقة الرئيس من وراء هذه الأبواق هو إظهار نفوذه، وكرمه، ومكانته الأدبية بين الشعراء وهوايته بالشعر، وكذلك ليبزّ ما كان يحتله الخليفة في هذا المجال، وليوجه الأنظار الى مدينة الحلّة على أعتبار أنها عاصمة الشعراء الجديدة. وفي الوقت نفسه فإن هناك عدداً من الشعراء ألتزموا جانباً عدائياً بالنسبة لصدقة أمثال الشاعر الغزّي الذي كان موالياً لسلطة بغداد، إذ نراه يمدح السلطان ويهنئه بمقتل صدقة. وأمتدحه الأستاذ A. Muller واصفاً إياه أنه كان «بدوياً أصيلاً وشجاعاً وعنيداً ومراوغاً»[١].

ومع كل هذا فإن كلاً من الطرفين ـ أعني الخليفة وصدقة ـ لم يحاول التخلص من وجود كيان الآخر وأن العلاقة بينهما أستمرت حسنة في الظاهر. وكما أورد ذلك ابن الجوزي عندما ذكر أن الخليفة المستظهر منح صدقة دار عفيف التي تقع في درب فيروز في بغداد[٢]، وأقطعه الأنبار ودمما والفلوجة، وخلع عليه خلعاً لم تخلع على أمير قبله[٣].

---

١. قال الأستاذ موللر أنه: "a true beduin, brave, stubborn and wily" نقلاً عن مقالة زترستين في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة) Der Islam im Mogenund Abrnd Land II P. 123.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦.

٣. ن.م.

تعتبر سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م من السنوات المهمة في تاريخ الإمارة المزيدية، فقد أعلن فيها صدقة تمرده ضد سلطة بغداد ومحاربة السلطان له. والأسباب التي دفعت صدقة على القيام بذلك يمكن تقسيمها الى مباشرة وغير مباشرة. فبالنسبة الى ابن الجوزي وابن الأثير فإنهما يذكران السبب المباشر للثورة هو مطالبة السلطان محمد بن ملكشاه لصدقة أن يسلمه أبا دلف سرخاب بن كيخسرو حاكم ساوة وآبه المغضوب عليه من قبل السلطان والذي كان قد ألتجأ الى صدقة. فيقول ابن الجوزي بأن صدقة رفض تسليم سرخاب وقال: "لا أفعل ولا أسلم من لجأ إلي"[١]. وقد جاء ابن الأثير برواية أخرى عن جواب صدقة على مطالبة السلطان بتسليم سرخاب حيث قال: "إنني لا أمكن منه ـ سرخاب ـ بل أحامي عليه وأقول ما قاله أبو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله ﷺ:

ونسلمه حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٢]

هذا الأختلاف في الروايات يدل على أن ابن الأثير أعتمد على مصدر آخر غير ابن الجوزي، علماً بأن تشبيهه لهذه الحادثة بحادثة أبي طالب فيها دلالات تاريخية. والظاهر أن رفض صدقة جاء لسببين أحدهما إجتماعي إذ كانت العادة البدوية بصورةٍ عامة وعادة الأمراء المزيديين خاصة هي عدم

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٧؛ وأنظر كذلك أبا الفداء: م١، ج٤، ص١٤١.
٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٥.

تسليم من أستجار بهم ولجأ إليهم وثانيهما هو أن صدقة أراد أن يستغل قضية سرخاب فيعلن ثورته. وربَّ سائلٍ يقول بأن العلاقة بين السلطان وصدقة كانت قوية وحسنة كما سبق أن قدمنا، فكيف تغيرت وأدت بالسلطان أن يعلن الحرب على صدقة ويجهز الجيوش للتخلص منه؟ وهنا ينبغي أن نلتفت الى دراسة الأسباب غير المباشرة لهذه الحادثة والتي هيأت ظروف الحرب بين الطرفين. فابن الجوزي وابن الأثير يتفقان على أن العميد أبا جعفر محمد بن الحسين البلخي هو المسؤول عن إفساد العلاقات بين السلطان وصدقة، فمما قاله للسلطان:

١ـ أن مركز صدقة السياسي قد عظم وأخذ يدلّ على السلطان وأنه إذا وقع إليه رد التوقيع (بمعنى إذا كتب إليه أمراً لم ينفذه) أو أطال مقام الرسول على مواعيد لا ينجزها، كما وأنه أوحش أصحاب السلطان[1].

٢ـ أن صدقة على مذهب الباطنية (أي الإسماعيلية) وأنه يُظهر سبّ الصحابة في بلاده[2]، وقد ردّ ابن الأثير على هذا الزعم بأنه غير حقيقي وأن صدقة كان شيعياً لا غير[3].

إن مزاعم العميد هذه قد تكون ناتجة عن عداء شخصي قديم مع صدقة أو تضارب بين مصالحهما السياسية في العراق، إلا أنها يمكن أن تكون قد

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦؛ ابن الأثير: ج ١٠، ص١٦٥.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦؛ ابن الأثير: ج ١٠، ص١٦٥.

٣. ابن الأثير: ج ١٠، ص١٦٥.

لاقت ترحيباً من قبل السلطان. والواقع أن مركز صدقة ونفوذه أصبح كبيراً فقد سيطر على بعض المدن المهمة سياسياً وإقتصادياً. كما خضعت له القبائل العربية في العراق. وبطبيعة الحال فإن هذه الظروف قد ولّدت مخاوفاً عند السلطان من صدقة وأوحت له بأنه سوف ينافسه بالقوة والنفوذ إذا ترك دون محاربة. أما بالنسبة لصدقة فربما كان على علم بما يجري، وقد يكون متعمداً في سياسة تأخير أرسال الأموال المقررة الى بغداد.

إن رفض صدقة تسليم سرخاب ثم عزمه على الثورة دفع السلطان الى أن يجهز الجيش ويسير لمحاربته، وقد وقعت الحرب في سنة ٥٠١هـ وأنتهت بمقتل صدقة وهروب جيشه وأستيلاء أصحاب السلطان على الحلّة. ومن المناسب ذكره أن ابن الأثير يقدم معلومات مفصلة عن الحرب أكثر مما قدمه ابن الجوزي[١]. من الممكن إرجاع فشل ثورة صدقة الى عدّة أسباب منها:

١ـ أنها وقعت في وقت غير ملائم، وكان الأجدر بصدقة أن يعلنها في الفترة التي سبقت أعتلاء السلطان محمد على السلطنة حين كان الإنشقاق

١. أنظر عن المعركة وقتل صدقة: ابن الجوزي: ج٩، ص١٥٦ ـ ١٥٧؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٥ـ١٦٩؛ الحسيني: أخبار، ص٨٠ ـ ٨١؛ البنداري: ص٩٣ ـ ٩٤؛ ابن القلانسي: ذيل، ص١٥٩ـ١٦٠؛ الفارقي: ص٢٧٤؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٢٤؛ وقد جعل ابن خلكان خطأً سنة مقتل صدقة (٥٠٠ هجرية) ج٢، ص١٨٣؛ ابن الشحنة: روضة المناظر، (حاشية على ابن الأثير)، ج٨، ص٢١٧؛ الذهبي: دول، ج٢، ص٢١؛ Grousset: Hitoire des croisades et Royaume France de Jerusalem (1934) vol. I p. 518 —519. Bosworth, op. cit, p. 115.

السياسي سائداً بين أفراد الأسرة السلجوقية. ففترة السلطان محمد تعدّ من الفترات التي أستعاد فيها السلاجقة قوتهم من جديد.

٢ـ أرتكزت قوة صدقة العسكرية بالدرجة الأولى على القبائل العربية التي كانت تقطن قرب الحلّة، وكذلك على بعض القبائل الكردية، وكما تقول البروفيسور لامبتون أن هؤلاء يعتبرون قوة غير مستقرة وأنهم في الواقع مدفوعون بدافع الحصول على مكاسب ومغانم مادية[١] أكثر من كونهم يحاربون في سبيل مبدأ معين. فهم مع القائد إن تحقق هدفهم الأول وإلا فإنهم يتركون الجيش ويهربون. وهذا ما حدث بالنسبة لجيش صدقة.

٣ـ كان صدقة يتوقع المساعدة العسكرية من جاولي سقاوو وإيلغازي ابن أرتق كما يقول ابن الأثير، غير أن توقعاته لم تتحقق. ومن المحتمل أن صدقة كان متوقعاً من الخليفة أن يقف الى جانبه من أجل إضعاف السيطرة السلجوقية، في حين كان موقف الخليفة لا يعدو أكثر من أرسال رُسُل الى صدقة يُثنيه عن عزمه ويحذره عاقبة أمره وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان. فالخليفة مع أنه يرى في صدقة منافساً قوياً وعقبة في سبيل تحقيق مشروعاته، إلا أنه لم يرغب في إزالته نهائياً عن المسرح السياسي لئلا يبقى وحيداً في المعركة مع السلاجقة. وهذا ينعكس بوضوح في التعهدات التي أخذها على عاتقه من أجل إصلاح الوضع السياسي بين صدقة والسلطان[٢].

---

1. Lambton: Contributions, pp. 40 _ 41 .

٢. أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٧؛ ابن الأثير: ج ١٠، ص١٦٥ ـ ١٦٩.

لقد ترك صدقة عدّة أبناء هم دبيس، وبدران، وأبو كامل منصور، وأبو المكارم محمد الملقب بعز الدولة[1].

أما المعلومات عن هؤلاء الأمراء فهي قليلة، فقد وردت بعض المعلومات عن منصور الملقب بأبي كامل. إذ أنه بعد مقتل والده هرب مع أخيه بدران الى قلعة جعبر وكان صاحبها سالم بن مالك فتحالفا على التوجه الى الحلّة وأخذها من أيدي الذين عينهم السلطان عليها[2]. ثم يبدو أنهما تراجعا عن فكرتهما في الهجوم على الحلّة، ولعلهما خافا سلطة بغداد، أو أن صاحب قلعة جعبر تنكّر لهما. فإننا نرى منصور قد ذهب الى باب السلطان سنة ٥٠٢هـ طالباً رضاه[3]، ويبدو أن السلطان رضى عنه إلا أن منصوراً لم يتقلد إمارة بني مزيد، ولهذا سكتت المصادر عن ذكره حتى سنة ٥١٣هـ/١١١٩م فقد أشترك منصور الى جانب السلطان محمود ضد السلطان سنجر[4]. وفي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م ظهر منصور عندما قدّمه أخوه دبيس رهينة الى السلطان محمود من أجل أن يوافق السلطان على إعطاء دبيس الأمان[5]. ويظهر من هذه الرواية أنه أستقر مع أخيه في الحلّة ولم يكن أميراً. وقد ظل منصور

---

١. لقد لقب زامباور محمداً في معجمه بأبي المحاسن (Manuel p. 137) إلا أن ابن الجوزي يلقبه بأبي المكارم أنظر: ج٩، ص١١٩.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٧٤، ١٧٥ ـ ١٧٦.

٣. ن.م. ج١٠، ص١٧٨.

٤. ن.م. ج١٠، ص٢٠٨.

٥. ن.م. ج١٠، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

رهينة حتى سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م عندما حدثت الحرب بين دبيس والبرسقي بسبب مدينة واسط، لذلك قبض عليه السلطان ونفاه مع ابن دبيس الى قلعة برحين في بلاد الكرج[١]. وفي نفس السنة شفع له السلطان عند الخليفة ليرضى عنه. والظاهر أن هذا حدث في الوقت الذي كان فيه منصور منفياً الى قلعة برحين، وظل مأسوراً حتى سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، ثم أن الخليفة رضى عنه[٢]. غير أن أخباره أنقطعت ومن المحتمل أنه عاد الى الحلّة وبقي الى جانب أخيه.

أما بدران فقد وردت عنه بعض الروايات زمن والده، فقد أرسله صدقة في سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م الى السلطان محمد لإخباره بأن ملكشاه سيطر على بغداد[٣]. وكذلك بعثه صدقة على رأس جيش في سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م لحماية حدود بلاده من هجمات خفاجة[٤]، وهذا يدل على أنه كان معولاً عليه في الأمور العسكرية في زمن والده. ففي حرب صدقة على السلطان كان بدران أيضاً على رأس جيش مع أبيه إلا أنه هرب مع منصور بعد قتل صدقة، ولكنه لم يرجع الى بغداد كما فعل أخوه منصور، بل ذهب الى الأمير مودود الذي أقطعه السلطان الموصل وقد أكرمه هذا الأمير[٥]. ويبدو أنه لم يرجع الى الحلّة أبداً فقد بعث لأخيه دبيس بعض الأبيات الشعرية التي يحن

---

١. ن.م، ج١٠، ص٢٢٨.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٢.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٤٤؛ ابن القلانسي: ذيل، ص١٤٧.

٤. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٧ وما بعدها.

٥. ابن الأثير: ج١٠، ص١٧٨.

فيها الى الوطن[١]. والظاهر أنه كان مرشحاً للإمارة إلا أن تسلم دبيس الإمارة جعله يبتعد عن الحلّة.

أما محمد بن صدقة الملقب بأبي المكارم فإنه توفي سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م وكان جواداً ذكياً[٢]. ولم ترد معلوماتٍ أخرى عن شخصيته، ثم أن وفاته زمن والده لا تجعل منه شخصية مشهورة.

أما دبيس بن صدقة (الذي أصبح الأمير الشرعي للإمارة كما سنرى) فكان مشهوراً أيضاً، فقد أشترك في فترة والده ببعض الحروب. ففي سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م أشترك مع السلطان بركيارق ضد السلطان محمد، غير أنه فارق بركيارق لنقص الميرة[٣]، كما أنه أشترك مع أبيه في حرب سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ولما قتل أبوه قبض عليه السلطان وأسره مع بعض الأشخاص المؤيدين لصدقة[٤].

فترة دبيس بن صدقة

لقد أورد كل من ابن الجوزي وابن الأثير روايتين تتعلقان بالظروف التي واجهها دبيس بعد مقتل والده صدقة، والروايتان تختلفان في المعنى والمحتوى.

---

١. ابن خلكان: ج٢، ص٣٢. عن ابن المستوفي.
٢. ابن الجوزي: ج٩، ص١١٩.
٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١١٣.
٤. ابن الجوزي: ج٩، ص١٥٦ ـ ١٥٧؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٩.

فابن الجوزي يذكر بأن دبيساً بعد الأسر أقسم للسلطان بالإخلاص والولاء فأطلق سراحه، وأن السلطان صادر زوجة صدقة على خمسمائة دينار وجواهر[١]. بينما يذكر ابن الأثير بأن السلطان أرسل أماناً الى زوجة صدقة التي كانت آنذاك في البطيحة وأمرها بالمجيء الى بغداد، وأطلق أبنها دبيس من الأسر وبعثه مع جماعة لأستقبالها، ولما جاءت الى بغداد أعتذر لها السلطان عن قتله صدقة، وأستحلف دبيساً ألا يسعى بفساد[٢] أو يقوم بأعمال عدائية ضد السلطان. والشيء الذي ينبغي الإشارة إليه هو أن كلاً من هاتين الروايتين يشير الى موضوع أطلاق دبيس من الأسر، إلا أنهما لا يشيران فيما إذا كان هذا يدل على الأعتراف بإمارته أو السماح له بالرجوع الى الحلّة. علماً بأن لفظتي "فحلف ـ دبيس ـ على خلوص النيّة" و "أستحلفه أن لا يسعى بفساد" يؤكدان على ذلك. والحقيقة أن دبيساً لم يرجع الى الحلّة وقد بقي أسيراً عند السلطان محمد من سنة ٥٠١هـ حتى وفاة السلطان في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م. فقد قال ابن الأثير في حوادث سنة ٥١٢هـ "أن الأمير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد مذ قتل والده فأحسن إليه وأقطعه إقطاعاً كثيراً"[٣]. ويؤكد البنداري قول ابن الأثير حينما وصف حالة دبيس مع السلطان فقال "وكان دبيس راضياً بما هو عليه وأنقضى طموحه في

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص١٥٧.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠١.

ملك أبيه"[١]. لهذا فالذي يبدو أن دبيساً كان الأمير الشرعي لبني مزيد منذ سنة ٥٠١هـ عندما أستدعى السلطان والدته، وأنه يمكن أعتبار الفترة من ٥٠١ـ٥١٢هـ فترة وجود أمير بلا إمارة فالسلطان محمد بقي محتفظاً بدبيس لأنه لم يكن واثقاً من إخلاصه وربما لأن الحلّة وأملاك المزيديين الأخرى أصبحت في أيدي موظفي السلطان.

إلا أنه في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م عندما توفي السلطان محمد وملك بعده السلطان محمود الذي خطب له الخليفة في بغداد أصبحت الفرصة مواتية أمام دبيس بأن يطالب السلطان الجديد بالسماح له بالعودة الى الحلّة. وبالفعل فإن السلطان محمود وافق على طلبه[٢]. والراجح أن دبيساً كان يعمل ويخطط لإعادة بناء إمارته طيلة فترة أسره، إذ أنه حينما عاد الى الحلّة أجتمع حوله كثير من العرب والأكراد، فأصبح مركزه قوياً، وأرتفع شأنه وعظمت مكانته[٣].

تعتبر فترة حكم دبيس من أطول الفترات في تاريخ المزيديين وهي تقسم من حيث أهميتها السياسية الى قسمين فالفترة الواقعة بين سنتي ٥٠١ـ٥١٢هـ هي فترة غامضة وخالية من أي تطورات سياسية، في حين

---

١. البنداري: دولة آل سلجوق، ص١١٠ ـ ١١١.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠١؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٥٠؛ ابن الوردي: ج٢، ص٢٤؛ مخطوط المسجد المسبوك، ج١، ورقة ٤٦ (ب).

٣. أنظر: ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠١؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٨٢.

تميزت الفترة الثانية الواقعة بين سنتي ٥١٢-٥٣٠هـ/١١١٨-١١٣٥م بكثرة التقلبات السياسية. فقد سبق وصف المؤرخين لها قبل حدوثها فلقد قال ابن الجوزي: "ثم نشأ دبيس هذا ففعل القبائح ولقي الناس منه فنون الأذى"[١]. وقال أيضاً في حوادث سنة ٥١١هـ/١١١٧م وفيها كان "موت المستظهر ثم جرى من الحروب والفتن للمسترشد مع دبيس ابن مزيد"[٢].

وتختلف فترة حكم دبيس عن الفترة التي سبقتها، وأعني بها فترة صدقة، بعدة أمور من الضروري إجمالها قبل التعرض الى طبيعة علاقة دبيس بالسلطة المركزية. فعلى الرغم مما قام به دبيس من فعاليات سياسية واسعة جداً من أجل إعادة مكانة الإمارة المزيدية التي أصابها كثير من الوهن على أثر مقتل صدقة، وقد أثبت في بعض هذه النشاطات شجاعة كبيرة، إلا أن شخصيته لم تكن تتسم بالرزانة السياسية التي كان يتمتع بها والده صدقة فلقد كانت أكثر حروبه وحركاته السياسية دون تخطيط سابق ثم أنها جاءت بصورةٍ عامة بنتائج سلبية كان أثرها بالغاً في تهديد وحدة الإمارة المزيدية، وقد سبب ذلك الى إضعاف الثورة المزيدية في منطقة الفرات الأوسط. فدبيس مثلاً لم يعد أميراً يحكم منطقة واسعة بل على العكس فإنه بسبب كثرة الأنتكاسات السياسية في حروبه فقد السيطرة حتى على الحلّة نفسها. ومن الجدير ذكره أن الحلّة في أغلب حكم دبيس أصبحت خاضعة للسلطان

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٧.
٢. ن.م. ج٩، ص١٩٣.

وتُحكم من قبل موظفين يعينهم السلطان بينما كان دبيس طريداً ومغضوباً عليه من قبل السلطة. يضاف الى ذلك ضعف سيطرته وسيطرة الأمراء الذين أعقبوه على القبائل العربية القاطنة في المنطقة التي كانت خاضعة لصدقة. فلم يعد دبيس يحمل لقب "ملك العرب" الذي كان يتلقب به صدقة، والمصادر لا تذكر شيئاً عن هذا فيما عدا إشارة واحدة وردت في كتاب ابن الأثير (التاريخ الباهر)[١]، ولعل ذلك كان في فترة محددة. وهناك بعض الحوادث تؤيد ما ذهبنا إليه، ففي سنة ٥١٢هـ/١١١٨م تأخر مسير الحُجّاج تأخراً أشيع بسببه أنقطاع الحج من العراق لذلك سيّر الخليفة الأمير نظر خادم أمير الجيوش لأنقاذ الحجّاج[٢] وفي سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م عندما نهبت خفاجة بعض المناطق أرسل السلطان مسعود سرية من الجيش لقتالهم[٣].

ومن المظاهر السياسية البارزة التي أمتازت بها فترة حكم دبيس التوسع في تكوين علاقات مع قوى خارجية. فدبيس نتيجة للفشل المتكرر في محاولاته بات من المحتم عليه أن يلجأ الى المشاركة مع قوى أخرى وتكوين كتل سياسية خاصة من أجل تحقيق أهدافه. وهذا الذي حدث بينه وبين إيلغازي، وبينه وبين الصليبيين، وبينه وبين عماد الدين زنكي كما سيأتي قريباً.

---

١. ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، ص٤٦.
٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠٧.
٣. ابن الأثير: ج١١، ص٣٤.

إن بحث التطورات السياسية التي شهدتها فترة حكم دبيس يمكن تناولها في جانبين يتعلق الجانب الأول منهما بعلاقة دبيس بالسلطان السلجوقي، بينما يتعلق الآخر بعلاقة دبيس بالخليفة العباسي في بغداد.

حكم السلطان محمد بصورةٍ فعلية دون أن ينازعه أي فرد من الأسرة السلجوقية حوالي ١٣ سنة أي منذ سنة ٤٩٨ــ٥١١هـ/١١٠٥ــ١١١٨م. ولكن بعد وفاته ظهرت من جديد التيارات المتخاصمة فيما بينها. فالسلطان محمد خلال فترة مرضه عيّن أبنه محموداً الذي كان صغيراً خلفاً له. وأول إنشقاق واجهه السلطان محمود هو ثورة عمه سنجر الذي كان ملكاً على خراسان لمدة تقارب عشرين سنة. فالملك سنجر أعتقد بأن ابن أخيه طفل وأن المسيطر الفعلي على الأمور هو وزيره وحاجبه علي بن عمر، وقد دفعه ذلك الى أن يقود حملة عسكرية أستطاع في نتيجتها أن يسيطر على السلطنة في سنة ٥١٣هـ/١١١٩م، بينما أصبح السلطان محمود تابعاً له. ومنذ ذلك الحين فإن السلطان سنجر أخذ يتمتع بسلطاتٍ واسعة جداً، وأصبح الحاكم الحقيقي للإمبراطورية السلجوقية. لم يكن هذا الإنشقاق ضد سلطة محمود هو الأول والأخير في فترة حكمه، بل إنه واجه مشاكل أخرى مع أخويه مسعود وطغرل وقد صاحبها كثير من الحروب والفتن.

لم يلعب دبيس أو المزيديون بصورةٍ عامة أي دور مهم خلال الفترة الواقعة من ٥٠١هـ وحتى ٥١٢هـ وهي الفترة التي كان يحكم فيها السلطان محمد، كما قدمنا، بينما نجده بعد ذلك يلعب دوراً بارزاً في الحياة السياسية في

العراق آنذاك. وقد أتبع دبيس سياسة هدف منها الوصول الى مراميه الخاصة وسيطرته على المناطق وحصوله على الأملاك، وكانت تلك السياسة تقوم على بث الخلافات بين جميع الأطراف المتخاصمة، وتوسيع شقة النزاع بينهم. وقد صرّح كل من ابن الجوزي وابن الأثير بذلك، فقال الأول: "وكان سيف الدولة يعجبه أختلاف السلاطين ويعتقد أنه ما دام الخلاف قائماً بينهم فأمره منتظم"[1]. وذكر ابن الأثير خلال حديثه عن دور دبيس في الصراع بين الملك مسعود والسلطان محمود أن "غرضه أن يختلفوا فينال من الجاه والعلو المنزلة ما ناله أبوه بأختلاف السلاطين"[2] والحقيقة أن دبيساً لم يبتكر مثل هذه السياسة فقد طبقها عدد من أسلافه قبله إلا أنه أتخذها طريقاً خاصاً ورئيساً في حياته السياسية.

والظاهر أن علاقة دبيس مع السلطان محمود كانت في بدايتها حسنة، فمما قاله سبط ابن الجوزي أن أبا القاسم الأنساباذي وزير السلطان محمود أشار على السلطان بمنح دبيس ولاية واسط والبصرة بالإضافة الى الحلّة[3]. غير أننا لا نعرف هل أن السلطان وافق على ذلك أم لا، ومن الجدير ذكره أنه سوف نرى في الحوادث المقبلة أن دبيساً كانت له السيطرة على واسط، وعلى

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢١٨.

٢. ابن الأثير: الباهر، ص٢٢ ـ ٢٣؛ الكامل، ج١٠، ص١١٣؛ ابن القلانسي: ص٢٠٢؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٩٠ ـ ٩١.

٣. سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٧٢.

الرغم من عدم تأييد المصادر الأخرى المتوافرة لرواية سبط ابن الجوزي هذه، لكن نرى صحتها لأسباب أهمها:

١ـ أن البصرة وواسط كانتا ضمن أملاك صدقة، وأن إعادتهما الى دبيس يتمشى مع السياسة السلجوقية العامة في محاولتها أبقاء مثل هذه المناطق تحت سيطرة الإمارات العربية الموجودة.

٢ـ أن موافقة السلطان محمود على طلب دبيس بالرجوع الى الحلّة وإعادة تكوين الإمارة المزيدية، ثم فكرة منحه ولاية البصرة وواسط قد تكون ضمن المخطط الذي يهدف إليه وزير السلطان والسلطان نفسه وذلك إرضاءً لدبيس ومحاولة لكسب تأييده ضد الكتل السياسية الأخرى، ككتلة الخليفة على سبيل المثال.

وعلى أية حال فإن هذه العلاقة الحسنة لم تستمر طويلاً، إذ أن دبيساً إنحاز الى جانب الملك سنجر في نزاعه سنة ٥١٣هـ/١١١٩م ضد ابن أخيه السلطان محمود. والواقع أن دبيساً قام بعملين كانا في صالح السلطان سنجر أولهما بعد أن أتضح أنتصار سنجر على السلطان محمود أرسل الى الخليفة المسترشد بالله طالباً منه أن يغير الخطبة الى السلطان سنجر بدلاً من محمود. وعلى حدٍّ قول ابن الأثير فإن الخليفة أمتثل لذلك فقطع الخطبة لمحمود في بغداد[١]. أما العمل الثاني فإن شحنة بغداد، منكوبرس، كان مشتركاً مع السلطان محمود في حرب ٥١٣هـ المذكورة إلا أنه بعد الهزيمة هرب وعاد الى

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠٩.

بغداد ناهباً عدّة مناطق في طريق خراسان، لذلك سيّر إليه دبيس بن صدقة جيشاً لصده والحدّ من أعتداءاته[١].. وأرى أن خلاف سنجر ومحمود في حقيقته لا علاقة مباشرة له بوضعية دبيس السياسية، وأنه كان الحري بدبيس أن يلتزم جانب السلطان محمود بأعتباره الحاكم على العراق في حين كان سنجر حاكماً على خراسان. لكن الواضح أن دبيساً أراد أن يحبب نفسه للسلطان سنجر الذي كان يتمتع بنفوذ وقوة والذي كان يبعد عن منطقة نفوذ دبيس كثيراً. كما أنه في الوقت ذاته أراد أن يُظهر مكانته ونفوذه بالنسبة لخليفة بغداد. ولم تذكر المصادر شيئاً عن النتائج التي حصل عليها دبيس من وراء تأييده السابق لسنجر، كما أنها لم تذكر شيئاً عن طبيعة علاقته بالسلطان محمود. ولكننا نرى في سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م دبيساً يلعب دوراً مهماً في الصراع الذي نشب بين السلطان محمود والملك مسعود، ولقد أختلف كل من ابن الجوزي وابن الأثير في تبيان دور دبيس في ذلك النزاع، أما ابن الجوزي فإنه ذكر أن دبيساً لما علم بعصيان مسعود والحروب التي جرت بينه وبين السلطان محمود "أخذ في أذية بغداد وحبس مال السلطان وورد أهل نهر عيسى ونهر الملك مجفلين الى بغداد بأهاليهم ومواشيهم فزعاً من سيف الدولة لأنه بدأ بالنهب في أطرافهم وعبر عنان صاحب جيشه فبدأ بالمدائن وقصد بعقوبا وحاصرها ثم أخذها عنوة وسبيت وأفترشت النساء" ثم يستمر ابن الجوزي فيقول بعد أن وصله خبر أندحار مسعود خاف من السلطان

---

١. ن.م. ج١٠، ص٢١٠.

محمود فأمر بحرق الأتبان والغلات. وقد بعث إليه الخليفة نقيب الطالبيين محذراً ومنذراً إلا أنه لم يعبأ بذلك. ثم أن السلطان محموداً بعث إليه يخبره برضاه عنه طالباً منه الكف عن أعمال النهب فلم يكترث دبيس أيضاً بل سار نحو بغداد وضرب سرادقه بإزاء دار الخلافة ثم هدد الخليفة قائلاً: "أنكم أستدعيتم السلطان فإن أنتم صرفتموه وإلا فعلت وفعلت" وقد أجاب الخليفة على ذلك بأنه لا يمكن ردّ السلطان إلا أنه سوف يسعى لإصلاح أمره معه ولذلك أنصرف دبيس[1].

غير أنه من رواية ابن الأثير يظهر أن دبيساً كان السبب الرئيسي في ذلك الصراع فقد كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود ويشجعه على الإنشقاق والمطالبة بالسلطنة للملك مسعود وقد وعده بأنه سوف يقوم بمساعدته. ثم يقول ابن الأثير بأن دبيساً طلب من جيوش بك أن يقبض على البرسقي الذي كان حاكماً على مراغه وكانت بينه وبين دبيس عداوة محكمة، فلما علم البرسقي بذلك فارق مسعوداً وأنضم الى محمود. ويتفق ابن الأثير مع ابن الجوزي بقولهما أن دبيساً عندما سمع بخبر هزيمة مسعود قام بنهب البلاد وخربها، وأرسل إليه السلطان رسولاً ليطيب قلبه فلم يلتفت. ثم ذكر أيضاً قصة مراسلة الخليفة المسترشد بالله مع دبيس، ومسيرة دبيس نحو بغداد وضربه سرادقه بإزاء دار الخلافة. غير أنه يضيف أموراً أخرى لم يذكرها ابن الجوزي كقوله: "وأظهر ـ دبيس ـ الضغائن التي في نفسه وكيف طيّف برأس

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢١٧ ـ ٢١٨.

أبيه"[١]. وابن الأثير يتفق على أن دبيساً كفّ عن أعماله ورجع الى بلده عندما أخبره الخليفة بأنه سوف يصلح حاله مع السلطان. لذلك فابن الجوزي لا يبين العلاقة بين الصراع الذي نشب بين مسعود ومحمود من جهة وبين دبيس من جهةٍ أخرى كما أنه لم يوضح أن أعمال دبيس في النهب وتهديد بغداد ما هي إلا فقرة ضمن الخطة التي كان يهدف من ورائها الى قطع خط الرجعة على السلطان محمود، ثم السيطرة على بعض المناطق وأخضاعها لنفوذه... وقد أرتكب دبيس خطأً كبيراً في إصراره على النهب ومضايقة السلطان محمود وكان الأجدر به أن يتخذ من مراسلة السلطان محمود له والرضى عنه فرصةً لكسب بعض المكاسب، أو أنه يقوم بعمل عسكري سريع وفعلي للسيطرة على بغداد وعرقلة تقدم السلطان محمود. وتبدو عدم الرزانة السياسية في تصرفات دبيس أنه لما عاد السلطان محمود الى بغداد أرسل دبيس زوجته ومعها عشرون ألف ديناراً و (١٣) ثلاثة عشر رأساً من الخيل (حسب قول ابن الجوزي) الى السلطان لطلب رضاه. ويُقال بأن السلطان طلب أموالاً أكثر من ذلك، فلما لم يرسل دبيس شيئاً قرر السلطان المسير الى بلاده وأحتلال الحلّة. وقال ابن الأثير بأن السلطان أستصحب معه ألف سفينة ليعبر عليها، فلما علم دبيس بذلك حاول أن يطلب الأمان لكنه فشل، ولذلك ترك الحلّة لتقع بيد السلطان وتوجه الى إيلغازي ملتجئاً. ومن هناك سيّر أخاه منصوراً في جيشٍ لإسترجاع الحلّة،

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢١٣ ـ ٢١٤.

ويقول ابن الأثير أن منصوراً توجه الى الحلّة والكوفة ثم أنحدر الى البصرة ومن هناك تراسل مع يرنقش الزكوي بإصلاح حال دبيس مع السلطان فلم يتم له ذلك. فأرسل الى أخيه دبيس يعرّفه بالأمر. وتبقى مسألة دبيس وعلاقته بالسلطان غير حسنة الى سنة ٥١٥هـ/١١٢١م حينما قرر التوجه بنفسه وأحتلال الحلّة، وبعد أستيلائه على الحلّة حاول أيضاً طلب الصلح من السلطان إلا أنه فشل، وقد سيّر إليه السلطان جيشاً لمحاربته. فلم يستطع دبيس المقاومة ولهذا فارق الحلّة. وبعد مراسلات عديدة أتفق دبيس على أن يرسل أخاه منصوراً الى السلطان رهينة وأن يلتزم بطاعة وولاء السلطان، وبالمقابل تظل الحلّة بيده[1]. ومما ينبغي ذكره في هذا المجال أن دبيساً قام ببعض الفعاليات السياسية خلال فترة إقامته مع إيلغازي التي دامت حوالي السنتين. فقد أشترك مع إيلغازي في قتال الخزر الذين هجموا على البلاد الإسلامية في سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م[2] ثم أنه خطط مع إيلغازي مشروعاً يقضي بتقديم مبلغاً قدره ١٠٠ مائة ألف ديناراً من أجل جمع الجيوش وفتح أنطاكية وحلب، على أن يمنح الأولى الى إيلغازي بينما تبقى الثانية له[3].

---

١. أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص٢١٨؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢١٣ ـ ٢١٤؛ ومن المناسب ذكره أن السلاجقة أتبعوا سياسة أخذ الرهائن من أجل السيطرة على الأمراء المحليين وكان هؤلاء الرهائن يقيمون ببلاط السلطان كضمان على عدم قيام أقاربهم بتمردات ضد السلطة.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢١٥؛ ابن القلانسي: ص٢٠٥؛ ابن العديم: زبدة، ج٢، ص١٩٩ ـ ٢٠٠؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٣١.

٣. ابن العديم: ج٢، ص٢٠٠.

وسوف نرى ـ فيما بعد ـ أثر هذا المشروع في توجيه سياسة دبيس الخارجية في مساعدة الصليبيين على السيطرة على حلب.

كانت النكسة التي تعرض لها دبيس في سنة ٥١٤هـ ما هي إلا بداية في سلسلة من الأنتكاسات المتكررة في الحروب التي جرت بينه وبين الخليفة، كما سنشير إليها في الصفحات التالية، وكذلك بينه وبين السلطان. ففي سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م أصطدم دبيس بالخليفة المسترشد وكانت نتيجة هذا الإصطدام فشله وهربه الى الشام إذ التجأ الى الملك طغرل أخ السلطان محمود. وقد طبق دبيس سياسته الرامية الى إثارة الشقاق بين السلاطين السلاجقة، فحسّن الى طغرل غزو العراق والأستيلاء على السلطنة بدلاً من محمود. كان طغرل في الحقيقة متهيئاً لمثل هذا المشروع ولكنه ينتظر الفرصة المناسبة، ولذلك فإنه عند مجيء دبيس إليه أستقبله أستقبالاً حافلاً وجعله من أعيان خواصه وأمرائه. وبالفعل فقد تجهز الطرفان في سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م وسارا الى العراق محاولين السيطرة على بغداد. وقد لعب الخليفة دوراً كبيراً في عرقلة تقدم طغرل ودبيس، كما أن الظروف كانت في غير مصلحتهما ففشل المشروع وهرب الملك طغرل ودبيس إذ توجها الى السلطان سنجر ملتجئين إليه. ولم يكتف دبيس بهذه الهزيمة وإنما مثّل نفس الدور السابق مع السلطان سنجر فقد أطمعه بالسيطرة على العراق، كما أنه أدعى بأن هناك تكتلاً بين السلطان محمود والخليفة المسترشد يقضي بالخروج على سلطة السلطان سنجر. وإعتماداً على رواية ابن الجوزي فإن

السلطان سنجر رفض هذه المزاعم وأعتقل دبيساً في قلعة وذلك تقرباً للخليفة. بينما يشير ابن الأثير الى أن السلطان سنجر تشكك في أمر السلطان محمود ولذلك فإنه أمتثل للمزاعم التي أوردها دبيس وأمر بتجريد حملة عسكرية في سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م هدفها السيطرة على العراق والقضاء على ذلك التكتل[١]. ولسوء حظ دبيس فإن السلطان سنجر عند وصوله الى الري أستدعى السلطان محموداً الذي كان مقيماً في همذان كي يرى صحة أدعاء دبيس. ولما كان الأدعاء باطلاً فإن مشروع دبيس قد باء بالفشل. والأنكى من ذلك فإن السلطان سنجر سلّم دبيساً الى السلطان محمود موصياً بإكرامه وإعادته الى بلده، كما أوصاه أن يسلم إليه الموصل والشام ويعزل عماد الدين زنكي، وأن يسأل الخليفة بالرضى عنه[٢]. وكان السلطان سنجر يهدف من هذه الوصايا الى عدّة أمور منها أنها تتفق والسياسة السلجوقية في تعاملهم مع الإمارات الموجودة، كما الأهم من ذلك أنه أراد أن يضع دبيساً رقيباً على التطورات التي تحدث في العراق وبصورةٍ خاصة فيما يتعلق بأحتمال أنتعاش سلطة الخليفة، وتقاربه مع السلطان محمود. ومع أن السلطان محمود حاول تنفيذ طلبات عمه، فتقدم الى الخليفة مطالباً إياه

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٥٢ ـ ٢٥٣؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ سبط ابن الجوزي: ج٨ ص١١٢.

٢. أنظر: ابن الجوزي: ج١٠، ص٩ ـ ٨؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٤٨؛ أبا الفداء: ج٤، ص١٦١؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٥٠؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٩٨.

بالرضى عن دبيس غير أن الخليفة أمتنع عن الأستجابة الى ذلك، حسب قول ابن الأثير، الى أن قدم دبيس مبلغاً قدره ١٠٠ مائة ألف دينار، وفيما يخص تقليده الموصل فإن الأخبار وصلت الى زنكي، الذي قام بعرض أموالٍ أكثر مما عرضه دبيس. كما أنه حضر بنفسه الى بغداد حاملاً الهدايا الجليلة الأمر الذي جعل السلطان يعيده الى ولايته[1]. وعلى الرغم من قيام السلطان محمود بذلك، إلا أن الذي يبدو أنه لم يكن متحمساً الى أنجاز ما طلبه عمّه، فدبيس لم يحصل على رضى الخليفة أولاً، ثم أنه لم يُقطع ولاية الموصل والشام ثانياً، كما أنه لم يُسمح له بالرجوع الى بلده. ومن المناسب ذكره أن الحلّة كانت آنذاك في يد بهروز شحنة بغداد[2]. والظاهر أن دبيساً بقي أسيراً في يد السلطان محمود حتى سنة ٥٢٣هـ وفي هذه السنة وقعت حادثتان غيّرت من وضعية دبيس لحدٍّ ما، أولهما موت زوجة السلطان محمود التي كانت تعنى بأمر دبيس وتدافع عنه فبموتها يقول ابن الأثير: "أنحل أمر دبيس". أما الثاني فهو مرض السلطان محمود، وقد أستغل دبيس هذا الظرف فهرب من الأسر وجمع أتباعه وقصد الحلّة، فهرب منها بهروز ودخلها دبيس وعاث في البلاد[3]. ولكن حملته كانت فاشلة في نهايتها إذ سيّر الخليفة جيشاً

---

١. ابن الأثير: ج ١٠، ص٢٤٩؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ج ١، ص٤٣ ـ ٤٤؛ الذهبي: العبر، ج ٤، ص٥٢.

٢. ابن الأثير: ج ١٠، ص٢٤٩.

٣. ن.م.

لمحاربته، كما أنه لم يحقق شيئاً مهماً. لقد جلب عمله هذا بنتيجةٍ سلبية وهي زيادة حقد السلطان عليه وأمتناعه عن مصالحته.

من كل هذه الأمثلة التي سبق ذكرها نستنتج أن سياسة دبيس الرامية الى توسيع الخلافات بين السلاطين السلاجقة هي سياسة ناجحة الى حدٍّ كبير ولكن كان ينقصها شئ من التخطيط والرزانة السياسية. فالطريقة نفسها قد طبقت بنجاح من قبل عدد من خلفاء هذه الفترة ونجاحها يعود الى شخصية الخليفة بالدرجة الأولى.

إن الأستنتاج المهم الذي يمكن التوصل إليه من خلال دراسة علاقة دبيس بالسلطان السلجوقي هو أن السلطان في حقيقة الأمر لم يعدّ يشكّل مركز الثقل في التطورات السياسية للعراق في هذه الفترة بل أصبح الخليفة العباسي هو مركز الثقل. لقد ذكرنا في موضوع صدقة بن مزيد أن وضعية الخليفة أخذت تتحسن عمّا كانت عليه في الفترات السابقة، ولكن وجود صدقة في المنطقة عرقل مشروع الخليفة في تكوين كتلة سياسية مستقلة. لذلك فبعد مقتل صدقة أصبح الظرف ملائماً جداً أمام الخليفة في أن يسترجع سلطته الزمنية بصورةٍ أوسع. ومن حسن حظ الخلافة العباسية أنها في هذا الدور أنجبت عدداً من الخلفاء الذين تحلّوا بالشجاعة والإصرار على تثبيت مراكزهم وأستعادة نفوذهم السياسي من أمثال المسترشد، والراشد، والمتقي. إن موضوع علاقة السلطان بالخليفة العباسي من المواضيع الطريفة والمهمة جداً وتحتاج الى تفصيلات عديدة غير أننا نرى بأنها خارجة عن

مجال موضوعنا الأصلي، إلا أنه مع ذلك لا مندوحة من تقديم نتف قليلة عنها تفيدنا في تفهم مكانة الخليفة في كفاحه من أجل إعادة هيبة الخلافة. أعتلى الخليفة المسترشد بالله عرش الخلافة في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م وبقي حتى مقتله في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م، والجدير بالأنتباه هنا أنه في هذه الفترة بالذات أي بعد وفاة السلطان محمد ظهرت عدة قوى سلجوقية تتنازع السلطنة، وحتى بعد هيمنة السلطان سنجر على الأمور فإن النزاعات كما أسلفنا لم تنته. ومن هذه الثغرة أستطاع المسترشد أن ينفذ ويبني كياناً سياسياً قوياً. ومع أن الخليفة أمتثل لأمر السلطان محمود في سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م بأن جعل أخا عثمان بن نظام الملك (وزير السلطان) وزيراً له، فإنه في سنة ٥١٧هـ/١١٢٤م عزله وأعاد وزيره السابق[1]. وفي سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م عندما صمّم السلطان محمود على السير الى بغداد لمحاولة الحدّ من سلطة الخليفة المتزايدة فإن الخليفة حاول أن يؤخر مجيئه متعللاً بعدة أسباب. وحينما رفض السلطان ذلك نرى الخليفة يعدّ جيشاً لملاقاته، وأجتمع له حسبما ذكر ابن الأثير حوالي ٣٠ ثلاثين ألف مقاتل. كما أنه عندما توفي السلطان محمود في سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م طالب كل من الملك مسعود بن محمد والملك داود بن محمود الخليفة بأن يذكر أسمهما في الخطبة، إلا أنه أمتنع وقال أن الحكم في الخطبة يعود الى السلطان سنجر[2]. والحقيقة أن الخليفة كان

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٤، ٢٤٥؛ Bosworth: The Iranian world, p. 122.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٣٨٥.

يهدف من ذلك إرباك أوضاعهم السياسية وزيادة الشقاق بينهم ثم إرضاء السلطان سنجر الذي كان يقطن في خراسان بعيداً عن مركز الخلافة. وفي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م بلغ العداء حدّه الأقصى بين الخليفة والسلطان مسعود، فقطع الخليفة خطبة السلطان مسعود في بغداد. وبالإضافة الى ذلك فإنه جمع الجيوش وسار بها لمحاربته[1]. وحينما قتل المسترشد في تلك السنة بويع لأبنه الراشد بالله، وأشترط عليه السلطان أن لا يتخذ أي عمل معاد لسلطة السلطان. ومع أن الراشد وافق على ذلك إلا أنه خالف هذه الشروط وأخذ يتدخل في النزاع العائلي بين السلاجقة، ثم أنه أخيراً في سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م كوّن حلفاً سياسياً مع بعض الأمراء وقاد الجيوش لمحاربة السلطان مسعود[2]. أما الخليفة المقتفي بالله فإنه أصبح المسؤول الفعلي في العراق وأعاد الى الخلافة الكثير من هيبتها. هذه أمثلة يسيرة توضح تطور قوة الخلفاء، وأستمرار معارضتهم لسيطرة السلاجقة.

إن أنشغال السلطان السلجوقي في الحروب مع أفراد عائلته من جهة ثم أبتعاده عن بغداد لفترةٍ طويلة من السنة من جهةٍ أخرى مهّدت السبيل الى جعل كتلة الخليفة وكتلة دبيس هما القوتان السياسيتان المتنافستان الرئيستان في العراق. ومع أن دبيساً حاول في عددٍ من المرات أن يثور على الخليفة ويقف بصمود لمحاربته إلا أن منزلة الخليفة الدينية والإجتماعية كان لها أثر

---

١. ابن الجوزي: ج١٠، ص٤٣؛ ابن الأثير: ج١١، ص١٠.

٢. ابن الأثير: ج١١، ص١٥.

كبير في تثبيط عزيمته وإذلاله في نهاية كل ثورة. فقد كان دبيس في جميع هذه المحاولات يسأل في النهاية الأمان والعفو من الخليفة، ويلتمس رضاه إلا أن جواب الخليفة في جميعها كان الرفض. والأمر الطريف الآخر الذي ينبغي ملاحظته في هذه المرحلة هو أن فترة ظهور دبيس سياسياً أي بعد أطلاق سراحه وعودته الى بلاده وجمعه الجيوش جاءت مطابقة لفترة أعتلاء الخليفة المسترشد العرش. فالطرفان كانا متحمسين لإستعادة نفوذهما ومصالحهما في المنطقة، وكان كل منهما يرى أو يشك في أن الجانب الآخر سوف يمثل حجرة عثرة في سبيل تحقيق أهدافه.

وأول أشارة الى تضارب مصلحة كل من الخليفة الجديد المسترشد بالله والأمير الجديد دبيس بن صدقة وقعت في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م عندما بويع المسترشد بالخلافة إذ هرب أخوه المستظهر، وذهب الى الأمير دبيس بن صدقة في الحلّة، وبقي عنده ما يقارب السنة حيث أكرمه كثيراً وأنزله في دار خاصة تسمى دار الذهب، وكان يدخل عليه في كل يوم ويقبل الأرض بين يديه. ولما علم الخليفة المسترشد بذلك بعث نقيب النقباء أبا القاسم علي بن طراد ليتأكد من بيعة دبيس أولاً ثم ليسترجع أخاه ثانياً. فأما دبيس فقد أعطى البيعة، غير أنه لم يرض بإكراه المستظهر على مغادرة الحلّة[1]. ومن هذه

١. أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص١٩٨؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣؛ ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٣٠٢؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٨٢؛ مخطوط المسجد المسبوك، مجلد ١، ورقة ٤٧ (أ ـ ب).

الرواية نستطيع القول بعدم مبايعة دبيس لحدّ هذا الوقت الخليفة المسترشد. كما أن هناك شيئاً آخراً وهو مقدار الأحترام والكرم الذي أظهره دبيس للمستظهر قد يستدل منه أن في نيّة دبيس جعل المستظهر وسيلة لتهديد مصالح خليفة بغداد. ومن الممكن كذلك أن يكون دبيس قد أتفق مع المستظهر على مساعدته في تسلم الخلافة والدليل على هذا أن المسترشد بالله طلب من رسوله أن يأخذ البيعة من دبيس أولاً. وعندما وجد المستظهر أن أخاه أخذ يلحّ في طلبه هرب من الحلّة مما جعل الموقف يتأزم بين دبيس والخليفة، فبعث المسترشد إليه ابن الأنباري كاتب الخليفة وقال له: "أن أمير المؤمنين معول عليك في مبادرته"[1] فكان جواب دبيس: "بالسمع والطاعة وأنفذ صاحب جيشه عنان في جمع كثير"[2] والسبب في نقض الأتفاق هو المستظهر لأنه هرب من الحلّة في الوقت الذي قطع دبيساً عهداً على عدم تسليمه، وبهروبه أصبح دبيس أمام الأمر الواقع فإنه إذا لم يقبض عليه ويسلمه للخليفة، يكون قد جلب عليه المتاعب مع الخليفة لاسيما وأنه شعر أن الأمل في جعل المستظهر خليفة ضعيف جداً. ولذلك فضّل دبيس طاعة الخليفة الرسمي، وفعلاً فقد قبض على المستظهر وسلمه الى الخليفة[3] والى جانب هذه الحادثة التي كانت نهايتها في صالح الطرفين المتنازعين فهناك

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٠٥.

٢. ن.م.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٠٥.

حادثة أخرى بسيطة في ظاهرها إلا أنها حساسة وقعت في السنة ذاتها إذ أضاف الخليفة دار صدقة بن مزيد في بغداد الى جامع القصر نتيجة لحاجته الأموال. فأتخذ دبيس هذه الخطوة على أنها محاولة لضرب كرامته، فقام بأخذ مشورة الفقهاء في الحلّة وأفتاهم، فكان جوابهم أنه ليس للخليفة الحق بأخذ الدار ويجب ردّها الى دبيس، لهذا طلب دبيس من الخليفة حقوقه في الدار. ويترك ابن الجوزي المسألة دون حلّ، إلا أنه يأتي برواية في نفس الصفحة ليست لها علاقة بالرواية السابقة يقول فيها أن الخليفة خلع على دبيس خلعاً مختلفة كان يوم بعثها مشهوداً[1]، فهل يا ترى أن هذه الهدايا هي تعويض عن الدار التي طالب بها دبيس، أما ابن الأثير فإنه يقول بصراحة أن الخليفة صالح دبيس على مال قدمه للأخير[2].

لا تحدثنا المصادر عن تطور العلاقة بين دبيس والخليفة بعد تلك الحوادث التي سبق ذكرها. والراجح أن الخليفة طيلة هذه الفترة كان يترقب الأحداث السياسية، كما أنه كان يحاول إيجاد قوة عسكرية يستطيع الإعتماد عليها. فتراه مثلاً يقرب أقسنقر البرسقي الذي كان شحنة بغداد الذي كانت علاقته جيدة مع أهل بغداد كما صرّح ابن الأثير[3] بذلك. والبرسقي شخصية ملائمة لمثل هذه المهمة فقد كانت بينه وبين دبيس خاصة والمزيديين عامة يصفها

---

١. ن.م. ج٩، ص١٩٨ ـ ١٩٩؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٧٢.
٢. ابن الأثير: ج ١٠، ص٢٠٥.
٣. ن.م.

ابن الأثير بأنها عداوة محكمة[١]. والظاهر أن سوء العلاقة بين الطرفين يعود الى فترة صدقة، حينما أراد البرسقي الأستيلاء على قلعة تكريت ولكن صاحبها سلمها الى الأمير صدقة ولهذا رجع البرسقي الى بغداد دون أن يحصل على شئ[٢]. هذا بالإضافة الى أن تضارب مصالحهما السياسية في العراق ساعد على زيادة شقة الخلاف بينهما. وأن أول صِدام عسكري بين دبيس والبرسقي وقع في سنة ٥١٢هـ ولم يذكر بن الأثير سبب هذا وأكتفى بقوله أن البرسقي تجهز في هذه السنة "وأظهر أنه على قصد الحلّة وإجلاء دبيس ابن صدقة عنها"[٣]. ثم تطورت المعركة فشملت عناصر أخرى جديدة أمثال الملك مسعود ومنكبرس حيث ألتزم الأول جانب البرسقي بينما وقف الثاني الى جانب دبيس. ولقد أنتهت هذه المعركة بالصلح بين الطرفين. إلا أن الخليفة خسر حليفاً مهماً وهو البرسقي الذي تشتت عنه جماعته ولذا أضطر الى أن يترك بغداد ويلتحق بالملك مسعود بينما سلمت شحنكية بغداد الى منكبرس وهو من أكابر الأمراء الذين كانوا مع السلطان محمود[٤]. وكان منكبرس هذا على علاقة حسنة مع دبيس وهو الذي وقف الى جانبه في نزاعه مع البرسقي السابق ذكره. إن محاولة البرسقي قد تكون عملاً مباشراً من أعمال الخليفة للتخلص من دبيس والقضاء على نفوذه في المنطقة.

---

١. ن.م. ج١٠، ص٢١٣.
٢. ن.م. ج١٠، ص١٥٧.
٣. ن.م. ج١٠، ص٢٠٣.
٤. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٠٣ ـ ٢٠٥.

والشئ الذي يجب ملاحظته هنا هو أن الخليفة منذ الحادثة السابقة وحتى مقتله أخذ يقف موقفاً سلبياً من دبيس وأعماله. ففي سنة ٥١٤هـ حينما فشلت محاولة دبيس وأضطراره الى الهرب والإلتجاء بإيلغازي، كما سبق ذكره، طلب الخليفة من إيلغازي أن يبعده وأن يفسخ العقد الذي كان بينه وبين دبيس[1]. وفي سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م أستطاع الخليفة بذكاءٍ أن يسترجع حليفه البرسقي الى بغداد، فابن الجوزي وابن الأثير يقولان بأن السلطان محمود وافق على عودة دبيس من إيلغازي الى الحلّة، إلا أن الخليفة رفض ذلك وطالب السلطان بإبعاد دبيس عن العراق. وكما مرّ بنا سابقاً فإن السلطان حاول الإستفادة من بقاء دبيس كرصيد لأعمال وتوسعات الخليفة، لهذا لم يعر السلطان أي أنتباه الى طلب الخليفة. وحدث في السنة المذكورة أن السلطان أراد الخروج من بغداد الى همذان، لذلك وجد الخليفة أنه سيبقى وحيداً ووجهاً لوجه أمام دبيس فحاول في بداية الأمر عرقلة مغادرة السلطان متعللاً بأن لدبيس أحقاداً وأنه لا يأمن جانبه وطالب منه البقاء. ولكن السلطان رفض طلبه وذلك لأن بقاء الجيش مدة أطول في بغداد يحتاج الى أموال كثيرة. وهنا طلب الخليفة من السلطان أن يستدعي البرسقي ويمنحه شحنكية بغداد، ففعل السلطان. وبخروج السلطان من بغداد أراد الخليفة المبادرة لضرب دبيس، ففوض البرسقي مرة ثانية مهمة محاربة دبيس. والظاهر أن دبيساً كان على علم بالخطة، فلم يؤخذ على حين غرة

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٢٧.

وكان متهيئاً، فوقعت الحرب بينهما وأنتصر فيها دبيس. إلا أنه على الرغم من أنتصاره فهو لم يحاول القبض على البرسقي أو القيام بأعمال تخريبية في المنطقة، فمما يقوله ابن الجوزي: "وأما دبيس فإنه لم يعرض لنهر الملك ولا غيره"[١]. يُضاف الى ذلك أن دبيساً أرسل الى الخليفة رسولاً مظهراً طاعته وطالباً منه أن يُرسل ناظر الخراج الى القرى الخاصة بالخليفة في منطقة الفرات الأوسط لجمع دخلها، وبذلك أستقرت الأحوال بينهما. وبينما لم يذكر ابن الأثير أية شروط أفترضها دبيس على الخليفة بعد أنتصاره في تلك المعركة، فإن ابن الجوزي يسرد عدداً من تلك الشروط منها: إخراج البرسقي عن بغداد، وتبديل الوزير الذي كان عدواً لدبيس، والتوسط عند السلطان في سبيل أطلاق سراح منصور أخي دبيس من الأسر[٢] (فقد كان رهينة عند السلطان محمود). ومع أن الخليفة وافق على تلك الطلبات إلا أنه حسبما يبدو لم يلبها، كما أن دبيساً علم بأن السلطان محمود ضيّق على منصور وعذبه ثم نفاه الى قلعة برحين حينما سمع بالواقعة السابقة. كل هذه الأمور كانت أسباباً غير مباشرة لإعلان دبيس الثورة على الخليفة في سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م، وقد ذكر ابن الأثير قسماً من هذه الأسباب. إلا أن السبب المباشر هو كما نقله كل من المؤرخين السابقين هو أن دبيساً أرسل بعض

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٣.

٢. عن هذه المعركة أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٢ ـــ ٢٣٣؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٢٨؛ ابن القلانسي: ص٢٠٦؛ ابن واصل: مفرج، ج١، ص٣٠؛ أبا شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ص٢٩.

أصحابه لجمع الدخل من أملاكه في واسط، وقد منع الأتراك في واسط أصحاب دبيس من دخول المدينة لذلك جهّز دبيس حملة عسكرية وطلب من صاحب البطيحة بأن يتوجه لمساعدته. ولما لم يكن بمقدور أهل واسط الثبات في وجه هذه الجيوش فإنهم طلبوا من الخليفة العون، فأرسل إليهم البرسقي من بغداد. وكانت المعركة ضارية، قاد جيش بغداد الخليفة نفسه، وقد أنتهت[1] بفشل دبيس وهزيمته. وتقول الرواية أنه بعد هربه قصد قبيلة بني غزيه ـ من عرب نجد ـ وأراد التحالف معهم على الهجوم على العراق. ولكن بني غزيه رفضوا ذلك لبعدهم في النسب أولاً، ولأنهم لا يريدون معاداة الخليفة ثانياً. ثم أتجه بعد ذلك الى بني المنتفق الذين كانوا بقرب البصرة وأتفق معهم، فقاموا بنهب البصرة وقتلوا مقدم عسكرها. ولما علم الخليفة بذلك عاتب البرسقي لإهماله أمر دبيس، وأمره بأن يتقدم الى البصرة لدفع دبيس[2] عنها. وقد وصلت أخبار هذه الحملة دبيساً، فترك البصرة وذهب الى قلعة جعبر حيث لجأ الى إيلغازي مرةً أخرى. من أهم النتائج التي حصل عليها الخليفة بعد أنتصاره في المعركة السابقة هي القضاء على نفوذ دبيس السياسي

---

١. عن هذه المعركة أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص٢٤٢ ـ ٢٤٣؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣١ ـ ٢٣٢؛ ابن القلانسي: ص٢٠٨ ـ ٢٠٩؛ مخطوط تاريخ دولة عباسية، ورقة ١١٣ (أ ـ ب)؛ أبا الفداء: م١، ج٤، ص١٥٧؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٥٣؛ Grousset: Histoire, vol. I,p. 527. Levy An introduction of the sociology of Islam (1933) vol. 11 p. 305.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٤٥؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٢؛ ينظر أيضاً: Karabacek, Beitrage zur geschichte der Mazjaditen (Leipzig Vienng 1874).

في المنطقة والسيطرة على أملاكه، وأهم من ذلك رفع معنوياته ومكانته. أما دبيس فالظاهر أنه بعد فشله وتشتت قوته في العراق صرف أهتمامه في الحصول على بعض المكاسب في الشام، لاسيما وأن الظروف آنذاك كانت متهيئة لمثل ذلك. ومن المناسب إعادة ما قلناه سابقاً وهو أن دبيساً سبق أن أتفق مع إيلغازي في سنة ٥١٥هـ على الأستيلاء على أنطاكية وحلب، والراجح أنه بعد التجائه الى إيلغازي حاولا إعادة تنفيذ المشروع السابق. وقد قام دبيس بعملين مهمين قصد منهما تهيأة عوامل الغزو، فقام بالتفاوض مع الصليبيين في سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م وبصورة رئيسية مع بلدوين Baldwin حول الأستيلاء على حلب. وفي الوقت ذاته فإنه أستغل شيعيته في محاولة كسب تأييد الشيعة[1] في حلب، ودخل في مراسلات معهم من اجل ذلك. وفي حلب نفسها كان الوضع السياسي ضعيفاً، فإن حاكمها مثلاً بعد أن علم بالخطة قرر التخلي عن المدينة، تاركاً إياها بيد الجند الأتراك. وقد قام دبيس والصليبيون بمحاصرة المدينة ومقاتلة أهلها والجند الأتراك. وقد طال الحصار والمناوشات بين الطرفين، والظاهر أن الشيعة في حلب لم يقدموا أية مساعدة لدبيس. إن شدة مقاومة أهل حلب من جهة ثم أستنجادهم بالبرسقي من جهة أخرى أحبط خطط دبيس والفرنج الذين قرروا في النهاية رفع الحصار عند أقتراب البرسقي. لقد أعتبر بعض المؤرخين تحالف دبيس مع الصليبيين عملاً شائناً، في حين أعتبره سعيد عاشور محاولة لرفع المعنوية

---

1. Gibb: 'Zengi and the fall of Edessa' in A History of the Crusades, p. 453 .

العربية ضد أتراك بغداد الذين تسلطوا على العرب وأرضهم[١] وفي الحقيقة أن دبيساً لم يكن الشخص الوحيد الذي دخل في مساومات سياسية مع الصليبيين، وأن هناك عدداً من رؤساء القبائل وبعض الحكام قد فعلوا مثل ذلك. وأعتقد أن توجه دبيس نحو الصليبيين هو نتيجة مباشرة للوضع الذي كان يعيشه في ذلك الحين، وهو أيضاً قد يكون محاولة موجهة الغرض منها أرباك سلطة بغداد.

توجه دبيس بعد أن فضّل في الأستيلاء على حلب الى الملك طغرل بن السلطان محمد، وقد شجعه على تجريد حملة عسكرية في سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م القصد منها محاربة الخليفة ودخول بغداد. والأمر الذي ينبغي ذكره في هذا المجال هو أن كتلة الخليفة السياسية مع البرسقي قد أنقسمت منذ سنة ٥١٨هـ وتقول الرواية أن الخليفة هو الذي نفر من البرسقي وأرسل الى السلطان محمود طلباً يلتمس عزله. فعزله السلطان وعيّن سعد الدولة يرنقش الزكوي شحنة على بغداد بدلاً عنه[٢]. ومن الممكن القول أن الخليفة أخذ يخشى نفوذ البرسقي المتزايد في أن يصبح دبيساً ثانياً في المنطقة فعزم على ضربه، كما أن دبيساً حاول أستغلال هذا الإنشقاق في

١. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص١١٥؛ ينظر أيضاً: Bosworth, C.E.: in Cambridge History of Iran عن علاقة دبيس بالصليبيين vol. v.ps 108, 115, 121؛ idem .the Islamic dynasties p. 51

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٦.

حملته هذه. أما فيما يتعلق بالحملة فإنه حينما وصل خبرها الخليفة جهّز العساكر لمواجهتها، ويُقال أنه أستطاع أن يجمع حوالي ١٢ أثني عشر ألف محارباً عدا ما جنّده من أهالي بغداد. وهي المرة الثانية التي خرج فيها الخليفة المسترشد بالله لقتال دبيس، وكان دبيس في هذه المرة جدياً في الحرب، فقد وضعا، هو والملك، خطة لدخول بغداد ليلاً ونهبها. فعبر دبيس نهر ديالى وأشرف على العاصمة، إلا أن الملك طغرل تأخر قليلاً في الطريق، بينما وصل جيش الخليفة الى ديالى[1]. ولما رأى دبيس ذلك خاف الخليفة فقابله وقبّل الأرض بين يديه ليعفو عنه قائلاً: "أنا العبد المطرود فليعف أمير المؤمنين عن عبده"[2] وأراد الخليفة مصالحته إلا أن الوزير ابن صدقة، الذي كان يكره دبيساً، منعه ولذلك أضطر دبيس الى الهرب والإلتحاق بطغرل[3]. ولقد ذكرنا سابقاً كيف أنهما التجأ الى السلطان سنجر في خراسان. لقد ظل دبيس مع السلطان سنجر طريداً عن بلده وأفراد قبيلته، الى أن سلمه الى السلطان محمود طالباً منه أن يتوسط في أمره عند الخليفة، ولكن الأخير أصرّ على رفض ذلك[4].

١. أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص٢٤٩، ٢٥٢ ـ ٢٥٣؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص١١٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٨ ـ ٢٣٩؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٤٤؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٩٤.
٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٣٩؛ Levy: A Baghdad Chronicle, pp. 214_215.
٣. ن.م.
٤. أنظر: ابن الأثير: ج١٠، ص٢٤٩.

إن أصرار الخليفة في عدم فسح المجال أمام دبيس أن يستعيد نفوذه ومكانته السياسية في الفرات الأوسط، أمر تحتمه طبيعة ظروف الخليفة. فهو الآن المتنفذ الوحيد في شؤون العراق وعلى الرغم من أنه كان يحتاج الى حليف سياسي كي يعلن خروجه على السلطان السلجوقي إلا أن ذلك الحليف لم يكن بأي حال من الأحوال دبيساً لسببٍ بسيط هو عدم ثقته به. وفي الوقت الذي كان فيه الخليفة مصراً على معاداته لدبيس، فإن دبيساً من جهةٍ أخرى أستمر على القيام بتصرفاتٍ غير متزنة فنراه يبحث بإستمرار عن حليف يستطيع بمساعدته أرباك سلطة الخليفة، ولذلك فقد كان يقوم بعدّة غارات على المناطق الآمنة. وهذا ما حدث في سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م عندما أستغل دبيس مرض السلطان محمود فجمع جماعته وسار الى الحلّة فإستولى عليها. ثم أرسل إليه السلطان جيشاً لمحاربته، فلما شعر بخطورة الموقف طلب الصلح من الخليفة، ولكن الأخير لم يجبه، الأمر الذي دفع دبيساً الى الهروب من الحلّة ودخوله البصرة. وقد قام بنهب البصرة ونهب الأموال الخاصة بالخليفة والسلطان، فلما علم السلطان بذلك سيّر خلفه جيشاً مكوناً من ١٠ عشرة آلاف فارساً، إلا أن دبيساً فارق البصرة ودخل البرية[1] (الصحراء).

١. ابن الجوزي: ج١٠، ص١٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٤٩ ـ ٢٥٠؛ ابن واصل: ج١، ص٤٣ ـ ٤٤؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٦١؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٥٢.

ليست هناك معلومات عن حالة دبيس بعد هروبه من البصرة وحتى سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م، وفي هذه السنة حدث تطور جديد في قصة نشاطات دبيس السياسية. فيحدثنا عدد من المؤرخين على أنه بينما كان دبيساً في البرية وصله خبر بأن صاحب قلعة صرخد قد مات وترك جارية وقد سيطرت هذه الجارية على القلعة. وهي تطلب الزواج من دبيس ليقوّي أمرها في القلعة، وأنها ستقدم القلعة لمن يتزوجها ليحكمها، لاسيما وأنه قد وصف لها قوة دبيس وكثرة عشيرته. أما دبيس فإنه لم يترك هذه المناسبة تفلت من يده فلبى الدعوة وسار لتسلم قلعة صرخد، ولكنه لسوء حظه لم يصل القلعة إذ أنه ضلّ الطريق فأسر. وفي قصة ذهابه الى القلعة وأسره عدّة روايات، فبالنسبة لأبن الجوزي يذكر أن دبيساً ضلّ الطريق فقبض عليه في حلّة حسان بن مكتوم الكلبي من أعمال دمشق[١]. ويروي ابن الأثير أن الأدلاء الذين كانوا مع دبيس ضلوا بنواحي دمشق فنزل بناس من كلب يقطنون شرقي الغوطة فأسروه[٢]. أما بالنسبة للمؤرخ السوري ابن العديم فإنه يقدم بضعة روايات مختلفة عن الحادثة منها أن دبيساً ضلّ الطريق فنزل على مكتوم بن حسان[٣]، وقيل أنه ضلّ الطريق لأنه لم يكن معه دليل يعرف بالمناهل، وقيل أنه حصل في حلّة حسّان كالمنقطع الوحيد في نفر يسير من

---

١. ابن الجوزي: ج١٠، ص٢٠.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٤.

٣. ابن العديم: زبدة، ج٢، ص٢٤٨. ويبدو أن ابن العديم يقصد به حسان بن مكتوم.

أصحابه[١]. وفي الحقيقة أن جميع هذه الروايات تتفق على أن دبيساً سار الى صاحبة القلعة ولكنه ضلّ الطريق فكانت نهايته أن أصبح أسيراً عند صاحب دمشق بعد أن علم بوجوده عند بني كلب[٢]. ولما كان دبيس مطلوباً من قبل الخليفة والسلطان السلجوقي لمخالفاته فإن صاحب دمشق فكّر في أن يسلمه الى الخليفة كي يحصل على مكانة لائقة عند الأخير. ولكن عماد الدين زنكي صاحب الموصل عندما سمع بخبر دبيس أرسل الى صاحب دمشق من يقنعه ببيع دبيس بخمسين ألف دينار، حسبما ذكره ابن الجوزي. ويظهر أن العلاقة بين عماد الدين ودبيس لم تكن جيدة إذ يقول ابن الجوزي أن عماد الدين كان عدو دبيس وأن الأخير عندما علم بأمر بيعه الى عماد الدين ظنّ أنه سيهلكه[٣]. ويقول ابن الأثير أن دبيساً كان كثيراً "ما يقع به ـ عماد الدين ـ فينال منه"[٤] ومن الممكن أن تكون لهذه العداوة علاقة بما سبق ذكره حينما حاول السلطان محمود أن يقطع الموصل والشام الى دبيس بدلاً من عماد الدين. ومع كل هذا فإن مخاوف دبيس قد تبددت فقد أستقبله عماد الدين أستقبالاً حافلاً، وقدّم له ما يحتاجه من الأموال والهدايا. والأكثر من هذا أنه لما علم الخليفة بوجود دبيس عند صاحب دمشق أرسل سديد الدولة ابن

١. ن.م.

٢. ن.م.

٣. ابن الجوزي: ج ١٠، ص ٢٠.

٤. ابن الأثير: ج ١٠، ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.

الأنباري لتسلمه إلا أن عماد الدين قبض على الرسول وسجنه[١]. لم ترد هناك أية إشارة توضح الدافع الرئيسي الذي دفع بزنكي أن يقوم بهذا العمل في الوقت الذي كان دبيس عدواً له، أهو من قبيل الإحسان؟ أم أنها محاولة لكسب تأييد دبيس وتكوين كتلة سياسية جديدة. والذي يبدو أن زنكياً كان ينوي الإعتماد على دبيس في مجابهة سلطة بغداد، فأراد الأعتماد على دبيس الذي لا زال يمتلك أنصاراً وقبيلة مشهورة. وهذا ما حدث في سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م فقد أستغل كل من زنكي ودبيس فترة أنشغال الخليفة مع السلطان مسعود في حربهما ضد السلطان سنجر، فسيّرا جيشاً من الموصل بلغ عدده سبعة آلاف فارساً بعدّة كاملة، ويقول ابن الجوزي وابن الأثير أن السلطان سنجر قد كاتبهما وشجعهما على الهجوم على بغداد. ولما علم الخليفة بذلك أسرع عائداً مع عسكره الى العاصمة وأستطاع أحباط خطة المتحالفين فأضطر زنكي الى أن يهرب الى تكريت بينما هرب دبيس الى منطقة الفرات الأوسط[٢] ولم يكتف دبيس بهذه الهزيمة بل أنه جمع أفراد قبيلته وأستطاع أن يقوم بهجوم ناجح على الحلّة التي كانت تحت سلطة موظف السلطان إقبال المسترشدي. وكانت فترة أحتلاله للحلّة قصيرة، إذ أن الخليفة

---

١. أنظر عن علاقة دبيس بزنكي: ابن الجوزي: ج ١٠، ص٢٠؛ ابن الأثير: ج ١٠، ص٢٥٥. مخطوط المسجد المسبوك، مجلد ٢، ورقة ٥١ (أ).

٢. أنظر: ابن الجوزي: ج ١٠، ص٢٥ ـ ٢٦؛ ابن الأثير: ج ١٠، ص٢٥٩؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٣٥٣؛ الذهبي: العبر، ج ٤، ص٦٧؛ ابن كثير: ج ١٢، ص٢٠٣.

سارع بإرسال نجدة لمساعدة إقبال مما أدى الى أندحار دبيس وهزيمته الى آجمة قريبة من الحلّة وظل هناك أياماً بدون طعام[1]. ويذكر ابن الأثير أن دبيساً أستطاع أن يخرج من مكان أستتاره وأن يجمع جمعاً ويقصد واسطاً ولكنه فشل أيضاً في الأستيلاء عليها[2]. ويبدو أنه بعد ذلك دخل في مفاوضات صلح مع السلطان مسعود. ولأول مرة يوافق السلطان على طلبه.

تعدّ موافقة السلطان مسعود على الصلح مع دبيس حدثاً سياسياً جديداً ولا شك أن السبب المباشر الى مثل هذا التحول هو النشاطات العسكرية الواسعة التي كان يمارسها الخليفة التي أخذت تهدد مصالح السلطان نفسه في العراق. ففي سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م قاد الخليفة بنفسه جيشاً جراراً هادفاً الى أخذ ثأره في محاربة عماد الدين زنكي والاستيلاء على الموصل. وقد يكون الخليفة شعر بأن نفوذ عماد الدين أصبح في تزايد وأنه أراد القضاء عليه من قبل أن يستفحل خطره. وبينما كان يحاصر الموصل إذ ورد خبر مفاده أن السلطان مسعوداً سار نحو بغداد كما أنه صالح دبيساً وخلع عليه، ولذلك سارع على الفور بالعودة الى بغداد[3] محاولاً عرقلة التكتل الجديد ضده. ولقد

---

١. ابن الجوزي: ج١٠، ص٢٧؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٩؛ ابن العديم: ج٢، ص٢٥١؛ وقد قال أن دبيساً رجع الى السلطان سنجر وبذلك يخالف قول كل من ابن الجوزي وابن الأثير. أنظر أيضاً: أبا الفداء: م٢، ج٥، ص١٢؛ ابن الوردي: ج٢، ص٢٣٨.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٥٩.

٣. ابن الجوزي: ج١٠، ص٣٠؛ الذهبي: دول، ج٢، ص٣٤؛ ابن كثير: ج١٢، ص٢٠٤.

أستمر تحالف السلطان مسعود ودبيس فنرى الأخير يلعب دوراً عسكرياً كبيراً في الحرب التي وقعت بين السلطان مسعود والخليفة في سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م. ويصرّح كل من ابن الجوزي وابن الأثير عن السبب الذي دفع دبيساً أن يقوم بذلك فيقولان أن جماعة من الأمراء وبضمنهم دبيس طلبوا من الخليفة أن يعطيهم الأمان فيقوموا بخدمته ضد السلطان، غير أن الخليفة أعتبر ذلك مكيدة لأن دبيساً معهم، وأخيراً وافق الخليفة على إرسال رسوله ابن الأنباري إليهم بينما أتفق أولئك الأمراء بينهم على القبض على دبيس وتسليمه للخليفة، فلما عرف دبيس ذلك هرب وألتحق بالسلطان مسعود. ولهذا نجد مشاركته مع السلطان كانت مشاركة فعّالة. كانت نتيجة هذه المعركة في غير صالح الخليفة حيث تركه عدد من الأمراء، ولم يستطع الصمود أمام جيش السلطان مسعود فوقع أسيراً[١]. ويقال أنه في فترة أسره عمل السلطان على مصالحته مع دبيس[٢]. ولكن هذا الرضى لم يستمر طويلاً إذ أن الخليفة قد قتل بعد مدة وجيزة، وقيل أن جماعة من الإسماعيلية قتلته، وقيل أن قتله كان بأمر من السلطان مسعود[٣]، وهذا الرأي يبدو أكثر صحة. ومن المصادفات التاريخية الطريفة أن يكون دبيس قد قُتل أيضاً في نفس السنة التي قُتل فيها الخليفة المسترشد. وأكاد أتفق مع قول ابن الأثير حينما

١. ابن الجوزي: ج١٠، ص٤٣؛ ابن الأثير: ج١١، ص١٠.

٢. ابن الجوزي: ج١٠، ص٤٧ ـ ٤٨؛ مخطوط المسجد المسبوك: مجلد ٢، ورقة ٥٣ (أ).

٣. أنظر: ابن الأثير: ج١١، ص١١؛ ابن العديم: زبدة، ج٢، ص٢٥٠؛ الذهبي: دول، ج٢، ص٣٥.

قال عن مقتل دبيس بأنه: "لم يكن يعلم أن السلاطين إنما كانوا يبقون عليه ليجعلوه عدّة لمقارنة المسترشد فلما زال السبب زال المسبب"[١]. وعلى الرغم من أن هناك عدّة روايات عن قتل دبيس والمكان الذي قُتل فيه[٢]، إلا أن أغلبها أتفق على أن السلطان مسعوداً بعث أحد غلمانه فقتله، وقد فعل ذلك تغطيةً لقتله الخليفة أولاً، ثم محاولة للتخلص منه ثانياً.

لقد وصف بعض المؤرخين وكُتّاب التراجم دبيساً بأنه كان كريماً وشجاعاً[٣] وكانت له هواية أدبية فذكر بعضهم أن له شعراً[٤]. وقد مدحه عدّة شعراء منهم حيّص بيص الذي نظّم عدّة قصائد[٥] في ذلك. ومنهم أيضاً زايدة بن نعيم

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص١٢.

٢. أنظر عن ذلك: ابن الجوزي: ج١٠، ص٥٢ ـ ٥٣؛ ابن الأثير: ج١١، ص١٢؛ الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص١٠٨؛ وقال البنداري (ص١٦٣ ـ ١٦٤) أن السلطان مسعوداً قتله بمراغة بعد أن قبحت سمعته. ابن القلانسي: ص٢٥١ ـ ٢٥٢؛ ابن العديم: ج٢، ص٢٥٠؛ أما سبط ابن الجوزي (عن العماد الأصبهاني) فإنه قال: قتل بمراغة، ج٨، ص١٥٥؛ وفي مخطوط ميافارقين [ورقات ١١١ (ب)، ١٣٣ (ب)] فقد قال المؤلف أنه قتل بباب تبريز. وذكر ابن خلكان (عن التاريخ المأموني) أنه قتل عند باب خوري، ج٢، ص٤٠؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٧٨؛ ابن خلدون: م٤، ص٦٢٠ ـ ٦٢١.

٣. ابن خلكان: ج٢، ص٣١؛ العماد الحنبلي: شذرات، ج٤، ص٩٠ ـ ٩١.

٤. وقد ذكر ابن خلكان عن ابن المستوفي في تاريخ أربل بعض الأشعار المتبادلة بين دبيس وأخيه بدران منها:

ألا قُل لبدران الذي حنّ نازعاً ... الى أرضه والحر ليس يخيبُ

٥. العماد الأصبهاني: خريدة القصر (قسم العراق)، ج١، صفحات ٢٢٤، ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨ ـ ٢٦٩، ٣٣٦ ـ ٣٣٧، ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

المعروف بالمحفف القشيري[1]، كما ذكره أبو محمد الحريري صاحب المقامات في مقامته التاسعة والثلاثين (المقامات العُمانية)[2] وقد خلع عليه دبيس كثير من الهدايا والجوائز[3]. والواقع أن صلته بالأدباء والشعراء كان دافعها الأول الحصول على الشهرة، فالرجل كان كريماً ولهذا نجد إقبال الشعراء والأدباء على مدحه، وقد يكون السبب سياسياً لمنافسته سلطة بغداد الخليفة والسلطان فإنه أراد إظهار عظمته وكرمه كما كان هناك شعراء يمدحون الخليفة والسلطان.

نهاية المزيديين

لم يكن مقتل دبيس ضربة قاضية للإمارة المزيدية ودورها في المنطقة فحسب بل وكان أيضاً ضربة مباشرة لوحدة الإمارة المزيدية. فبينما كانت فترة حكم كل من صدقة ودبيس من أكثر الفترات فعالية ونشاطاً من حيث تثبيت أركان الإمارة وتوسيع علاقاتها الخارجية حتى أن سلطة بغداد أخذت تخشى نفوذ أمرائها، ساد الفترة التي أعقبت مقتل دبيس غموضاً كبيراً، وضعف الدور الذي لعبته تلك الإمارة. صحيح أنه خلال حكم دبيس حدثت عدّة أنتكاسات للمزيديين فخسروا كثيراً من المناطق التي كانوا قد ملكوها

---

١. ياقوت: الأدباء، ج٢، ص١١.

٢. الحريري: مقامات، ج٢، ص٥٠٦.

٣. الشريشي: شرح المقامات، ج٤، ص٢٩ ـ ٣٠.

سابقاً، إلا أنه في الفترة الأولى من حياته السياسية كان مسيطراً على منطقة واسعة كالحلّة وواسط والبطائح.

ولم ترد معلومات كثيرة عن الإمارة المزيدية طيلة الفترة الواقعة بين سنة ٥٣٠هـ/١١٣٥م حتى ٥٤٠هـ/١١٤٥م. ويبدو من رواية أوردها ابن الأثير في أحداث سنة ٥٣٠هـ أن صدقة بن دبيس هو الأمير الذي عُيّن على الإمارة المزيدية بعد مقتل والده دبيس[١]. ومن هذه الرواية يتبين أيضاً أن صدقة كان صغيراً وأن عنتر بن أبي العسكر الجاواني كان يدبر أمره[٢] (أي كان كالأتابك بالنسبة لصدقة الثاني)، ونتيجة لهذا العامل، عامل السن، فإنه لم يكن لصدقة الثاني أي خط سياسي واضح وأن عنتراً كان المسيّر الرئيسي. فنرى أسم صدقة وعنتر مثلاً ضمن قائمة أسماء الأمراء الذين أتفقوا مع الخليفة الراشد ضد السلطان مسعود[٣]، ولكن أسمه يختفي عندما أندلعت الحرب بين الطرفين المتخاصمين، ولا نعرف الدور الذي لعبه. ويبدو أنه بعد أندحار جبهة الخليفة قام السلطان بأسر عدد من الأمراء المشاركين معه وأن صدقة كان من بينهم، إذ يظهر أسمه في سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م وأنه كان مع السلطان مسعود. والمهم هنا هو أن السلطان أراد كسب تأييد صدقة فزوجه أبنته وسمح له بالرجوع الى الحلّة[٤].

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص١٥.

٢. ن.م.

٣. ابن الأثير: ج١١، ص١٥.

٤. ن.م. ج١١، ص١٩.

وكان لهذه الرابطة أهمية كبيرة فنرى الأمير صدقة وأتابكه عنتراً يقفان الى جانب السلطان مسعود ضد التكتل الخطير الذي قام بين ملوك الأطراف والملك داود بن السلطان محمود الذي كان يهدف الى خلع السلطان مسعود وإعادة الخليفة الراشد (وقد سبق أن خلعه السلطان مسعود وجاء بالمقتفي بدله). فلما نشبت الحرب كان النصر أولاً بجانب السلطان مسعود، إذ أستطاع أن يقبض على بعض الأمراء الموالين للخليفة الراشد ويقتلهم، ولكن الآية أنقلبت حين أعاد أمراء آخرون الكرة في الهجوم في الوقت الذي كان فيه أنصار السلطان مسعود منشغلين بالنهب. وقد أفلح قائد الحملة يوازبه في أن يقبض على بعض الأمراء المؤيدين للسلطان مسعود الذين أشتركوا معه في الحرب وأن يقتلهم. وكان الأمير صدقة بن دبيس وأتابكه عنتر بن أبي العسكر[1] من بين أولئك الأمراء. وبذلك تنتهي أخبار الأمير صدقة الثاني ولم ترد أخبار أخرى عن الأعمال التي قام بها خاصةً وأن فترة إمارته كانت قصيرة جداً لم تتجاوز الثلاث سنين. ويذكر ابن الأثير أن السلطان مسعوداً أقر الحلّة لأخيه محمد بن دبيس وجعل مهلهل بن أبي العسكر أخا عنتر أتابكه والمدبر لأموره[2]. إلا أن أخبار هذا الأمير تنقطع بصورة مفاجئة، فلم

١. لقد جعل البنداري (ص١٦٨ ـ ١٦٩) وكذلك الحسيني (ص١١٠) هذه الحادثة في سنة ٥٣١ هجرية. بينما ذكرها ابن الأثير (ج١١، ص٢٥) في سنة ٥٣٢ هجرية. وأنظر كذلك: أبا الفداء: م٢، ج٥، ص٢١ ـ ٢٢؛ ابن الوردي: ج٢، ص٤٢.

٢. ابن الأثير: ج١١، ص٢٥.

نسمع عن فعالياته ومكانته منذ تلك السنة وحتى سنة ٥٤٠هـ وفي هذه السنة ذكر عدد من المؤرخين أن حرباً جرت بين علي بن دبيس وبين أخيه محمد ابن دبيس الذي لا زال حتى تلك السنة أميراً على الحلّة[1]. أما عن علي بن دبيس فإننا لا نعرف شيئاً ذا بال وهذه هي الإشارة الأولى إليه، ويبدو من الرواية أنه كان أسيراً عند السلطان مسعود، إذ تقول الرواية أنه لما بلغه أن السلطان يريد أعتقاله في قلعة تكريت هرب من بغداد في خمسة عشر فارساً الى النيل ثم الأزير - نهر سنداد - وهناك جمع الجموع من بني أسد وسار الى الحلّة التي كانت بيد أخيه محمد، وتحاربا فأنتصر علي. وإعتماداً على رواية ابن الجوزي أن السلطان عندما سمع بذلك أرسل قائده (مهلهل) على رأس جيش ضد علي فأنتصر علي أيضاً مما حمل السلطان على الأعتراف بالأمر الواقع وأقره على الحلّة[2]. بينما يروي ابن الأثير أحداثاً تختلف كثيراً عن تلك التي رواها ابن الجوزي، قال أن السلطان مسعوداً أستهان بقوة علي بن دبيس بعد أنتصاره فلم يُعر له أهتماماً كبيراً.

---

١. أنظر: ابن الجوزي: ج ١٠، ص١١٦؛ ابن الأثير: ج ١١، ص٤٣؛ أبا الفداء: م٢، ج٥، ص٢٦؛ ابن الوردي: ج٢، ص٤٥؛ مخطوط المسجد المسبوك: مجلد ٢، ورقة ٦١ (ب)؛ وقد ذكر الصفدي (تاريخ دول الإسلام، ج٢، ص٦٧) أن محمد بن صدقة حكم من سنة ٥٣٢ ــ ٥٤٠ هجرية. ولعله يقصد محمد بن دبيس، لأن دبيساً له ثلاثة أبناء وهم صدقة الذي قتل سنة ٥٣١ هجرية. ثم محمد بن دبيس الذي حكم في الفترة الواقعة بين ٥٣١ - ٥٤٠ هجرية، وعلي الذي ولي الإمارة بعد ذلك.

٢. ابن الجوزي: ج ١٠، ص١١٦.

وبذلك أستطاع علي أن يجمع العساكر ويتوجه بأتجاه بغداد هادفاً أخذها من شحنتها المهلهل. ومن المحتمل أنه أتخذ هذا الإجراء لوجود عداء بين علي والمهلهل. وقد كسب علي الحرب، ولم يُثنه عن أخذ بغداد إلا الخليفة، إذ تدخل في الأمر وراسل علياً بالكف عن عزمه، فأطاع علي أمر الخليفة ورجع[١]. ومن الممكن أن أعتراف السلطان بولاية علي جاء بعد هذا الأنتصار، وأنه قبل ذلك كان معترفاً بمحمد ابن دبيس.

إن أول حدث سياسي بعد أستقرار علي بن دبيس في الحلّة وإقرار السلطان له بالإمارة بصورةٍ رسمية، حدث في سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م حينما أرسل السلطان حملة عسكرية لمحاربة علي وإخراجه من الحلّة. وهنا أيضاً تختلف الروايات التي قدمها كل من ابن الجوزي وابن الأثير، فأما ابن الجوزي فإنه قال أن السلطان أرسل مكتوباً الى شحنة بغداد المسمى سلار كرد يأمره فيها بأخذ البلاد المزيدية من علي. غير أن علياً لم يسلمها بل حارب جيش سلار كرد، وخسر المعركة، فذهب الى واسط وهناك جمع الجيوش ورجع الى الحلّة[٢] فملكها. وابن الأثير يذكر أنه قد كثرت الشكاوى ضد علي، فلذلك أقطع السلطان الحلّة لسلار كرد الذي كان حينذاك في همذان. فسار سلار كرد بعسكره، وأجتمع إليه جيش بغداد ثم قصد الحلّة وبعد معركة حامية أنهزم علي وملك سلار كرد الحلّة. وأن علياً ذهب الى

١. ابن الأثير: ج١١، ٤٣.
٢. ابن الجوزي: ج١٠، ص١٢٥.

واسط فجمع العساكر ورجع الى الحلّة فأخذها من سلار كرد[1] الذي عاد الى بغداد. إن الأختلافات الموجودة بين هاتين الروايتين غير جوهرية ولا تغير كثيراً من فحوى الحادثة التي يمكن تعليلها بأن السلطان أخذ يخشى من أن يستعيد علي نفس المكانة التي إحتلها أبوه وجده من قبل فأراد القضاء عليه، وما مسألة الشكاوى التي ذكرها ابن الأثير إلا تعليلات حاول السلطان أستغلالها. وقد أثبت علي كفاية عسكرية فذة في القضاء على الحملة.

ويبدو أن العلاقة بين السلطان مسعود وبين علي أستمرت سيئة فيروى أنه في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م وقف علي مع الأمراء الذين خرجوا على طاعة السلطان، محاولين تنصيب الملك محمد بن السلطان محمود سلطاناً بدله. وقد جرّد هؤلاء الأمراء حملةً وتوجهوا نحو بغداد، وخلال فترة حصارهم للعاصمة ألتحق بهم علي ونزل في الجانب الغربي. وبعد قتالٍ طويل مع أهالي العاصمة وعسكرها، قرر الأمراء الإنسحاب من العاصمة دون أن يحققوا الهدف الذي ساروا من أجله[2] ويقول البنداري أنهم تركوا بغداد بعد مراسلاتٍ مع الخليفة على أن يدفع لهم مبلغاً قدره ثلاثين ألف ديناراً[3]. وقد كرّر هؤلاء الأمراء عملهم في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م مطالبين الخليفة بالخطبة

١. ابن الأثير: ج ١١، ص ٥٠.

٢. أنظر: ابن الجوزي: ج ١٠، ص ١٣١ ـ ١٣٢؛ ابن الأثير: ج ١١، ص ٥٨؛ ابن القلانسي: ص ٣٠١ ـ ٣٠٢؛ البنداري: ص ٢٠٢؛ ابن كثير: ج ١٢، ص ٢٢٥؛ مخطوط المسجد المسبوك، مجلد ٢، ورقة ٦٣ (أ) ـ ٦٣ (ب).

٣. البنداري: ص ٢٠٢.

لملكشاه بن السلطان محمود بدلاً من السلطان مسعود، وكان علي معهم أيضاً. وقد رفض الخليفة طلبهم وتجهز للدفاع عن بغداد كما أنه أرسل الى السلطان مسعود مستنجداً. وللمرة الثانية فشل هؤلاء الأمراء في تحقيق هدفهم، ويُقال أنه بعد مجيء السلطان الى بغداد تقدم علي إليه معتذراً فرضى عنه[1].

ولم ترد معلومات أخرى عن الفعاليات التي قام بها علي بن دبيس. وأستناداً الى قول البنداري والصفدي أن علياً كان محتفظاً بلقب "ملك العرب"[2] الذي مُنح لصدقة. مع العلم بأنه ليس هناك أي دليل تاريخي يؤيد أستمرار سلطة علي على بقية القبائل الساكنة في وسط وجنوبي العراق.

لقد تمتع علي ببعض الصفات، فقال عنه الصفدي أنه كان "شجاعاً جواداً ممدحاً كبير الشأن"[3]. وهذه الصفات تلقي ضوءاً كبيراً على المكانة الإجتماعية والمركز السياسي الذي كان يحتله علي بن دبيس، إضافةً الى أنها تعكس شهرته بين الأدباء والشعراء فأكثروا من مدحه. ومما قاله سبط ابن الجوزي عن علي أنه كان شجاعاً، وأن من أسباب أختلافه مع السلطان هي أن السلطان هدده مرة فأجاب علي على رسول السلطان: "قُل له أن مثلي لا يُهدد لأن قصارى أمري أن يخرجني عن جدران ويبعدني عن أوساخها

١. ابن الأثير: ج١١، ص٥٨.
٢. البنداري: ص٢٠٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات (مخطوط)، ج١٢، ق١، ورقة ٦٢ (ب).
٣. الصفدي: الوافي بالوفيات(مخطوط) ج١٢، ق١، ورقة ٦٢(ب)؛ وأنظر أيضاً: تاريخ الشيعة الإمامية، ص١٢١ ـ ١٣٦.

فأسكن في فيافي بني أسد وأقنع بخيام الشعر وتلال وثماد المياه وخشن العيش وهو وأمثاله لو فقد إيقاد الشمع ودخان الند وألوان الأطعمة والحمامات لهلك"[١]. فعلي كان معتزاً بالحياة البدوية وبساطتها، والرواية إن دلت على شئ فهي تدل على جرأته السياسية.

توفي علي بن دبيس سنة ٥٤٥هـ أو ٥٤٦هـ/١١٥٠م أو ١١٥١م[٢]. وقد أختلف في موته فقيل أن طبيبه محمد بن صالح قد قتله[٣]، وقيل أنه مات بالقولنج، ومات في أسداباد[٤].

وحسب قول الصفدي[٥] أن مهلهل بن علي هو الذي خلف والده على الإمارة المزيدية غير أننا لا نعرف فيما إذا كانت إمارته هذه كانت بموافقة وتقليد من السلطان أم لا. والواقع أن هناك روايتين لابن الأثير وسبط ابن الجوزي عن الحوادث التي أعقبت وفاة السلطان مسعود، وبينهما أختلاف جوهري فيما يخص المزيديين والحلّة.

فابن الأثير يقول أنه بعد موت السلطان مسعود سيّر السلطان ملكشاه (السلطان الجديد) سلار كرد في عسكرٍ لإحتلال الحلّة، ولكن فترة أحتلاله

١. سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٢٠٧. جدران لعلها كناية عن الدار.
٢. ذكرها ابن الجوزي (ج١٠، ص١٤٦) في سنة ٥٤٦؛ بينما ذكرها ابن الأثير (ج١١، ص٦٢) وأبو الفداء (م٢، ج٥، ص٣٣) والذهبي: دول (ج٢، ص٥٠) بأنها كانت في سنة ٥٤٥ هجرية.
٣. ابن الجوزي: ج١٠، ص١٤٦؛ ابن الأثير: ج١١، ص٦٢.
٤. ابن الأثير: ج١١، ص٦٢.
٥. الصفدي: الوافي (مخطوطة)، ج١٢، ق١، ورقة ٦٢(ب) ـ ٦٣(أ).

كانت قصيرة إذ أستطاع مسعود بلال شحنة بغداد أن يتغلب على المدينة سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م ويخضعها لسيطرته. مما أدى بالخليفة المقتفي لأمر الله أن يجرد جيشاً لمحاربة مسعود بلال ونجح جيش الخليفة في إبعاده عن الحلّة وإخضاعها لسلطة الخليفة[١]. وعلى هذا فابن الأثير لم يذكر شيئاً يستشف منه أن المهلهل بن علي كان أميراً على الحلّة، وما يفهم من روايته أن الحلّة لم تعد خاضعة للمزيديين. بينما يروي سبط ابن الجوزي أن جيش الخليفة كان قاصداً واسط للقضاء على العصيان الذي ذكرناه، فلما وصل الى الحلّة هرب منها مهلهل[٢] بن علي. وهذه الرواية غامضة لا توضح فيما إذا كان لمهلهل أي ضلع في عصيان واسط فأراد الخليفة محاربته أولاً، أو أنه خاف من هجوم الخليفة. وأعتقد بأن مهلهلاً كان موجوداً في الحلّة غير أنه لم يلعب دوراً رئيساً في تلك الأحداث. ويؤيد هذا القول رواية ابن الجوزي في سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م التي جاء فيها أن مهلهلاً رجع الى الحلّة وتمكن من أخذها من ممثلي السلطان، في الوقت الذي كان فيه الخليفة مشغولاً بجمع العساكر للقاء السلطان محمد بن محمود الذي طلب من الخليفة أن يُعلن أسمه في الخطبة في بغداد وقد رفض الخليفة ذلك[٣]. أما بالنسبة الى مهلهل فإننا لا

١. ابن الأثير: ج١١، ص٦٧.

٢. سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٢١٣.

٣. ذكر الحادثة ابن الجوزي (ج١٠، ص١٦٨ ـ ١٦٩) في سنة ٥٥٢ هجرية ذلك لأنه أعتبر وفاة علي في سنة ٥٤٦ هجرية، فأستمر التفاوت وذكرها ابن الأثير (ج١١، ص٨٦) في سنة ٥٥١ هجرية.

نعرف شيئاً عن دوره ومدة بقائه في الحلّة، بل لم ترد أية معلومات غير تلك الروايتين السابقتين.

لقد سبقت الإشارة الى أن الخليفة رفض طلب السلطان محمد في الخطبة له، ولذلك توجه محمد مع عسكره نحو بغداد في سنة ٥٥١هـ أو ٥٥٢هـ وحاصرها وقطع الميرة عنها وقد حدثت بعض المعارك النهرية بين الطرفين. والأمر المهم في هذه الحوادث أنه جاء ذكر لتدخل قبيلة بني أسد الى جانب السلطان محمد، وقد لعب بنو أسد دوراً مهماً في شنّ الحملات على سور بغداد، غير أنهم فشلوا في المعركة، ووقع بعض أمرائهم في الأسر أمثال حسن المضطرب وأخيه ماضي فأمر الخليفة بصلبهم[1]. والجدير بالأنتباه هنا أن هذه الحوادث وقعت في نفس السنة التي عاد بها المهلهل الى الحلّة، ولكن لم يظهر له أي دور فيها، فمن المحتمل أنه توفي في تلك السنة، وبوفاته أنتهت إمارة بني مزيد، إذ أن الذين أشتركوا في المعركة كانوا من قبيلة بني أسد ولكن ليسوا من أسرة المزيديين. ويظهر أنه بعد موت مهلهل أستلم الإمارة رجال من بني أسد بصورةٍ عامة.

أنقطعت أخبار بني مزيد بعد تلك الحوادث، ففي سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م طالب بنو خفاجة الرسوم من طعام وتمور الحلّة والكوفة، فبرز إليهم الأمير

---

١. ذكرها ابن الجوزي (ج١٠، ص١٦٩ ـ ١٧٠) في سنة ٥٥٢ هجرية؛ بينما ذكرها الحسيني (ص١٣٦ ـ ١٣٧) والبنداري (ص٢٢٩) في سنة ٥٥١ هجرية.

قيصر شحنة الحلّة بعسكر وأفلح في دحرهم[1]. والرواية تعكس أن الحلّة أصبحت بيد الأمير قيصر الذي كان شحنة، وهو من موظفي السلطان. ويبدو أنه بعد أن خسر بنو أسد أمراءهم في المعركة السابقة مع الخليفة لم يظهر منهم أي أمير آخر يُعيد مكانتهم السابقة. وترد آخر إشارة الى بني مزيد في سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م حينما سار إليهم جيش الخليفة المستنجد بالله بهدف إجلاءهم عن الحلّة نهائياً بمساعدة قبيلة المنتفق التي كان يرأسها ابن معروف. وتقول الرواية أنه قد قتل في المعركة التي جرت بين جيش الخليفة وبني أسد، حوالي أربعة آلاف رجل من بني أسد[2]. ولا شك أن تصميم الخليفة على إبعاد بني أسد من منطقة الفرات الأوسط جاء أنتقاماً لما قاموا به في الحرب السابقة، فقد صرح ابن الأثير بذلك. وبعد جلاء بني أسد من الحلّة ورثت القبائل العربية الأخرى المجاورة جميع أملاكهم ونفوذهم ومن بين تلك القبائل قبيلة بني خفاجة وقبيلة بني المنتفق.

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص٧٦.

٢. أنظر: ابن الأثير: ج ١١، ص١١٩ وما بعدها؛ الذهبي: العبر، ج ٤، ص١٦٤؛ دول، ج٢، ص٥٢.



الفصل الرابع

بُنية جيش بني مزيد

الأعراب[1]

نقصد بالأعراب البدو الذين سكنوا العراق وأطرافه، وقد لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ العراق في العصر الإسلامي، وسببوا الخوف والهلع جراء هجماتهم على المدن والقرى، ونهبهم القوافل. وقد سبق أن تطرقنا في فصل خاص الى أماكن سكنى أهم العشائر البدوية في منطقة الفرات الأوسط. ومن بين أهم المناطق التي سكنها الأعراب في العراق، أطراف الكوفة

---

١. أطلق بعض المؤرخين لفظة عرب بدلاً من الأعراب. أنظر: ابن الجوزي، ج٧، ص ٢٦١، ج٨ ص٢١٠؛ ابن الأثير، ج٩، ص٨٨ ــ ١٤٦ ــ ١٨٣ ــ ٢١٣ ــ ٢٤٣، ج ١٠، ص٢٩؛ البنداري، ص٤٦؛ ابن خلدون، م٤، ص١٠٤٣. أما الأعراب أنظر: مسكويه، ج٢، ص٣٦٩؛ سيرة المؤيد في الدين، ص١٢١ ـ ١٧٠؛ ابن الأثير، ج٩، ص ١٤٠.

والبصرة[١]. ذكر الطبري بعض الأخبار التي توضح نشاطهم السياسي في العراق منذ القرن الثالث الهجري، ففي سنة ٢٤٧هـ أشتركوا مع عبيد الله بن يحيى بن خاقان عندما قتل المتوكل، كفرقة خاصة بجانب الأرمن والعجم والصعاليك[٢]. وفي سنة ٢٥٠هـ جمع يحيى بن عمر كثيراً من الأعراب وجماعة من أهل الكوفة[٣]. وفي سنة ٢٥١هـ ظهر العلوي في نينوى ـ ناحية قرب (كربلاء)[٤] ـ وأجتمع عليه جماعة من الأعراب[٥]. وفيها أيضاً قتل مزاحم بن خاقان قائد المستعين ثلاثمائة رجل من الأعراب قبل دخوله الكوفة[٦]. هذه الروايات وغيرها تبرز دور البداوة في الجيش منذ فترة قديمة، وهي توضح أيضاً أن أكثر فعالياتهم تركزت بالقرب من الكوفة مما يدل على تنقلهم في تلك المنطقة. وقد سكن الأعراب أيضاً في أطراف بغداد[٧]. حتى أنه سنة ٤٥٥هـ حمل أهالي بغداد السلاح لمقاتلة الأعراب الذين أنتشروا في البلاد[٨].

---

١. أنظر: فصل العرب في العراق عن بني عقيل في البصرة وبني عبادة وبني المنتفق.

٢. الطبري، م٣، ص١٤٦٣.

٣. نفس المصدر، م٣، ص١٥١٦، ١٥١٨.

٤. ياقوت، البلدان، ج٤، ص ٨٧٠.

٥. الطبري، م٢، ص ١٦٢٠.

٦. الطبري، م٣، ص١٦١٨.

٧. ابن الجوزي، ج٨، ص٢٣٤؛ ابن الأثير، ج ١٠، ص ١٠.

٨. ابن الأثير، ج ١٠، ص ١٠.

لقد برز دور الأعراب في العراق سياسياً في الفترة الواقعة بين القرون الثالث والخامس الهجري، ويبدو أن سبب ذلك يرجع الى ضعف السلطة المركزية وتسلط الأتراك والى أحتلال البويهيون بغداد. والراجح أن بعض هؤلاء البدو أصبحوا فلاحين وأمتهنوا الزراعة، وهناك بعض الروايات التي تؤيد ذلك. فمما قاله التنوخي عن كوثى أنه: "كان في أطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الأرض ما لا يتجاسر الأكرة على زراعته وكان العمال يسامحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج"[1] فهذه الرواية توضح أن بعض الأعراب قد سكنوا أطراف المدن والأمصار وقاموا بزراعة الأرض التي لم يستطع أهل البلد زراعتها نتيجة لبعدها عن المدينة. وهؤلاء كانوا يدفعون الخراج على تلك الأراضي. والظاهر أنهم لم يدفعوا الأموال بأنتظام مما كان يؤدي الى أصطدام عامل الخراج بهم، قال القزويني أنه "لما أشتد طلب العامل وضربهم ـ أعراب كوثى ـ ذهبوا الى بني أعمامهم شاكين منه وأرادوا قتله"[2]. ولعل مزاولة الأعراب للزراعة يحدث عندما تكون السلطة المركزية قوية فإذا ما ضعفت فإنهم كانوا يعودون الى مهنة السلب والقيام بالغارات على المدن. وربما كان هذا من الأسباب الرئيسة في أنضمام الأعراب لجيش بني مزيد.

---

١. التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١، ص١٣١.

٢. القزويني، آثار البلاد، ص٤٤٩.

يرجع نسب بني مزيد الى قبيلة بني أسد، وقد أطلق على صدقة بن مزيد ملك العرب[١]. وكان دبيس بن صدقة من بيت الإمرة وسادة الأعراب[٢] يتبين من هذا أن بني مزيد أنفسهم كانوا من الأعراب، ولا يستبعد أن يكون أعراب بني أسد قبل أستقرارهم وتكوين إمارة بني مزيد، من بين أولئك الذين شاركوا في الحياة السياسية جنب الأعراب الآخرين مثل أعراب عقيل وخفاجة ونمير والمنتفق وشيبان وعبس وكلاب[٣].

لقد أعتمد الأمراء والسلاطين على القبائل البدوية الساكنة في منطقة الفرات الأوسط مثل عقيل وأسد وخفاجة في الأمور العسكرية[٤] لاسيما أثناء منازعاتهم على السلطة. كما أن هناك بعض الواجبات المفروضة على تلك القبائل من قبل سلطة بغداد كالمساهمة الفعلية في معاضدة جيش السلطان والخليفة ضد الأعداء وحماية حدود الدولة[٥]. غير أن دورهم في جيش بغداد كان ثانوياً، ولم يكونوا من العناصر الدائمية. في حين كان الأعراب عنصراً مهماً في جيش المزيديين، وقد أشتركوا معهم في حروب كثيرة. ولكننا لا نعلم

١. ابن الجوزي، ج٩، ص١٥٩؛ الحسيني، أخبار، ص٨٠؛ ابن خلكان، وفيات، ج٢، ص١٨٢؛ ابن القلانسي، ذيل دمشق، ص١٦٠؛ مخطوطة المناقب المزيدية، ص١٤١أ، (المحقق) ج٢، ص٤٥٠.

٢. ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٢٠٩.

٣. من الأعراب أنظر: القرطبي، صلة، ص١٨؛ الروذراوري، ذيل، ص٣٠٣؛ ابن الأثير، ج٩، ص١٦٥ ـ ج١٠، ص١٥٤؛ ابن العديم، زبدة، ج١، ص١١٨، ٢٧٧.

٤. ابن الأثير، ج٩، ص٦٥ وما بعدها، ابن خلدون، م٣، ص٩١٧.

٥. ابن الجوزي، ج٩، ص١٤٣؛ ابن الأثير، ج٩، ص٢٣٩ ـ ج١٠، ص١٤٥.

بالضبط عدد أولئك الأعراب، فقد أورد بعض المؤرخين أرقاماً من أزمنة وأمكنة مختلفة. ففي سنة ٤٠١هـ كان مع علي بن مزيد ألفا فارس[١]. وفي سنة ٤٩٨هـ كان مع صدقة بن مزيد خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل[٢]. وفي سنة ٥١٦هـ أجتمع مع دبيس أربعة آلاف "بأسلحة ناقصة إلا أن رجالته كانت كثيرة"[٣]. وفي سنة ٥١٧هـ كثر عدد الجيش حتى وصل الى عشرة آلاف فارس وأثنى عشر ألف راجل[٤]. وفي سنة ٥٢٣هـ جمع دبيس عشرة آلاف فارس بعد أن كانوا ثلاثمائة فارس[٥]. من كل هذا يظهر أنه ليس هناك عدد ثابت وواضح، مع العلم أن تلك الأرقام كانت عامة، فلا نعلم هل هؤلاء جميعهم كانوا من البدو، فمثلاً الخمسة عشر ألف فارس والعشرة آلاف راجل هل كانوا جميعهم من بني أسد أو من قبائل أخرى، ثم من المحتمل أن يكون بينهم أكراد وأتراك وعناصر أخرى، خاصةً وأن هناك بعض الروايات توضح وجود تلك العناصر فمثلاً في سنة ٥٠١هـ كان مع صدقة عشرون ألف من بينهم قبيلة عبادة وخفاجة والأكراد[٦]. وعندما تمّ إجلاء بني أسد

---

١. ابن الأثير، ج٩، ص٨٣؛ Lambton: Contributions, p. 162.

٢. ابن الأثير، ج١٠، ص١٤٤.

٣. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٣٣.

٤. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٣٢؛ الباهر في الدولة الأتابكية، ص٢٦.

٥. ابن الجوزي، ج١٠، ص١٢؛ ابن كثير، ج١٢، ص٢٠٠.

٦. ابن القلانسي، ذيل، ص١٥٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج، ص٢٦؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص٢؛ دول، ج٢، ص٢١. ذكر أن عدد الجيش عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل.

قتل من العرب أربعة آلاف[١]. وهذا يُظهر أن نسبة العرب كانت كبيرة، أما الأكراد فلا يتعدى خمسة آلاف رجل وعند ذلك فإن الباقي من العدد يتفق تقريباً وما ذُكر سابقاً بعشرة آلاف فارس وخمسة عشر أو إثني عشر ألف راجل. أما العرب فإن بني أسد، القبيلة الأصلية لبني مزيد، يشكلون الأكثرية في الجيش، إذ أنهم عند جلائهم قتل منهم أربعة آلاف رجل، ومن الطبيعي أن المحاربين كانوا جميعاً من بني أسد، فإذا كان عدد القتلى أربعة آلاف فكم كان عدد المحاربين أو المدافعين؟

والظاهر أن أختلاف تزايد جيش المزيديين وتناقصه يرجع الى الظروف السياسية، فالمعروف عن دبيس بن مزيد مثلاً أنه حارب الدولة كثيراً وقد فشل في أكثرها، وهذا له أثر سيئ في نفوس أصحابه ومؤيديه مما يؤدي الى تناقصهم. في حين كان الجيش في عهد صدقة بن مزيد الذي تميز بالقوة والمركز والنفوذ، كثيراً. والترتيب التاريخي لتلك الروايات السابقة، يوضح لنا أن السنوات الأولى، بصورةٍ عامة، تقدم نسباً قليلة إذا ما قورنت بسنوات ٥١٧، ٥٢٣، ٥٥٨هـ ولهذا فإنه من المحتمل أن تكون هجرة القبائل الى المنطقة ومجئ الأعراب في تلك الفترة سبباً في هذه الزيادة، لاسيما وأنهم قد رأوا الأنتصارات الكثيرة، وما أحتلته وأمتلكته كل من قبيلة بني عقيل وبني أسد في منطقة الفرات الأوسط.

---

١. الذهبي، العبر، ج٤، ص١٦٤.

ومن القبائل العربية التي أشتركت في جيش المزيديين، قبيلة بني عقيل فقد أجتمعت معهم سنة ٣٩٢هـ[١] ضد أبي جعفر الحجّاج[٢]. غير أنه لا يمكن أعتبارها عنصراً دائماً في جيش المزيديين، إلا أن تكون أعراب بني عقيل الذين ظلّوا في المنطقة قد شاركوا في الجيش بأسم الأعراب. ومنها أيضاً قبيلة بني خفاجة التي ذُكر أشتراكها عدّة مرات في جيش المزيديين[٣]. ومن المحتمل أنهم شاركوا في مواقع أخرى ضمن الأعراب. وكذلك أشترك بنو عبادة في جيش صدقة بن مزيد سنة ٥٠١هـ[٤]. غير أنه لم نجد لهم ذكراً في الحروب الأخرى، وإن كان من المحتمل أنهم كانوا ضمن الأعراب بصورةٍ عامة. هذه هي القبائل العربية التي أشتركت مع المزيديين، وقد كان دور خفاجة وعبادة أبرز من دور بني عقيل، ولعل ذلك راجع الى أن هاتين القبيلتين قد سكنتا بالقرب من مناطق نفوذ بني مزيد ولهذا دخلتا الجيش المزيدي، والدليل على هذا أنه في سنة ٤٩٩هـ حدثت حرب بين القبيلتين في (الوقف) وهو مكان قريب من الحلّة[٥]. أما قبيلة بني المنتفق فإنها تحالفت مع دبيس بن صدقة سنة

---

١. ابن الأثير، ج٩، ص٦٤.

٢. هو أبو جعفر بن الحجاج بن هرمز نائب بهاء الدولة ببغداد، وهو القائد الذي أعتمد عليه البويهيون في صد غارات القبائل. ابن خلدون، م٤، ص٥٥٠؛ دائرة المعارف (الترجمة العربية) ج٨، ص٣٩٣.

٣. ابن الجوزي، ج٩، ص١٥٦؛ الحسيني، أخبار، ص٨٠؛ ابن الأثير، ج٩، ص١٣١ ــ ١٣٢، ج١٠، ص١٤٩ ــ ١٥٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٣٦؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢١.

٤. ابن القلانسي، ذيل، ص١٥٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج٨، ص٢٦.

٥. ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٨٤؛ ابن الأثير، ج١٠، ص١٥٠.

٥١٧هـ عندما هرب من حربه مع الخليفة، ثم هاجموا البصرة ونهبوها[1] ولم يرد ذكر لمساعدتهم في الحروب الأخرى أو في الجيش المزيدي.

يبدو أن مساعدة القبائل كان يتم بواسطة الرؤساء. فعندما تُذكر القبائل مثلاً يُذكر أسم الرئيس الذي يمثلها فمثلاً يُقال: "سار قرواش الى الكوفة فأوقع بخفاجة[2]" فالمراد قرواش وبني عقيل، وكذلك "سيّر قرواش جمعاً من عقيل الى المدائن"[3]. وهنا يظهر أن الرئيس كان المرجع الأول في نشاط القبيلة، ويُقال أيضاً تحارب قرواش وأبو علي بن ثمال الخفاجي[4] والمقصود بين بني عقيل وبني خفاجة. وكذلك نرى في سنة ٤١٧هـ عندما أجتمع دبيس بن علي بن مزيد الأسدي وأبو الفتيان منيع بن حسان أمير بني خفاجة[5] فالأتفاق حدث بين الأمير المزيدي وأمير بني خفاجة لقتال قرواش. ومن المحتمل أيضاً أن الرئيس كان يقرر شروط الأتفاقات ووقف القتال.

ولمعرفة الطريقة التي أتبعها المزيديون في دفع الأموال الى الجُند، لا بدّ من الرجوع الى ما كان مطبقاً في بغداد ومناطق أخرى. فالسلاجقة مثلاً كانوا

١. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٤٥؛ ابن الأثير، ج١٠، ص٢٣٢؛ سبط ابن الجوزي، ج٨، ص١١١؛ ابن كثير، ج١٢، ص١٩١.
٢. ابن الأثير، ج٩، ص٦٢.
٣. نفس المصدر، ج٩، ص٦٤.
٤. نفس المصدر، ج٩، ص٧٣.
٥. نفس المصدر، ج٩، ص١٣١؛ ابن خلدون، م٤، ص١٠٠٣.

يعطون مراتب شهرية للجُند والقوّاد. ولما أتسعت رقعة الدولة ونقصت أموال السلطان، أتجه التفكير الى منحهم أقطاعات بدلاً من الرواتب ويسمى هذا الإقطاع الحربي[1].

بينما كان الأيوبيون والمماليك يوزعون العطايات، فإذا نشبت الحرب يذهب كل أمير بجماعته الى ميدان الحرب، على أن يتمتع جُند الأمير بثلثي الإقطاع، بينما يتمتع هو بالثلث الباقي[2].

ومع أنه لم ترد روايات تدل على أن المزيديين أقطعوا قوّادهم بعض الإقطاعات، لهذا فمن المحتمل أنهم أتبعوا الطريقتين ولاسيما الثانية في توزيع الأموال على كل أمير أو رئيس قبيلة، ويدل على هذا أن القبائل المشتركة مع المزيديين لم تكن متحمسة كثيراً فقد هربوا في سنة ٥٠١هـ من جيش صدقة، وأصبح هذا وحيداً في المعركة، حتى أن أفراد قبيلته هربوا أيضاً[3].

وهذا يعني أن القبائل لم تكن من الجيش الثابت الدائمي، وكان دخولهم الحرب لأجل الحصول على الغنائم والمكاسب، فهم يقاتلون مع المزيديين وحينما يشعرون بالحرج وضعف جانبهم يهربون من المعركة.

---

1. Lambton: Contributions p. 322; idem Landlord and peasant pp. 53 _ 54, 61 .

٢. سعداوي، نظير حسان، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، ص٢ ـ ٣.

٣. ابن الجوزي، ج٩، ص١٥٦؛ الحسيني، أخبار، ص ٨٠؛ سبط ابن الجوزي، ج٨، ص٢٦.

الأكراد[1]

وهم من العناصر المهمة في جيش المزيديين، وهم فرق عديدة غير أن أهمها بالنسبة للمزيديين هم أكراد الشاهجان[2] والجاوانية[3]. وبينما تكثر المعلومات عن إمارات الأكراد[4] ومناطق سكناهم في الشمال، لم نجد معلومات كثيرة عن هاتين الفرقتين.

هناك بعض الروايات الصريحة التي تبين توزيع الأكراد في المنطقة التي سيطر عليها المزيديون، أو بالقرب منها. ففي سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م حارب علي بن مزيد مضر ونبهان وحسّان وطرّاد من بني دبيس، وكان معه أكراد الشاهجان والجاوانية، وكانت نتيجة المعركة هزيمة بني دبيس ومطاردة علي بن مزيد لهم حتى الحويزة[5]. فالحرب إذن قد جرت بعيداً عن الحويزة، وكان الأكراد عندما أجتمعوا مع بني مزيد في منطقة واسط ـ البصرة، وقريب من مركز بني مزيد وهو النيل. كما أنه في سنة ٥١٢هـ عندما رجع دبيس بن

١. عن فرقهم أنظر: المسعودي، مروج، ج٣، ص٣٥٣؛ التنبيه، ص٧٨ ـ ٨٩؛ محمد أمين زكي، تاريخ الإمارات الكردية.

٢. وقيل الشاذنجان، ابن الأثير، ج٩، ص٩٢؛ وذكرهم ابن خلدون ـ الشاهجان، م٤، ص٥٩١.

٣. المسعودي، التنبيه، ص٨٩؛ بينما ذكرهم ابن الأثير الجوانية، ج٩، ص٩٢.

٤. أنظر: تاريخ الإمارات الكردية.

٥. ابن الأثير، ج٩، ص٩٢، وسمّاهم الشاذنجان والجوانية، والحويزة تقع بين واسط والبصرة وخوزستان. ياقوت، البلدان، ج٢، ص٣٧٢.

صدقة الى الحلّة أجتمع عليه خلقٌ كثير من العرب والأكراد[١] مما قد يدل على أنهم كانوا يسكنون في الحلّة.

وقد ذُكر أن الأكراد قد ساعدوا الزنج أثناء ثورتهم في البصرة سنة ٢٥٥هـ[٢]. وحاربوا بجكم التركي في مدينة واسط، وكانوا يقطنون بالقرب من نهر جوبر الذي يقع بين ميسان والأهواز[٣]. وحاربهم البساسيري في البوازيج[٤]، التي تقع بالقرب من تكريت[٥] فمن المحتمل جداً أن الأكراد سكنوا هذه المناطق ولعبوا فيها دوراً سياسياً مهماً. وقد تكون إقامتهم في تلك الأماكن وقتية.

بالإضافة الى تلك المناطق، هناك بعض الروايات التي تشير الى أنهم كانوا في أطراف بغداد، ففي سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٤م "إنحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى أن بعض الجُند خرجوا الى قرية يحيى فلقيهم الأكراد فأخذوا دوابهم"[٦]. والراجح أنهم أتخذوا من المنطقة الواقعة بين بغداد والكوفة مركزاً لقيامهم بأعمال النهب والسلب، والرواية تؤكد حركاتهم بالقرب من بغداد.

---

١. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٠١؛ أبو الفداء، م١، ج٤، ص١٥٠؛ ابن الوردي، تتمة، ج٢، ص٢٤.
2. .El. (1) vol. p. 1151
٣. المسعودي، مروج، ج٨، ص٣٧٥؛ وذكر ابن الجوزي أن هناك أكراد بين واسط والبطيحة، ج٨ ص٦٠.
٤. ابن الأثير، ج٩، ص٢٢٢؛ ابن خلدون، م٣، ص٩٤٧.
٥. ياقوت، البلدان، ج١، ص٧٥٠.
٦. ابن الجوزي، ج٨، ص٦٠، ٨٨؛ ابن الأثير، ج٩، ص١٦٤.

وكذلك في سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م عندما هرب الناس من بغداد عند مجيء طغرلبك، وقد بلغت أجرة السمارية الى النعمانية عشرة دنانير ونهب الأعراب والأكراد أكثر المشاة[١]. أي أنهم كانوا في المنطقة الواقعة جنوب مدينة بغداد.

كما أن هناك بعض الروايات التي تبين وجود أكراد الشاذنجان على الطريق بين خراسان وبغداد[٢]. ومن ذلك نستطيع القول أن الأكراد الذين أشتركوا في جيش المزيديين جاءوا من خراسان وإيران[٣].

كان لنشاط الأكراد العسكري، ومدى أستخدامهم في الجيش خلال الفترات المعاصرة لظهور بني مزيد أهمية واضحة. ففي فترة الحكم البويهي تنازع الأمراء وأفراد العائلة البويهية على السلطة، كما حدث سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م بين بختيار وعضد الدولة، فقد أتخذ الأكراد جانب عضد الدولة. وفي سنة ٣٧٩هـ "لما عرف فخر الدولة دنوّ عسكر بهاء الدولة من أعمال خوزستان جرّد العساكر للقائهم فسار ابن الحسن خاله... وبدر بن حسنويه في أربعة آلاف من الأكراد"[٤]، أي أنهم كانوا بجانب بهاء الدولة. وفي

---

١. ابن الجوزي، ج٨، ص٢٠٥.

٢. التنوخي، الفرج، ص٣٢٩، ذكرهم (السرنجان) والأصح الشاذنجان.

٣. أنظر: البلاذري، فتوح، ص٣٨٩؛ الطبري، م١، ص٢٦٢، ٢٥٤٣، ٢٧٠٠، م٣، ص١٣٥١.

٤. الروذراوري، ص١٦٩.

سنة ٤١٥هـ كان الأكراد مع أبي الفوارس في حربه ضد أبي كاليجار وكان عددهم حوالي عشرة آلاف مقاتل[١].

ولعب الأكراد الدور نفسه في الفترة السلجوقية، ففي سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م عندما خرج إبراهيم ينال ـ أخو طغرلبك ـ الى بلاد الجبل كان الأكراد مع سعدي بن أبي الشوك[٢]، وهو أحد أمراء الأكراد. وفي سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م ألتحق سعدي مع الأكراد بإبراهيم ينال[٣].

ومع أن هذه التفصيلات بعيدة عن موضوعنا، إلا أنها تُظهر أستخدام الأكراد كعنصر في الجيش في العراق. وهذا يرجع الى شجاعتهم وإخلاصهم في الحرب. فالأمير البويهي أو السلطان السلجوقي عند تنازعه مع أفراد عائلته لا بدّ أنه كان يرتاب من العناصر الأخرى التي تكوّن جيش العدو، وأعتماده على هؤلاء يجعله مطمئناً. وقد حدث هذا عندما أصبحوا الى جانب السلطان محمّد في خلافه مع الخليفة[٤]. فإن كانوا غير مخلصين لما جرأوا على معارضة خليفة بغداد. ومن المحتمل أنهم كانوا يشتركون مع أي جهة تقدم لهم الأموال الكثيرة لأنهم من المرتزقة.

---

١. ابن الأثير، ج٩، ص١٢٧.
٢. نفس المصدر، ج٩، ص١٩٦.
٣. نفس المصدر، ج٩، ص١٩٨.
٤. الحسيني، أخبار، ص١٣٤ ـ ١٣٥.

الأكراد وبنو مزيد

إن أهم الفرق الكردية التي أشتركت مع المزيديين هما فرقتا الجوانية والشاهجان وترجع بداية علاقتهم ببني مزيد الى ما ذكره ابن الأثير سنة ٤٠٥هـ في الحرب بين علي بن مزيد وبني دبيس حيث جمع ابن مزيد العرب والشاهجان والجوانية وغيرهما من الأكراد[١]. ويعني هذا أن أكراداً من قبائل أخرى أشتركوا مع ابن مزيد. وقد أظهروا من البداية جدارةً وإخلاصاً وشجاعةً مما أدى الى أنتصار ابن مزيد[٢]. وقد حفّز هذا الأنتصار علي بن مزيد على زيادة الأعتماد عليهم، كما دفعهم الى زيادة إخلاصهم للمزيديين. ففي سنة ٤٤٣هـ كان الأكراد بجانب ابن مزيد والبساسيري مع الملك الرحيم البويهي، غير أن البساسيري وابن مزيد أنسحبا عن الملك الرحيم لضعف جانبه، وكذلك أنسحب الأكراد معهم[٣]. وفي سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م قام شرف الدولة مسلم بن قريش، صاحب الموصل، بنهب نواحي السواد مما دفع دبيساً والأكراد الى محاربته فحققا الأنتصار أيضاً[٤]. ثم تطور هذا الأتصال العسكري الى أرتباط في الأتجاه السياسي، فعندما أختلف السلطان ملكشاه والسلطان قاورت بعد موت ألب أرسلان مال منصور بن دبيس والأكراد الى جانب

١. ابن الأثير، ج٩، ص٩٢.

٢. نفس المصدر والصفحة.

٣. ابن الأثير، ج٩، ص٢١٤.

٤. نفس المصدر، ج١٠، ص٢٩؛ البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص٤٦.

ملكشاه[1]. وفي الخلاف بين السلطان محمد والسلطان بركيارق وقف صدقة بن مزيد والأكراد الى جانب السلطان محمد بالرغم من تهديد شحنة بغداد لصدقة[2]. ومعنى هذا أن موقفهم أصبح ضد سلطة بغداد بشكلٍ مستمر، مع العلم بأنهم كانوا يعلمون أن موقفهم هذا قد يسبب لهم متاعب مع جيش السلطان، إلا أن إخلاصهم لرئيسهم ابن مزيد دفعهم الى أن يتخذوا ذلك الموقف، ويؤيدوا صدقة الذي قدّم لهم الأموال الكثيرة وقرّبهم ورفع مكانتهم، وهذا ما نراه واضحاً في سنة ٥٠١هـ عندما حارب صدقة الخليفة وكان معه عشرون ألف من عبادة وخفاجة والأكراد، ولكن الأغلبية بمن فيهم قبيلته لاذت بالفرار، وأخذ صدقة ينادي "يا آل عوف، يا آل ناشرة" وهي أنساب قبيلة بني أسد، وفي هذا الوقت كان الأكراد ثابتين معه ويحاربون ببسالة حتى أنه "وعدهم بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم"[3] إن موقفهم في هذه الحرب ليس ضد السلطان فحسب بل ضد الخليفة أيضاً، وكثيراً ما تمرد بنو مزيد أوامر الخليفة والسلطان وحاربوهما ومع ذلك نرى الأكراد يؤيدونهم. ويتضح هذا التعلق بأمراء بني مزيد كثيراً في سنة ٥١٢هـ عندما وافق السلطان محمّد على طلب دبيس بالرجوع الى الحلّة، ولما عاد إليها أجتمع عليه خلقٌ كثير

---

١. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٩؛ البنداري، تاريخ آل سلجوق، ص٤٦.

٢. ابن الأثير، ج١٠، ص١٣٣؛ ابن خلدون، م٣، ص١٠١٠.

٣. ابن الجوزي، ج٩، ص١٠٦؛ الحسيني، أخبار، ص٨٠؛ ابن الأثير، ج١٠، ص١٦٨؛ سبط ابن الجوزي، ج٨، ص٢٦؛ الذهبي، دول، ج٢، ص٢١؛ ابن خلدون، م٤، ص٦٨٠.

من العرب والأكراد[1] وقام دبيس بتوزيع الأموال والسلاح عليهم[2] وهذا يدل على مدى إخلاصهم، وأنهم أصبحوا من العناصر الأساسية في الجيش كما إن إعطاءهم الأموال يؤكد أنهم كانوا من الجنود المرتزقة المتخصصين. ومن الروايات الأخرى التي توضح العلاقة الطيبة بين الطرفين، أن عنتر بن أبي العسكر الكردي[3] الجاواني[4] كان مشرفاً على تربية صدقة بن دبيس[5] وكان مهلهل بن أبي العسكر، أخو عنتر، مشرفاً على محمّد بن دبيس[6].

لقد أصبح الأكراد كتلة قوية لهم بعض الألقاب العسكرية والإدارية ففي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م عندما هاجم الغزّ الموصل طلب قرواش المساعدة من أمراء العرب والأكراد[7] ومعنى هذا انه كان لكل قبيلة أمير كما هو الحال في القبائل العربية. وكانت كلمة أمير تعني ذا الأمر والسلطة[8] وكان هؤلاء

---

١. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٠١؛ أبو الفداء، م١، ج٤، ص١٥٠؛ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤.

٢. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٠٣.

٣. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٤٣؛ سبط ابن الجوزي، ج٨، ص١١٠.

٤. ابن الأثير، ج١١، ص١٥، وينسب الى قبيلة الجوانية الكردية.

٥. نفس المصدر والصفحة.

٦. نفس المصدر، ج١١، ص٢٥.

٧. نفس المصدر، ج٩، ص١٤٥. وكان مهلهل بن أبي العسكر يُلقب بالأمير. الحسيني، أخبار، ص١١٠؛ البنداري، تاريخ، ص١٦٩.

٨. قال ابن منظور: الأمير الملك لنفاذ أمره بين الإمارة (مادة أمر) ج٥، ص٩١. ويعني هذا اللقب على أنه وظيفة ولاة الأمصار التابعة للخلافة الإسلامية، القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج١، ص٧٥؛ حسن باشا، الألقاب، ص١٨٠؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ج١، ص١٣٨.

الأمراء هم الذين يمثلون الأكراد في الأمور المختلفة. ولهم زعيم يُلقب المقـدم[١] وهو لقب عسكري يُستدل منه على أن هناك تنظيمـاً عـسكرياً وأن المقدم كانت له سلطة واسعة وقوية، ففي سنة ٤٥٥هـ توفي أبو الفتح بن ورام مقدم الأكراد الجاوانية وبعد موته قام مسلم بن قريش بأعمـال النـهب في نـواحي بغداد[٢]. ومن هذا نرى أن الأمن كان مستتباً بوجود المقدم وقد أختل بموتـه. وكان عنتر بن أبي العسكر الكردي الجاواني مقدماً لرجالة دبيس بن مزيـد[٣] وهذا يدلنا على أن لقب المقدّم شبيه بلقب القائد عسكرياً أو شـيخ القبيلـة، والظاهر أن هناك مقدماً لكـل قبيلـة فكـان ورام وعنتـر مقـدمين للأكـراد الجاوانية، ومن المحتمل أن هناك مقدماً للأكراد الشاهجانية. كما وصل بعـض الأكراد الى رتبة القائد في الجيش كمهلهل الكـردي[٤]. ويبـدو أن المقـدّم هـو الذي يتولى أمر جماعة أو فرقة بينما يكون القائد المشرف الأعلى للجيش أو القائد العام للأكراد.

غير أننا لم نعثر على معلوماتٍ واضحة فيمـا يخـص تنظيمـات الأكـراد العسكرية وعلاقتهم ببني مزيد، وطبيعة تلك العلاقة. ولهذا فسوف نقارن بين جيوش الفاطميين والأيوبيين والمماليك، وبين ما نحن بصدده فلقد كان تنظيم الجنود الإحتياط عند الفاطميين بإعتبار كل طائفة لها قائدها يراقبـها ويقـوم

---

١. ابن الأثير، ج١٠، ص١٠؛ البنداري، ص٤٦؛ أنظر فصل الإدارة عن المقدم.

٢. ابن الأثير، ج١٠، ص١٠؛ ابن خلدون، م٣، ص٩٧٠.

٣. ابن الأثير، ج١١، ص١٥.

٤. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٣٧.

بترتيبهم في مواقفهم[1]. وكانوا في الصفوف الأمامية من الجيش[2]. أما الأيوبيين فقد كان عسكرهم على نوعين الجُند النظامي والإحتياطي، ويدخل الإحتياط في الحروب مقابل إقطاعات وأموال بعكس الجند النظامي الثابت الدائمي[3]. والجند الإحتياط يتألف من عناصر مختلفة كالأتراك والأكراد، وكان عددهم يقل ويكثر حسب إمكانية السلطان المالية[4].

ومن خلال هذه المعلومات نستطيع القول أن تنظيم الأكراد في جيش المزيديين يُشابه الى حدٍّ ما تنظيمهم في جيش الفاطميين والأيوبيين لأن كلاً منهما يقوم على أساس الجنود المرتزقة، فالأمير المزيدي يقدّم الأموال في أوقات الحروب ولهذا يمكننا القول أيضاً أن كثرة جيش المزيديين في بعض المناسبات كان نتيجة منح الأموال التي تقدم لهم.

أما عدد الأكراد في جيش المزيديين فهو غير معروف، لكنه توجد بعض الروايات التي وردت فيها بعض الأرقام، فمثلاً في سنة ٤٢٧هـ "دخل العيارون في مائة رجل من الأكراد والأعراب والسواد"[5]. ومع أن هذا لا يعدّ مقياساً لعددهم، غير أنه يبين وجود جماعاتٍ منهم بشكل قُطّاع طرق

---

١. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٣٠١ وما بعدها.

٢. نفس المصدر والصفحة؛ وعن المماليك محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس في مصر، ص١٣٥.

٣. سعداوي، التاريخ الحربي، ص٢٩.

٤. نفس المصدر، ص٣٠ ـ ٣١.

٥. ابن الجوزي، ج٨، ص٨٨.

وبأعدادٍ قليلة. وفي سنة ٥٠١هـ كان مع صدقة عشرون ألف فارس من الأكراد والأتراك والديلم والعرب[١]. وهذه أيضاً لا تقدم صورة حقيقية أو تقريبية عن عددهم، غير أنها توضح من جهةٍ أخرى أن نسبتهم غير قليلة. فالأتراك والديلم لم يتردد ذكرهم مع بني مزيد إلا قليلاً، لهذا من الممكن القول أن نسبتهم قليلة في الجيش. أما الأعراب فإنهم يمثلون نسبة عالية، فهناك قبيلة بني أسد وخفاجة وغيرها. ومع ذلك فإن الباقي من العدد يصور لنا نسبة الأكراد أنها كانت غير قليلة.

فالأكراد كانوا يشكلون فرقة عسكرية في جيش المزيديين ربما كانت مثل الفرق العسكرية التي في جيش بغداد المؤلف بعضه من الأتراك والديلم، ومن المحتمل أن بني مزيد أرادوا مواجهة جيش بغداد بمثل تلك القوى فجندوا الأكراد ومنحوهم الألقاب وأغدقوا عليهم الأموال. والراجح أنهم لم يكونوا فرقةً دائميةً في جيش المزيديين. وقد بقي الأكراد يسكنون الجامعين وبالأخص الأكراد الفيليين بعد أن بُنيت الحلّة زمن صدقة.

عناصر أخرى

أما العناصر الأخرى التي أشتركت في جيش المزيديين فمنها التركمان الذين لم يكونوا كتلةً رئيسة. وقد ورد ذكرهم خلال حوادث البساسيري، إذ

---

١. ابن الجوزي، ج٩، ص١٥٦؛ الحسيني، ص٨٠؛ سبط ابن الجوزي، ج٨، ص٢٦؛ الذهبي، دول، ج١، ص٢١.

كان جيشه يتكون من قبائل عربية مختلفة ومن جماعات من التركمان[١] وفي سنة ٥٤٤هـ أجتمع حول ملكشاه وطرنطاي وعلي بن دبيس خلقٌ كثير من التركمان[٢]. إلا أنهم لم يكونوا مع بني مزيد بالذات، فمن المحتمل أنهم كانوا مع البساسيري في الرواية الأولى، لاسيما وأنه مملوك تركي خرج من بغداد ومعه جماعته الأتراك وكانوا يسمون "الأتراك البغداديون"[٣]. أما في الرواية الأخرى فمن المحتمل أن الأتراك كانوا مع ملكشاه أو طرنطاي.

ولعل بداية أستعمال التركمان في الجيش المزيدي تعود الى عهد البساسيري عندما كان بنو مزيد يؤيدونه ويشتركون معه في حروبه، ونتيجة لقتل البساسيري فقد هرب جماعته من الأتراك وأنضموا لبني مزيد.

إن أول رواية تشير الى أشتراكهم مع بني مزيد كانت سنة ٥٠١هـ عندما جمع صدقة بن دبيس عشرين ألف من الأعراب والأكراد والأتراك[٤] أما الثانية ففي سنة ٥١٢هـ عندما هرب الأكراد والأتراك أثناء الحرب مع دبيس بن صدقة[٥]. ومع كل هذا فلازلنا نجهل الكثير عن هؤلاء. ولعلهم كانوا بمثابة جنود أحتياطيين كما في جيوش الفاطميين والأيوبيين، فهم يشتركون عندما تحدث حرباً حيث تدفع لهم الأموال.

---

١. سيرة المؤيد في الدين، ص١٤١ ـ ١٤٢.

٢. ابن الجوزي، ج١٠، ص١٣٧ ـ ١٣٨؛ ابن كثير، البداية، ج١٢، ص٢٢٥.

٣. ابن الأثير، ج٩، ص٢٢٨، ٢٣٥.

٤. الحسيني، أخبار، ص٨٠.

٥. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٠٣؛ ابن خلدون، م٣، ص١٠٢٤.

وقد ورد ذكر الديلم أيضاً في جيش بني مزيد، ولكن لم تكن لهم أهمية خاصة. في حين كانوا من أبرز الفرق في جيش البويهيين، وقد يكون أنتشارهم في البلاد قد وقع عند مجئ البويهيين الى العراق. أما الرواية التي ورد ذكرهم فيها فقد كانت في سنة ٥٠١هـ حين أستجار سرخاب الديلمي، الذي كان مغضوباً عليه من قبل السلطان، بالأمير صدقة بن مزيد، ولما طالب السلطان تسليمه أمتنع صدقة فنشبت الحرب سنة ٥٠١هـ وقد أشترك فيها الأعراب والأتراك والديلم[١] ومع أن هذا غير كافٍ لإعتبارهم عنصراً في جيش المزيديين لأن سرخاب الديلمي كان بصحبة بعض مؤيديه كما يبدو، ومن المحتمل أن يكونوا ديالمة، وعندما حارب صدقة السلطان كان غرضه الدفاع عن جاره سرخاب ولهذا فإن جماعة سرخاب أشتركوا مع جيش صدقة لا على أساس أنهم عنصر من عناصر جيش صدقة، وإنما دفاعاً عن رئيسهم وصاحبهم سرخاب الديلمي.

من كل ما تقدم يبدو أن هذه العناصر كانت أحتياطية، وأنها كانت تشترك مقابل أموال يقدمها الأمير المزيدي.

الأساليب الحربية والأسلحة

لابدّ لنا ونحن نتحدث عن الجيش أن نشير الى بعض الأمور الخاصة بالناحية العسكرية. لقد أتبع المزيديون بصورةٍ عامة في حروبهم الطريقة

١. ابن الجوزي، ج٩، ص١٥٦؛ الحسيني، أخبار، ص٨٠.

الشائعة وهي تقسيم الجيش الى ميمنة وميسرة وقلب، وهناك بعض الروايات التي تصف هذا التنظيم[١]. إلا أن دبيساً في سنة ٥١٧هـ أتبع طريقة جديدة في حربه ضد الخليفة المسترشد. فلقد روى ابن الجوزي أن جيشه بلغ ثمانية آلاف فارساً وعشرة آلاف راجلاً وقد رتّب دبيس جميع جيشه على شكل صف واحد مع ميمنة وميسرة وقلب تحت قياداتٍ منفصلة، وقد وضع الرجالة أمام الفرسان، وجهزهم بالتراس الكبار. أما دبيس فإنه قد وقف في القلب من وراء الرجالة[٢]. ويعتقد (ليفي) Levy أن هذا الترتيب يعد نقصاً كبيراً وذلك لأنه شلّ حركة الرجالة، ويعدّ ذلك فإنه من أهم أسباب أندحاره في تلك الحرب[٣]. ويبدو أن للمزيديين مجلساً لوضع الخطط الحربية[٤].

أما الأسلحة فإنها تختلف بأختلاف المحاربين، فالفرسان يحملون الرماح والسيوف والهراوات ويلبسون الدروع[٥]، وهم يكونون النواة الرئيسة في الجيش، ويخضعون لتدريبٍ خاص. وكان الرجالة يحملون النشّاب والسهام والتراس[٦] التي تستعمل للوقاية من نشّاب العدو. وقد وردت بعض الروايات التي تبين أنهم ألتحموا مع خصومهم في معاركٍ نهرية كما في سنوات

---

١. أنظر: ابن الجوزي، ج٩، ص١٥٦؛ سبط ابن الجوزي، ج٨ ص٢٦.

٢. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٤٢.

3. Levy: An Introduction of the sociology of Islam (1933) vol. (2) p. 305 .

٤. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٣٧.

٥. ابن الأثير، ج١٠، ص١٥٠؛ وأيضاً: Lambton: Contributions, p. 138.

٦. ابن الجوزي، ج٩، صفحات ١٥٦، ٢٤٢؛ وأيضاً: Lambton: op. cit.

٥١٤هـ/١١٢٠م[١] وسنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م[٢]. كما أستعمل المزيديون السلاح النفسي في حروبهم مثل إثارة الفزع في قلوب أهالي القرى والمناطق القريبة وذلك بمهاجمة الحقول وتدمير الزروع، أو أنه بعد تنظيم الجيش يقوم الأمير المزيدي برسم الآمال والمواعيد، وهذا ما حدث في سنة ٥١٧هـ/١٠٢٣م حيث وعد دبيس بن صدقة جماعته بنهب بغداد[٣] وكانوا يصحبون معهم النساء وفرقاً مشجعة كالضاربين على الطبول والنافخين على المزامير[٤].

أما علاقة أمراء مزيد بأفراد عشيرتهم فكانت قوية جداً حتى أنهم كانوا يقدمون أنفسهم للموت بدل أمرائهم، ومما قاله ابن الجوزي أن جماعة دبيس كانوا يقولون في الحرب "فداك يا دبيس ثم يمد عنقه"[٥]. وقد وصف صدقة بن دبيس بأنه كان مخلصاً في نواياه العسكرية[٦].

---

١. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٣٩.

٢. ابن الجوزي، ج١٠، ص١٦٩؛ الحسيني، ص١٣٦؛ البنداري، ص٢٢٩.

٣. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٤٢؛ وأنظر أيضاً عن مثل هذه الأساليب النفسية: Sayar: 'The Empire of the Seljuqids' in J. of Near Eastern studies, vol., 10 p. 277.

٤. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٤٢.

٥. ن.م. ج٩، ص٢٤٣.

٦. ابن القلانسي، ص١٦٠.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الخامس

الإدارة في عهد المزيدين

إن ما طلبه العباسيون من بني مزيد في الأمور الإدارية والمالية هو دفع مبالغ من المال سنوياً تُقرر مقدارها سلطة بغداد كما يبدو، وأن يذكروا أسم الخليفة والسلطان في خطبة الجمعة، وأن يقدموا المساعدات العسكرية الى سلطة بغداد في أوقات الأزمات، وأن يسكّوا إسمهما على النقود، وكان على بني مزيد حفظ الأمن وصدّ غارات القبائل الأخرى، وتأمين طُرق الحُجّاج.

كانت علاقة الخليفة العباسي بالأمراء في العراق، إدارياً، قوية. فقد ذكر ابن الجوزي في سنة ٣٩٦هـ أن الخليفة القادر جلس لقرواش بن المقلد العقيلي صاحب الموصل ولقبه بمعتمد الدولة وأقطعه كوثى ونهر الملك[١]. وفي سنة ٤٦٧هـ جلس المقتدي بأمر الله فوصل دبيس مع الآخرين

---

١. ابن الجوزي، ج٨، ص١٤٧.

لمبايعته[١]. وخلع الخليفة على صدقة بن مزيد خِلعاً لم تُخلع على أمير من قبله[٢]، وأقطعه الخليفة المستظهر مدينة الأنبار ودمما والفلوجة[٣]. وفي سنة ٥٢٣هـ بذل دبيس بن صدقة مائة ألف دينار من أجل الحصول على رضا الخليفة[٤] وفيها أيضاً أرسل دبيس الى الخليفة المسترشد يقول له: "إن رضيت عني رددت أضعاف ما ذهب من الأموال وأكون المملوك"[٥]. كما كانوا - أي الأمراء - يُقبّلون أيادي الخليفة طالبين منه الصفح والعفو عمّا بدر عنهم. كل هذه الأمور تبين أرتباط بني مزيد بالخليفة وإحترامهم له، وتدلل أيضاً على أن القرارات الإدارية كانت تصدر بواسطته بعد أن يوقّع عليها، كما تقدم، ففي سنة ٣٨٦هـ مثلاً عندما أتفق المقلد بن المسيب العقيلي وبهاء الدولة البويهي على شروط الصلح جلس القادر بالله للتوقيع عليها[٦] كما أن الخليفة كان يتدخل في تعيين الموظفين، فقد قبّل الأمير فخر الدين قويدان، قائد الجنود، الأرض بين يدي الخليفة وطلب منه الحلّة[٧] وعندما أخرج الخليفة بني أسد من الحلّة سنة ٥٥٨-٥٥٩هـ أستلمها نوّاب

١. نفس المصدر، ج٨، ص٢٩٢.
٢. نفس المصدر، ج٩، ص٢٣٦.
٣. نفس المصدر والصفحة.
٤. ابن الأثير، ج ١٠، ص٢٤٩.
٥. ابن الجوزي، ج ١٠، ص١٢؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص٥٢.
٦. الروذراوري، ص٢٦٣؛ ابن الأثير، ج٩، ص٤٧.
٧. البنداري، ص٢١٨.

الخليفة[١]. ومع ذلك فقد كان موقفه خلال الفترة البويهية والسلجوقية ضعيفاً، إذ أنه لم يستطع رفض ما يقترحه السلطان الذي كان يتمتع بنفوذٍ واسعٍ وسلطةٍ إدارية كبيرة. كما كانت علاقة أمراء بني مزيد بالسلاطين قوية أيضاً، إذ لا يتم لأحدهم أن يصبح أميراً إلا بعد موافقة السلطان تحريرية، كما أنه لا يقوم بأي عمل ضد مصلحة السلطان. ففي سنة ٤٠٣هـ أرسل علي بن مزيد أبنه دبيساً نيابةً عنه "يسأل ـ السلطان ـ تقليده ولاية عهده وإقرار أعماله في يده... وكتب له المنشور بولايته"[٢]. ومع أننا لم نعثر على نص من منشورات إقرار الولاية، إلا أنه لا بد وأن يتضمن تأييد ولاية الأمير. وفي سنة ٤٠٩هـ عندما أختلفت العشيرة على من يتقلد الإمارة، ذهب المقلّد أخو دبيس بن علي الى بغداد وبذل الأموال للأتراك[٣]. وكان الهدف من ذلك الحصول على تأييد العاصمة والسلطان لإمارته بصورةٍ شرعية.

وهناك روايات أخرى تؤيد تبعية إمارة بني مزيد للسلطان، ففي سنة ٤٧٤هـ أقرّ السلطان إمارة دبيس[٤]. وفي سنة ٤٧٩هـ ولّى السلطان ملكشاه الأمير صدقة ما كان لأبيه من نفوذٍ ومناطق[٥] وفي سنة ٥١٢هـ وافق

١. ابن كثير، ج١٢، ص٢٤٦.
٢. ابن الجوزي، ج٧، ص٢٨٩.
٣. ابن الأثير، ج٩، ص١١٤.
٤. ابن كثير، ج١٢، ص١٢٢.
٥. ابن الأثير، ج١٠، ص٥٦.

السلطان محمود على إمارة دبيس بن صدقة[١] وفي سنة ٥٣٢هـ أقرّ السلطان مسعود محمد بن دبيس أميراً لبني مزيد[٢]. كل ذلك يبين مدى تدخل السلطان ومدى سلطته في جعل الإمارة المزيدية شرعية.

والسلطان هو الذي يمثل الدائرة الرسمية في توزيع الوظائف والإقطاعات ففي سنة ٤٢٠هـ جاءه أبناء ثمال الخفاجي ـ من بني خفاجة ـ لضمان حماية سقي الفرات من بني عقيل[٣]. وفي سنة ٤٩٨هـ ردّ السلطان محمد أمر مدينة واسط الى سيف الدولة صدقة[٤] وفي سنة ٥٢١هـ أقطع السلطان سنجر الحلّة الى دبيس[٥] وكثيرة هي الحالات التي توضح مكانة السلطة والسلطان القوية في الأمور الإدارية.

كما توجد دلائل أخرى تبين مدى الأرتباط بين المزيديين والسلطان، ففي سنة ٤٩٤هـ طلب السلطان بركياروق من صدقة بن مزيد أن يدفع الأموال المتبقية عليه لخزانة السلطان وقال في رسالته: "فإن أرسلتها وإلا سيّرنا العساكر الى بلادك"[٦]. وكذلك حدث سنة ٥٠١هـ عندما أمر السلطان

---

١. ابن كثير، ج١٢، ص١٨٢.

٢. ابن الأثير، ج١١، ص٢٥.

٣. نفس المصدر، ج٩، ص٨٨.

٤. ابن الجوزي، ج٩، ص١٤٣.

٥. ابن واصل، مفرج، ج١، ص٤٨.

٦. ابن الجوزي، ج٩، ص١٢٤؛ ابن الأثير، ج١٠، ص١١٤.

الأمير صدقة أن يسلمه سرخاب بن كيخسرو الذي كان السلطان غاضباً عليه[١]. وكان دبيس "مقيماً في خدمة السلطان منذ عشر سنين"[٢] فضلاً عن أرتباط الأمراء بالسلطان مالياً، فقد كان يحدد مقدار المبلغ الذي يدفعه المزيديون سنوياً[٣]. وهناك روايات عديدة بينت ذكر المبالغ التي يرسلها الأمير المزيدي للسلطان في بعض المناسبات. ففي سنة ٥١٤هـ بعث دبيس زوجته ومعها عشرون ألف دينار للحصول على رضى السلطان، وقد طلب هذا أكثر من ذلك[٤]. وفي سنة ٥٢٣هـ بعث دبيس للسلطان رسالة وثلاثة بغال عليها صناديق المال وخمسة وخمسون مهراً عربية[٥]. ولما سار السلطان في تلك السنة لمحاربة دبيس بذل هذا للسلطان مائتي ألف دينار لكي يرضى عنه، ولكنه فشل في ذلك[٦]، ومن المحتمل أن هذه المبالغ كانت ضمن الأموال المقررة سنوياً على بني مزيد، إلا أنها متبقية عليهم كديون، وعندما يكون الضغط عليه شديداً للمطالبة بها يضطر الأمير المزيدي على دفعها جميعاً أو يلجأ الى دفع قسم منها، وهذا ما حدث زمن صدقة بن مزيد عندما قال له السلطان بركياروق: "قد تخلف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار وكذا وكذا دينار

١. ابن الجوزي، ج٩، ص١٥٦.
٢. البنداري، ص١١١.
٣. أنظر: الروذرواري، ذيل، ص٢٩٥؛ ابن الجوزي، ج٩، ص٢٣٦.
٤. ابن الجوزي، ج٩، ص٢١٨؛ سبط ابن الجوزي، ج٨، ص٩١.
٥. ابن الجوزي، ج١٠، ص١٢.
٦. ابن الأثير، ج١٠، ص٢٤٩.

لسنين كثيرة فإن أرسلتها وإلا سيّرنا العساكر الى بلادك"[١]. وهذا يعني أن تراكم الأموال وعدم الإيفاء بها في مواعيدها ظاهرة تكرر حدوثها عند بني مزيد، والرواية تؤكد أن تلك الأموال التي قدموها الى السلطان كانت ضمن الأموال المقررة عليهم.

إن أكثر الروايات المتقدمة تبين بجلاء علاقة المزيديين بالسلاطين السلاجقة، في حين لم ترد أخبار عن مثل هذه العلاقة في الفترة البويهية وقد يرجع سبب هذا الى أن مركزية الإدارة في الفترة السلجوقية كانت أقوى منها في الفترة البويهية. كما أنها تشير الى مكانة السلطان القوية المستمدة من قوة جيشه وسعة الأراضي التي كان يحكمها[٢]. والشخص الذي يملك هذه السلطة والمكانة، لابد وأنه يكون المصدر الرئيس لكل ما يحدث في بلاده الواسعة.

ومما يجدر ملاحظته من كل ما تقدم، أن هناك خزانة أو مالية خاصة بالسلطان وأخرى خاصة بالخليفة، وهما ـ كما يبدو ـ منفصلتان، وأن ما يدخلهما من أموال ترجع الى ما تدرّه الإقطاعات والأملاك والأمور الأخرى التي يملكها الخليفة والسلطان. ففي الرواية السابقة يظهر أن الأموال التي كان يرسلها صدقة تذهب الى خزانة السلطان الخاصة، إذ يقول له: "قد تخلف

١. ابن الجوزي، ج٩، ص١٢٤؛ ابن الأثير، ج١٠، ص١١٤ ـ ١١٥.

٢. كانت أملاك السلطان محمد في سنة ٤٩٧هـ تمتد من نهر أسبيذروذ الى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام وديار ربيعة ومدينة حلب وما بينها من الجزيرة الفراتية ومن العراق بلاد صدقة ابن مزيد. أنظر: ابن الأثير، ج١٠، ص١٣٨؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص١٣؛ أبا الفداء، م١، ج٤، ص١٣٣ ـ ١٣٤.

عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار[١].." ومن المحتمل أن بعض تلك الأموال كانت تذهب الى خزانة الخليفة. كما أن هناك علاقة بين الخزانتين، فإذا ما أحتاج السلطان الى الأموال فإنه يطلبها من خزينة الخليفة، وهذا ما حدث عندما قطع صدقة بن مزيد الخطبة بأسم السلطان بركياروق، ورفض إرسال الأموال المطلوبة منه، الأمر الذي دفع السلطان الى طلب المساعدة من الخليفة، فساعده بخمسة آلاف دينار[٢]. وقد يقوم السلطان بمصادرة خزينة الخليفة، كما حدث زمن البويهيين والسلاجقة[٣].

سلطات وواجبات المزيديين

لا تذكر الروايات الأولى عن بني مزيد شيئاً عن أرتباطهم بالدولة من الناحية الإدارية والمالية، ولذلك يظهر أن حمايتهم لبعض المدن في منطقة الفرات الأوسط كانت نتيجة لخوف البويهيين من هجمات القبائل على المنطقة. فقد كان مزيد زعيم بني مزيد حامياً لسورا وسوادها دون مقابل[٤].

لقد وصف الخوارزمي الحماية بقوله: "أن تحمي الضيعة أو القرية فلا يدخلها عامل ويوضع عليها شئ يؤدي في السنة لبيت المال في الحضرة أو

١. ابن الجوزي، ج٩، ص١٢٤؛ ابن الأثير، ج١٠، ص١١٤ ـ ١١٥.

٢. ابن الجوزي، ج٩، ص١٢٤.

٣. أنظر: ابن الأثير، ج١٠، ص٥، ١٤؛ الحسيني، ص١٠٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٠٢؛ الدوري، تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص٢٥٠.

٤. ابن الجوزي، ج٩، ص٢٣٥.

بعض النواحي"[١]. الأمر الذي يدل على أن حماية مزيد لسورا وسوادها كان مقابل مبلغ من المال يدفعها لسلطة بغداد سنوياً.

وقد كانت بعض المراكز من منطقة الفرات الأوسط قبل مجيء المزيديين تحت حماية بعض الأشخاص ففي سنة ٣١٢هـ كان جعفر بن ورقاء يتقلد أعمال الكوفة بطريق مكة[٢] وفي سنة ٣٨٦هـ كان المقلد العقيلي حامياً قصر ابن هبيرة وغربي الفرات[٣]

مقابل ألف ألف درهم غياثية سنوياً[٤]. والظاهر أن الحماية أصبحت لبني مزيد بعد بني عقيل، وأنهم قد دفعوا الأموال مقابل ذلك. وأغلب الظن أنهم وضعوا على كل قرية من قرى المنطقة مقداراً من المال يدفعها أهل القرية سنوياً للحامي الذي كان بدوره يجمع ما حصل عليه ويدفعه للدولة، بعد أن يُبقي له نصيباً منها.

والظاهر أن هؤلاء، الذين تقلدوا حماية المنطقة قد أستعملوا نقوداً مختلفة، فبنو عقيل كانوا يدفعون الدراهم الغياثية[٥]، التي قال الروذراوري أن عيارها

---

١. الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٤٠.

٢. مسكويه: تجارب الأمم، ج١، ص١٤٥.

٣. الروذراوري: ذيل، ص٢٨٣.

٤. نفس المصدر، ص٢٩٣.

٥. تنسب هذه الدراهم الى بهاء الدولة أبي نصر الملقب (غياث الأمة أو غياث الدين) وكانت تستعمل في واسط، الروذراوري: ص٢٥٤؛ أنستاس الكرملي: النقود العربية، ص١٣٢؛ Cahen: 'Quelques problemes economiques et fiscaux de L'Iraq Buyids 'in Annales L'institute d'etudes des orientales (1952) vol. 10, p. 340.

كان: "ثمانية ونصف حرفاً في كل عشرة"[١] بينما دفع علي بن مزيد ٤٢٠هـ عشرة آلاف ديناراً سابورية مقابل إعادته للولاية[٢]. وقد أعتبر (كاهين) هذا الدينار نفسه الدينار النيسابوري[٣] الذي يعادل سبعة عشر قيراطاً[٤]. الذي أقصده من ذلك أنهم استعملوا النقود المستعملة في بغداد وهذه كانت متنوعة. وكانت هذه النقود تُحمل الى بغداد، كما فعل دبيس بن صدقة سنة ٥٣٠هـ حين أرسل ثلاثة بغال تحمل صناديق المال[٥].

فحماية مزيد لمنطقة سورا وسوادها كان مقابل أموال تقرر مقدارها الدولة، وهناك عدّة روايات تؤيد ذلك ففي سنة ٣٨٧هـ طلب بهاء الدولة البويهي المال من علي بن مزيد ولكنه رفض وقطع خطبته وخطب لصمصام الدولة[٦]. وهذه الرواية تبين وجود شرط مالي على بني مزيد، ولكنها لا توضح مقدار المال وهل كان ثابتاً أم لا؟ ويتضح هذا كثيراً في سنة ٣٩٣هـ حين قرر عميد الجيوش البويهي أربعين ألف دينار سنوياً على علي بن مزيد

١. الروذراوري: ص٢٥٤.
٢. ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.
٣. Cahen: op. cit, p. 330 وقد تردد أستعمالها أيضاً سنة ٤٢٣هـ ابن الجوزي: ج٨، ص٦٥. وسنة ٤٢٥هـ ابن الجوزي: ج٨، ص٧٨. وكانت النيسابورية من النقود المشهورة والتي أعترف الخليفة بها، ابن الجوزي: ج٨، ص٨٨.
٤. مخطوطة الحاوي في الحساب: ص١٠٩ب.
٥. ابن الجوزي: ج١٠، ص١٢.
٦. الروذراوري: ص٢٩٥.

لقاء تصرفه بشؤون بلاده[١] وهذا يدل على أتباع طريقة مالية خاصة، وهي أن إدارة المنطقة كانت بمثابة دفع إيجار أو ضمان عنها. كما أنها تدل على سيطرة ابن مزيد على تلك المنطقة وأنه أصبح الحامي الشرعي لها.

كان لإرتباط المزيديين ببغداد وإرسالهم الأموال إليها، أثر كبير في مالية أو ميزانية العاصمة، ففي سنة ٤٩٤هـ عندما قطع صدقة بن مزيد الخطبة لبركياروق أرسل هذا الى الخليفة يقول له: "بأن المطالب قد أمتنعت ولا بدّ من إعانتنا بشيء نصرفه الى العسكر فتقرر الأمر على خمسة آلاف دينار"[٢] ويعني أن قطع الأموال والضرائب قد أثّر على خزينة السلطان والخليفة.

والظاهر أن المبلغ الذي كان يدفعه المزيديون غير ثابت، فتارةً يرتفع وأخرى ينخفض ففي سنة ٤٢٠هـ هرب دبيس بن علي الى نجدة الدولة الذي تكفّله لدى سلطان بغداد بعشرة آلاف دينار إذا أُعيد الى ولايته[٣]. وهذا المال لم يكن ضمن الضريبة السنوية بل كان وسيلة لإرضاء السلطان، إذ أنه في سنة ٤٧٤هـ تقرر على منصور بن دبيس دفع أربعين ألف دينار سنوياً كما في السابق[٤]. ثم كان في سنة ٥١٥هـ عندما ضمن دبيس ابن صدقة

١. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦؛ ابن كثير: ج١١، ص٣٣٢.
٢. ابن الجوزي: ج٩، ص١٢٤؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١١٤ ـ ١١٥.
٣. ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.
٤. البنداري: ص٦٧.

الحلّة بألف دينار وفرس يومياً[1] فقط، وتعادل ثلاثمائة وستين ألف دينار وثلاثمائة وستين فرساً سنوياً، ومن المحتمل أن هذا المبلغ لم يكن وقتياً، وهو يختلف عن الأموال السابقة بكونه على الحلّة فقط، بينما كانت الأموال السابقة على عدّة مراكز حضرية في المنطقة، مما يدل على أهمية الحلّة بالنسبة لغيرها من المدن. وبذلك نستطيع تقسيم الضرائب المالية على بني مزيد الى ما قبل تأسيس الحلّة حيث كان الضمان أربعين ألف ديناراً سنوياً أما بعد تأسيسها فقد أرتفع الضمان نتيجة لتوسع المزيديين وسيطرتهم على مناطق واسعة. كما يُحتمل أن المبلغ المذكور كان مرتبط بالظروف السياسية، خاصةً وأن حياة دبيس كانت مضطربة سياسياً ومهددة وأنه إن لم يقدم الأموال المغرية للدولة فقد تلجأ الى أن تسلبه أملاكه. والدليل على هذا ما كان سنة ٥٤٧هـ حين ضمن مهلهل بن أبي العسكر الحلّة بتسعين ألف دينار سنوياً[2] وهو أقل من المبلغ السابق بكثير، ربما يرجع الى الهدوء والإستقرار الذي تميزت به فترة مهلهل.

وعلى أغلب الظن أن أرتفاع أموال الضمان وإنخفاضها يرجع الى ما يطلبه السلطان من الأمير المزيدي، والى وضع الدولة العام، لذلك كانت غير ثابتة.

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٢٥.

٢. ابن الجوزي: ج١٠، ص١٤٨.

والضمان في العُرف المالي العباسي هو تكفّل المنطقة[١] وما تحتاج إليه من إصلاحات وأعمال لقاء مبلغ من المال. وقد ذكر الصابي أهم الأعمال التي يقوم بها الضامن فعليه أن "يُنفق على كري الأنهار وحراسة البزندات والبَثوق"[٢] وعليه حفظ الأمن والإستقرار. والمعروف أن الضامن قد يضمن عدّة مناطق ففي القرن الثالث الهجري، في عهد الخليفة المعتضد، كان أحمد ابن محمد الطائي ضامن أعمال سقي الفرات ودجلة وجوخى وواسط وكسكر وعدّة طساسيج[٣] وكان للضامن الحق في جمع ناتج المنطقة المضمونة والتصرف به حسبما يشاء، وأحياناً قد لا يرسلها الى بغداد، كما حدث في سنة ٣٠٩هـ حين منع حامد بن العباس حمل خراج العراق وخوزستان وأصفهان الى بغداد مما أدى الى أرتفاع الأسعار فيها[٤]. ويُحتمل أن هناك بعض الأنظمة والقوانين التي تُحدد من ذلك التصرف. إلا أن المقصود، بما قدمناه، بيان سلطة الضامن الذي يستطيع أن يحتكر الناتج مما يؤدي الى شحة عرضه في السوق وبذلك ترتفع الأسعار التي تعود فائدتها له. وبيّن

١. فقد جاء في كتب اللغة أن الضمان يعني كفالة الشئ. أنظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط (مادة ضمن) ج٤، ص٢٤٣؛ ابن منظور: (مادة ضمن) ج١٣، ص٢٥٧؛ الزبيدي: تاج (مادة ضمن) ج٩، ص٦٥. وأستعمله ابن الأثير في هذا المعنى عندما هرب دبيس سنة ٥٢٣هـ فإن السلطان أستدعى الأشخاص الذين ضمنوه، ج١٠، ص٢٤٩.

٢. الصابي: الوزراء، ص٤٠؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٢٩ وما بعدها.

٣. الصابي: ص١٥.

٤. القرطبي: صلة الطبري، ص١٨٥ متز: ج١، ص٢٢٩.

الصابي أيضاً أن الضمان يجوز لأي شخص، فمما يُحكى عن الوزير أبي الحسن بن الفرات قال لأحد الكُتّاب: "إنما يرغب في عقد الضمان على تاجر ملي أو عامل وفي أو تان غني فأما أصحاب الحروب فعقد الضمان عليهم"[١].

وكان تقدير مال الضمان سنوياً عادةً، فقد قُرر على علي بن مزيد سنة ٣٩٣هـ دفع أربعين ألف دينار سنوياً لقاء تصرفه بشؤون بلاده[٢]. ويبدو أن الدولة كانت تتدخل في حالة عدم دفع الضامن المبلغ المقرر -كما لاحظنا في تهديد بركياروق لصدقة - كما أنها تتدخل في حالة عدم رضى الناس على الضامن.. فقد حدث في فترة علي بن دبيس بن صدقة حينما أشتكى الناس منه عند السلطان، فأرسل السلطان أحد أتباعه بدلاً من علي بن دبيس[٣].

والظاهر أن الضامن أصبح مظهراً من المظاهر التي قد تؤدي الى أنفصال المنطقة عن العاصمة في الأمور الداخلية والإدارية والمالية (عدا ما قام به السلطان من تعيين بعض الموظفين على الحلّة) ويكون أرتباطها بالعاصمة في السياسة الخارجية وفي تكوين الجيش، غير أنه قد يقف متولّي الضمان ضد الحكومة المركزية.

لقد بدأ ضمان بعض المدن في منطقة الفرات الأوسط منذ القرن الثالث الهجري فكان ضمان أعمال الكوفة وقصر ابن هبيرة وباروسما الأعلى

---

١. الصابي: ص٨٢؛ متز: ج١، ص٢٣٠.

٢. ابن الجوزي: ج٧، ص٢٢٣.

٣. ابن الأثير: ج١، ص٥٠.

والأسفل في كل يوم سبعة آلاف دينار وفي كل شهر ستة آلاف دينار[١]. وهذه الرواية تُظهر رخاء المنطقة وأهميتها. فمبلغ سبعة آلاف دينار يومياً يعادل مليوني دينار سنوياً تقريباً عدا الزيادة الشهرية البالغة ستة آلاف ديناراً شهرياً ـ والمبلغ في الواقع فيه مبالغة كثيراً ومن المحتمل أنه غير صحيح ـ في حين كان المزيديون مسيطرين على مراكز عديدة من تلك المنطقة ولكن لم تبلغ الأموال المقررة عليهم مثل ذلك، وهذا الأمر يُظهر ضعف الإدارة في الفترة البويهية والسلجوقية، فقد كان هدف الأمير الحصول على الأموال بصورة رئيسة.

كما كان العقيليون ضامنين لمناطق أخرى في الفرات الأوسط قبل مجيء المزيديين مثل الكوفة وقصر ابن هبيرة والجامعين[٢] وفي سنة ٣٨٦هـ أو ٣٨٧هـ[٣] تصالح المقلّد العقيلي مع بهاء الدولة البويهي على بعض الشروط ومن بينها أن يحمل المقلد عشرة آلاف دينار الى بهاء الدولة كهدية، ولا يأخذ بهاء الدولة سوى رسم الحماية، وأن يقدم المقلد ألف ألف درهم غياثية سنوياً، مقابل تلك الحماية[٤]. وهذا يدل على وجود ضريبة أخرى عدا ما يحصل عليه الحامي من جباية الناتج، والظاهر أن الحماية والضمان تعنيان

---

١. الصابي: ص١٤؛ ربما ستة آلاف ألف دينار أو سبعة آلاف درهم يومياً.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص٤٧.

٣. الروذراوري: ص٢٩٣.

٤. نفس المصدر والصفحة؛ ابن الأثير: ج٩، ص٤٧.

نفس المعنى، فقد ذكر الخوارزمي أن الحامي عليه أن يدفع مقدار من المال سنوياً للعاصمة[١].

إذن فقد كان الضمان المذكور يمثل نوع العلاقة الإدارية بين السلطان والأمير المزيدي، كما أن هناك نوعاً آخر من الضمان بين الأمير المزيدي وغيره من الأمراء. ويرجع هذا الى أتساع نفوذ بني مزيد وسيطرتهم على بعض المناطق، فحينما سيطر صدقة على واسط والبطيحة، فقد ضمن واسطاً الى مهذب الدولة ابن أبي الجبر صاحب البطيحة بخمسين ألف ديناراً سنوياً[٢] ويبدو أن صدقة لم يستطع إدارة بلاده بعد توسعها، بصورةٍ مباشرة. فكان هذا الضمان يشمل نفس الشروط والواجبات التي كانت بين السلطان والآخرين، فعليه حماية واسط والقيام بالأعمال العمرانية، كما أنه عليه أن يقدم للأمير المزيدي مبلغاً كل سنة. وكان للأمير المزيدي الحق بأتباع أي وسيلة ردع في حالة تأخر الأموال المقررة دفعها، وحدث هذا عندما أنفق أبناء مهذب الدولة، صاحب البطيحة الأموال وأنقضت السنة ولم يقدموا المبلغ الذي في ذمتهم، مما جعل صدقة يطالب صاحب البطيحة بالمال، وأخيراً سجنه[٣].

---

١. الخوارزمي: مفاتيح، ص٤٠.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٤١؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص١٣٤؛ ابن الوردي: ج٢، ص١٥.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٣ ـ ١٦٤؛ ابن خلدون: م٤، ص٦٠٤ ـ ٦٠٥.

ويبدو أن الضامن كان يدفع المال المقرر عليه سنوياً عن المنطقة كلها، وله الحق فيما يحصّله من فائض، فمثلاً عندما دفع المزيديون الأربعين ألف ديناراً أو التسعين ألف ديناراً على المنطقة كلها، لا يكون للسلطان الحق في التدخل بما يحصله الأمير المزيدي إذا أراد تضمين أو تأجير بعض الأجزاء منها للآخرين إلا أننا لا نعلم هل كان يجوز تغيير مبلغ الضمان؟

وهناك نوع آخر من الضمان، يمكن تسميته بالضمان الجزئي أو الداخلي فقد رويت رواية عن سوق الغزل في قصر ابن هبيرة سنة ٤١٥هـ أن نصفه كان مضموناً بسبعمائة دينار والنصف الآخر بألف دينار[١]، وهذا يعني أن ضامن المدينة أو المنطقة له حق تضمين الأسواق والأراضي مقابل مبلغ من المال سنوياً. ويُحتمل أن ضامن السوق عليه تحصيل المبلغ من المحلات والإيجارات، وعليه أيضاً تنظيم السوق. إلا أن هذا الضمان يختلف عن الضمان بين الأمير المزيدي والسلطان، أو الأمير المزيدي والآخرين، فالأول يمثل جانباً إقتصادياً بالدرجة الأولى، بينما كان الضمان الآخر يمثل جانباً سياسياً فضلاً عن وجود علاقة إقتصادية.

أما الإقطاع، فإن المعنى اللغوي له كأن تقول: "أقطعني إياها أي أذن لي في أقتطاعها، وأقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج، وأقطعه نهراً أي أباحه له"[٢] وقال الخوارزمي: "الإقطاع أن يقطع السلطان رجلاً فتصير له

---

١. ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤. عن هلال بن المحسن في كتابه بغداد.
٢. ابن منظور: ج ١٠، ص١٥٣؛ وما بعدها (مادة قطع)؛ الزبيدي: تاج، ج٥، ص٤٧٤.

رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائعاً.. والقطيعة تكون لعقبه من بعده"[١].
ولأبي يوسف نفس الرأي فقد قال: "وكل من أقطعه الولاة المهديون أرضاً من أرض السواد وأرض العرب والجبال.. فلا يحلّ لمن يأتي بعده من الخلفاء أن يرد ذلك ولا يخرجه من هو في يده وارثاً أو مشترياً فأما أن يأخذ الوالي من يد واحد أرضاً وأقطعها آخر فهذا بمنزلة الغاصب"[٢] والإقطاع نوعان إقطاع تمليك وغير تمليك[٣]، ويمكن الإقطاع في البلاد التي "لا ملك لأحد فيها ولا عمارة فيها لأحد"[٤] من كل ما تم عرضه فالإقطاع ملك لصاحبه وهو وراثي، ولصاحبه الحق بإقطاعه من يشاء، ولا يجوز للدولة أن تتدخل في ذلك، وإذا ما أعترضت الدولة أو أسترجعت الإقطاع فإنه يعدّ أغتصاباً.

وقد أقطع الخليفة والسلطان للمزيديين بعض الإقطاعات، ففي سنة ٤٤١هـ أقطع الملك الرحيم دبيس بن مزيد حماية نهر الصلة ونهر الفضل[٥].
وأقطع الخليفة صدقة بن مزيد الأنبار ودمّما والفلوجة[٦]. من هذا يتضح وجود إقطاعات خاصة بالخليفة وأخرى خاصة بالأمير البويهي، لأن الخليفة

١. الخوارزمي: مفاتيح، ص٤٠.
٢. أبو يوسف: الخراج، ط٢، ١٣٥٢هـ ص٦٠.
٣. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص١٨٣؛ ابن منظور: ج١٠، ص١٥٣ وما بعدها؛ الزبيدي: تاج، ج٥، ص٤٧٤ (مادة قطع).
٤. ابن منظور: ج١٠، ص١٥٣؛ الزبيدي: تاج، ج٥، ص٤٧٤.
٥. ابن الأثير: ج٩، ص٢٠٧؛ ابن خلدون: م٤، ص٥٩٥.
٦. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦.

في الفترة البويهية جُرّد من أكثر صلاحياته وأصبح لـه موظـف إداري فقـط "يدبر إقطاعاته وإخراجاته"[١] ويظهر أن كِلا الإقطاعين كانـا منفـصلين عـن بعضهما وللخليفة أو الأمير البويهي الحق بمنحه الى من يشاء. كما كان للأمير المزيدي بعض الإقطاعات ضمن أملاكه، ففي سنة ٤٤٥هـ عنـدما حـدثت الحرب بين دبيس بن علي وأخيه، وكانت نتيجتها الصلح بين الطـرفين علـى أن يقطع دبيس أخاه إقطاعـاً[٢]. والظـاهر أن إقطـاع الأمـير المزيـدي كـان مستقلاً، إذ لم ترد إشارة الى أعتـراض الدولـة أو تدخلـها في الأمـر. ومـن المحتمل أن تكون الإقطاعات التي يملكها المزيديون هي نفس الأقطاعات التي منحها الخليفة أو السلطان لهم.

وفي القرن الرابع الهجري عندما كانت الدولة لا تستطيع دفع رواتب الجند والقوّاد والوزراء لذا أتبعت طريقة جديدة وهي توزيع الإقطاعات عليهم كما فعل الأمير البويهي معز الدولة سنة ٣٣٤هـ[٣]، ويسمى هذا النـوع بالإقطـاع الحربي[٤]. إن البـويهيين لم يأخـذوا بفكـرة بقـاء الإقطاعـات الوراثيـة لـدى

١. ابن الأثير: ج٨، ص١٦١؛ السيوطي: تـاريخ الخلفـاء، ص٣٩٧؛ القرماني: أخبـار الأول وآثـار الدول، ٢٦٩.

٢. ابن الأثير: ج٩، ص١٦٣.

٣. مسكويه: ج٦، ص١٤٣.

٤. Lambton: Landlord and Peasant in Persia (1958) p. 61 وقـد عـددت البروفيـسور لامبتون أنواعاً أخرى من الإقطاع في الفترة السلجوقية مثلاً: (١) إقطاع ممنـوح لأفـراد العائلـة السلجوقية (٢) الإقطاع الإداري (٣) الإقطاع الحربي (٤) الإقطاع الممنوح للموظفين بـدلاً مـن رواتبهم (٥) الإقطاع الشخصي. أنظر: Lambton: Contributions, p. 219.

المقطعين، فقد كان هنالك ديوان يعرف بديوان المرتجعة القائم على أسترجاع الضياع والإقطاعات من الناس[١].

لهذا فإن إقطاعات الخليفة أو الأمير البويهي الى بني مزيد تحتمل عدّة وجوه، إما أنهم قد وهبوها لهم نتيجة لخدمات سياسية أو إجتماعية. أو أنها أعطيت لهم نتيجة للظروف السياسية وخوفاً من أعتداء القبائل على الدولة. أو أن الدولة كانت بحاجة الى أموال ومساعدات فكانت تعطي الإقطاعات وتبيعها. غير أنه ما دام إقطاع بني مزيد إقليماً فمن المحتمل أن يكون إقطاعاً حربياً.

موضوع الإقطاع يجرّنا الى معرفة هل أن الإقطاع كان مقابل مبلغاً من المال أم لا؟ ففي سنة ٣٩٦هـ أستعاد الخليفة ما كان لعلي ابن مزيد من كوثى ونهر الملك وقدّمها الى بني عقيل[٢]، فالرواية تبين تدخل الدولة في الإقطاع بينما كان هذا من الناحية القانونية غير مشروع، ومن المحتمل أن يكون تدخلها لسببٍ مالي كأن يكون في دفع بني عقيل مثلاً أموالاً أكثر مما كان يدفعه بني مزيد ولذلك فقد أستعادت الإقطاعات من بني مزيد ومنحتها لبني عقيل. ولعل إقطاعات بني مزيد كانت من قبيل المنح والهبات عندما تلمس الدولة مساعدة من الطرف المقابل، أو في الفترة التي يكون هذا الطرف قوياً وعندما تظهر قوة أخرى منافسة قد تحتاجها الدولة أكثر من أحتياجها

---

١. القرطبي: صلة، ص١٤٥.

٢. ابن الجوزي: ج٨، ص١٤٧.

لبني مزيد فإنها تُسقط حق بني مزيد وتحوّل ما أعطته إليهم الى هذه القوة الجديدة.

من هذا كلّه يظهر أن الفرق بين الإقطاع والضمان والحماية، هو أن الإقطاع وراثي ينتقل الى أبناء المُقطَع له ولا تشترط في المقطع أن يقدم مبلغاً من المال سنوياً تقرر مقداره الدولة. في حين كان الضمان والحماية مقابل أموال سنوية مقررة. وفي الحماية والضمان يلعب عامل المنافسة للحصول على مناطق الآخرين، كما حدث بين قبيلتي خفاجة وعقيل سنة ٤٠٢هـ فقد وجّه بنو خفاجة أعيان عشائرهم ليضمنوا حماية سقي الفرات التي كانت لبني عقيل[1]. أي أن الضمان أو الحماية لم تكن وراثية قانونياً. ويتشابه الإقطاع والضمان والحماية في أن جميع الأطراف عليها بعض الواجبات التي ينبغي تنفيذها في المنطقة المقطعة والمضمونة. غير أن الواجبات التي يقوم بها المقطع هي من مستلزمات الأرض المقطعة إذا أراد أن يُحييها، أي أنها لم تكن مفروضة من الدولة. أما الضامن أو الحامي فإنه يجب عليه القيام بتلك الواجبات ككري الأنهار وحراسة الجسور والبثوق. وكانت الحكومة تعيّن موظفاً مشرفاً الى جانب الضامن "يرى إن كان يتحصل له زيادة على ضمانه"[2] وهذه الصفة لا توجد في الإقطاع.

---

١. ابن الجوزي: ج٨، ص١٤٧؛ Lambton: Landlord, p. 53, 61, 62, 63.؛ الدوري: تاريخ العراق، ص٢٧ ـ ٣٧.

٢. متز: ج١، ص٢٢٩.

كان أمراء بني مزيد يقومون بالجباية في المنطقة التي يضمنونها. والجباية تعني جمع الأموال المقررة على الأراضي الزراعية[١]. لقد قام بعض أمراء بني مزيد بجباية الأموال بأنفسهم، ففي سنة ٥١٥هـ خرج دبيس بن صدقة من الحلّة الى النيل وأخذ منها الميرة[٢]. وفي سنة ٥٢٣هـ جمع دبيس الغلّة وقسّط على القرى الأموال حتى جمع خمسمائة ألف دينار[٣]. ولا شك أن قيام الأمير نفسه بجباية الأموال كان في أوقات وحالات أستثنائية حرجة. فالأمير دبيس كان مغضوباً عليه وكان مطلوباً من قبل السلطان، وكان بحاجة ماسة الى الأموال، لاسيما وأنه قد خطط على الهرب من الحلّة، ولهذا فليس لديه الوقت الكافي لجباية الضرائب كما كان الأمر في الأحوال الإعتيادية، وقيامه بتقسيط الضرائب خير دليل على ذلك، لأنه أراد جمع المال وكان موقفه حرجاً لا يساعد على الأنتظار حتى يحين موعد الجباية. أما في الأوقات الإعتيادية، فإننا لم نعثر على رواية تبين أن الأمير شخصياً كان يتولى هذا العمل[٤]. فلنرجع إذن الى من قام بها في بغداد. ففي سنة ٥١٦هـ عندما تغلب

١. الفيروز آبادي: القاموس (مادة جبى) ج٤، ص٣١٠؛ الزبيدي: ج ١٠، ص٦٥.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٢٧.

٣. قال ابن الجوزي: خمسمائة دينار، ج١٠، ص١٢. بينما ذكر الذهبي: خمسمائة ألف دينار، العبر، ج٤، ص٥٢؛ دول، ج٢، ص٣٣. وهذا ما ذهب إليه ابن كثير: ج١٢، ص٢٠٠. وأعتقد أنه الصحيح.

٤. هناك موظف لدبيس بن صدقة يلقب بالخازن الذي ربما يقابل أمين الصندوق، غير أنه لا يدل على قيامه بجباية الأموال. أنظر: سبط ابن الجوزي: مرآة، ج٨، ص٦٨.

دبيس على منطقة نهر الملك وأراد القبض على القائد البرسقي فإنه بعث الى الخليفة معتذراً له، وأكد بأنه لم يتعرض لنهر الملك ولم ينهبه، وطلب من الخليفة إرسال الناظر ليأخذ دخل القرى في نهر الملك[1]. فالناظر هو الموظف المختص بجباية الأموال، ولا يستبعد أن يكون مثله موجوداً في إدارة المزيديين، وأنه كان يقوم بجمع الأموال وجباية الضرائب في الأوقات الإعتيادية.

والظاهر أن هناك طريقة التقسيط في حالة عدم تمكن أهل القرية من دفع المبلغ بصورةٍ كاملة وفي أوقات محددة، أو في حالة عدم إستكمال الفصل، وقبل نضوج الناتج، فيضطر المزيديون على تقسيط المبلغ. كما قام به دبيس من تقسيط الأموال على القرى، ويُحتمل أن هذه الأقساط كانت منتظمة، وأنها بمثابة دين يُدفع في أيّ وقت. ولا شك أن الضرائب كانت تُفرض على القرية بصورةٍ عامة، الأمر الذي يوضح وجود رئيس أو شيخ لتلك القرية يهتم بجمع الأموال وتسليمها الى الأمير المزيدي. ولكننا نجهل مقدار الجباية ومدى إشراف سلطة بغداد على هذه الأمور، وهل أن المقطع يفرض المبلغ الذي يريده أم أنّ هناك تحديداً لذلك؟

موضوع الجباية يتطلب معرفة التقسيمات الإدارية لمنطقة الفرات الأوسط، وذلك لمعرفة المركز والأقسام التابعة له. فقد كانت أغلب هذه المنطقة منذ

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٢٨.

القديم مقسمة الى بهقباذات[١]، وكان كل بهقباذ يضم عدداً من الطساسيج. فكانت الطساسيج التابعة للبهقباذ الأعلى هي طسوج بابل وخطرنية، وطسوج الفلوجة العليا والسفلى وطسوج النهرين وطسوج عين التمر[٢] وكان من بين الطساسيج التابعة للبهقباذ الأوسط طسوج سورا وبريسما وباروسما[٣].

فقد ورد ذكر طسوج خطرنية مع طسوج بابل منذ أوائل العصر الإسلامي[٤] وورد ذكره خلال العصر الأموي[٥] وفي العصر العباسي قلّد الوزير الحسن بن الكرخي بابل وخطرنية الى مظفر بن مبارك[٦] وأشتهر هذا الطسوج مع طسوج بابل بأنتاج بعض المحاصيل الزراعية كالحنطة والشعير[٧].

---

١. كان قباذ بن فيروز والد آنو شروان قد كوّر هذه البهقباذات، وتشمل البهقباذ الأعلى والأوسط والأسفل. ويسمى البهقباذ بالأرض الخيرة دليل على خصوبته. أنظر: الدينوري: الأخبار، ص٦٨؛ اليعقوبي: تاريخ، ج١، ص٢٠٢؛ ج٢، ص١٦٣؛ الطبري: م١، ص٢٠٥١، م٢، ص٦٣٥، ٩٢٢؛ أبا يوسف: الخراج، ص١١٨. El. (2) vol, 1 p. 1210.

٢. ابن خرداذبة: ص٨؛ قدامة: ص٢٣٦؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٣٣؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٧٠.

٣. ابن خرداذبة: ص٨.

٤. أنظر: الدينوري: الأخبار، ص٦٦؛ البلاذري: فتوح، ص٢٦٥، ٤٥٧.

٥. الطبري: م٢، ص٥٢٠، ١٩٦٠؛ المسعودي: مروج، ج٦، ص٥٩.

٦. الصابي: الوزراء، ص١٨٩.

٧. أنظر: ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧.

أما طسوج النهرين الذي أخذ أسمه من موضع قريب من الكوفة أسمه (النهرين)[١] فقد ورد ذكره خلال العصر الأموي، كما ذكر العلامة الحلّي في القرن الثامن قرية الجازية وأعتبرها من قرى النهرين[٢]. مما يدل على أستمرار بقاء الموضع. وأشتهر الطسوج أيضاً بأنتاج الحنطة والشعير[٣]. وورد ذكر طسوج الفلوجة العليا والسفلى[٤] خلال الفتح الإسلامي[٥]، وقد حدّد اليعقوبي موقع الفلوجة العليا، بأنها تبعد أربعة وعشرين فرسخاً عن الكوفة[٦] وأما السفلى فإنها تقع غربي قصر ابن هبيرة وتبعد عنه بحوالي سبعة فراسخ[٧]. ويقع طسوج الفلوجتين بالقرب من طسوج الجامعين[٨] وأشتهر أيضاً بإنتاج الحنطة والشعير[٩].

١. أنظر: ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج٢، ص٢١٨؛ البلاذري: فتوح، ص٢٥٤، ٢٦٥؛ الطبري: م١، ص٢٠٥٢، ٢١٨٤، ٢٤٨٥، م٣، ص٢١٢٤؛ المسعودي: التنبيه، ص٣٣١.

٢. رجال العلامة الحلي، ص١١٧ وما بعدها.

٣. أنظر: ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧.

٤. وتسمى الفلوجة الصغرى والفلوجة الكبرى، وكذلك الفلاليج، أنظر: الدينوري: الأخبار، ص١٢١؛ البلاذري: فتوح، ص٢٦٥؛ الطبري: م١، ص٢٠٥٢، ٢٠٥٧؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٩١٦؛ مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٠٤٣.

٥. أنظر: البلاذري: فتوح، ص٢٥٤؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص١٧٦؛ الطبري: م١، ص٢٠٥١، ٢٠٥٧، ٢٠٥٨؛ الصولي: أدب الكتاب، ج٣، ص٢٢٠.

٦. اليعقوبي: تاريخ، ج١، ص٤١١.

٧. اليعقوبي: البلدان، ص٣٠٩؛ قدامة: ص١٨٥.

٨. سهراب: عجائب الأقاليم، ص١٢٥.

٩. أنظر: ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧.

غير أن المعلومات عن هذه البهقباذات والطساسيج تقل في القرون المتأخرة، وفي العهد المزيدي بالذات، مما قد يدل على أختفاء تلك التقسيمات الإدارية أو أندثارها.

ومن المراكز الإدارية الأخرى في منطقة الفرات الأوسط قصر ابن هبيرة، الذي عُدّ من المدن التابعة لبغداد إدارياً[١] ويوجد فيه بعض العمال[٢] وقضاة وكُتّاب[٣]، ووالي للصدقات[٤] وكانت سورا من مدن الكوفة[٥] فيها دار للخراج وعمّال[٦]، وقاضٍ[٧]. مما يدل أنها كانت مركزاً إدارياً. وأعتبر المقدسي الجامعين من مدن الكوفة[٨] أيضاً. وكانت منبراً صغيراً[٩]، وهو من الشروط التي يجب توفرها في المدينة، لهذا أعتبرها ياقوت كورة ومدينة الحلّة قصبة لها[١٠] وكان لمدينة الحلّة بعض القرى والأماكن المرتبطة بها إدارياً، وتقع بالقرب منها،

١. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٥٣.
٢. أنظر: الطبري: م٣، ص١٦٢٤؛ عريب القرطبي: صلة، ص٥٤؛ مسكويه: تجارب، ج١، ص١٧٦.
٣. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤.
٤. الصابي: ص٢٥٤.
٥. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٥٣.
٦. الطبري: م٢، ص٩٥٥.
٧. ابن الجوزي: ج٧، ص١٧٨.
٨. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٥٣، ١١٤.
٩. الإصطخري: مسالك الممالك، ص٨٧.
١٠. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢.

مثل الصروات[١]، وحصن بشير[٢] والمشترك[٣]، كما أنه يوجد بعض القرى والأماكن المرتبطة بمدينة النيل مثل الأميرية[٤]، والمنقوشية[٥] وزاقف[٦]. وهذا كله يدل على أن كلاً من مدينتي الحلّة والنيل كانتا مركزاً إدارياً، سيما وأنه يوجد في الحلّة قاضي قضاة وقضاة[٧]. وفي مدينة النيل شُحنة[٨]. وفي بابل قاضٍ[٩] ومن المحتمل أن تلك القرى كانت محيطة بالحلّة والنيل، وأن الغلّة كانت تجمع منها وتنقل الى المركز غير أننا ينبغي أخذ تعبيرات المقدسي بشئ من الدقة وذلك لعدم معرفة بعض معانيها، فمثلاً جعل مدينة القصر إحدى مدن بغداد وهي تبعد حوالي أثني عشر فرسخاً عن بغداد، في حين لا يعدّ "الجامعين" القريبة من القصر من مدن بغداد أيضاً، بل من مدن الكوفة ثم أن القصر ـ كما سنلاحظ ـ تأسس قبل بغداد، فكيف كان أرتباطه بها؟ مع العلم أنه مركز إداري كما بيّنا. وكذلك الحال مع مدينة سورا. ونجهل أيضاً هل أنه قصد بهذا الإرتباط أرتباطاً إدارياً أم شيئاً آخراً؟

---

١. نفس المصدر: ج٣، ص٣٨٣.
٢. ابن جبير: الرحلة، ص١٩١.
٣. ياقوت: البلدان، ج ٤، ص٥٣٧.
٤. نفس المصدر: ج ١، ص٣٦٥.
٥. نفس المصدر: ج ٤، ص٦٧١.
٦. نفس المصدر: ج ٢، ص٩٠٨.
٧. ابن الجوزي: ج٩، ص١١٨ ـ ١١٩، ٢١٧؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص ٧١.
٨. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٢٧.
٩. ابن قطلوبغا: تاج التراجم في طبقات الحنفية، ص٧٦.

ونظراً لتعرضنا الى موضوع الحماية والضمان، لا مندوحة لنا من الإشارة الى الخدمات والواجبات الملقاة على عاتق الضامن أو الحامي، فضلاً عن دفعه الأموال سنوياً.

فمن الواجبات المفروضة على القبائل، حراسة الأماكن العامة المهمة، كما كان بنو خفاجة يحرسون الآبار القريبة من رصافة هشام في القرن الثاني الهجري[1] وكما ذكر أن عضد الدولة البويهي قد راسل المسيب العقيلي ووجوه بني عقيل قائلاً لهم: "من لم يضمن أكابركم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا العراق ويحموا مواد الفساد صرفناكم عن ممالكنا"[2] وبذلك تكون حماية الطرق من الفساد وقُطّاع الطرق من الواجبات الأخرى التي ينبغي أن تقوم بها القبيلة أو الضامن لأن بني عقيل كانوا قد ضمنوا منطقة الفرات الأوسط قبل بني مزيد. وبما أن طرق الحج والطرق التجارية كانت ذا أهمية حيوية كبيرة، وأن أضطراب الأمن فيها قد يهدد ذلك المورد الإقتصادي للدولة، لهذا كانت الدولة تحرص كثيراً على ضبط الأمن على تلك الطرق. والرواية السابقة تبين أن القيام بتلك الواجبات كان إجبارياً.

كان على بني مزيد خدمات وواجبات متنوعة. ففي سنة ٤٠٤هـ "عاثت خفاجة ببلاد الكوفة فبرز إليهم نائبها أبو الحسن بن مزيد"[3] وفي سنة

---

١. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٧٨٥ (عن الأصمعي).

٢. الروذراوري: ذيل، ص٥٥.

٣. ابن كثير: البداية، ج١١، ص٣٥٢.

٤٩٨هـ أقطع السلطان محمّد الكوفة للأمير قايماز ثم أوصى صدقة بن مزيد حماية أصحاب قايماز من خفاجة فلبى هذا الطلب[١] ومن الواجبات الأخرى نرى في سنة ٤٥٠هـ الخليفة أمر دبيس بن مزيد "بالوصول الى بغداد فورد إليها في مائة فارس"[٢] وفي سنة ٤٩٨هـ أستدعى السلطان محمّد الأمراء ومن بينهم صدقة وقال لهم حاجبه: "أن السلطان يقول لكم بلغنا نزول الأمير أرسلان بن سليمان بديار بكر وينبغي أن تجتمع آراؤكم على من يتجهز لقتاله"[٣] وبذلك فإن الواجبات المطلوبة على بني مزيد كانت عسكرية بالدرجة الأولى. ولكن رُبّ سائلٍ يقول بأن الكوفة كانت تابعة له وأن محاربته خفاجة لا يعني كونه واجباً مفروضاً عليه من الدولة، وإنما كانت دفعاً لتهديد وقع على بلاده. ومهما كان الأمر فإنه يعتبر ضامناً لبلاده من الدولة وهو كفيل ونائب عنها، ومن ثم فإن محاربة قبيلة خفاجة يدل على أنها من الواجبات المقررة عليه أيضاً، وهذا ما تصرّح به الرواية الأخرى عندما طلب السلطان حماية أصحاب قايماز الذي عُيّن على الكوفة. فكان بإمكان صدقة رفض ذلك الطلب لو لم يكن من واجباته، لاسيما وأن الموظف قد جاء الى منطقة مجاورة له، وكانت من بلاد آبائه. أما الروايات الأخرى فإنها توضح واجب بني مزيد في المشاركة الفعلية في الجيش.

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٤٨.

٢. نفس المصدر: ج٩، ص٢٣٩.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص١٤٣؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٤٥.

ومما له علاقة بذلك ما قاله عماد الدين زنكي لأصحابه: "قد ضجرنا مما نحن فيه، كل يوم يملك البلد أمير، ويؤمر بالتصرف على أختياره وإرادته، فتارةً نحن بالعراق وتارةً بالشام وتارةً بالموصل وتارةً بالجزيرة"[١]. تبين هذه الرواية أن الأمراء كانوا يلبون طلبات السلطان، على أعتبار أنها واجبات يجب تنفيذها، وأنهم كانوا يشعرون بالملل والضجر. ومع أنه لم يطلب من أمراء بني مزيد مثل هذا التنقل، إلا أنهم أستجابوا لمطاليب السلطان بمساعدة الشخص الفلاني عسكرياً، أو محاربة القبيلة الفلانية. إذ أن عماد الدين والأمراء المزيديين متشابهون من حيث قيامهم بالواجبات المفروضة عليهم، لأنهم مرتبطون بسلطة بغداد في مجالات متعددة.

وأخيراً لا بدّ من معرفة أمر آخر، وهو المجالات وأوجه صرف الأموال التي تجبى، فالضرائب تجبى الى الأمير المزيدي ـ وهذا ما لاحظناه عندما جمع الأمير دبيس حوالي خمسمائة ألف دينار من القرى المحيطة بالحلّة[٢] ـ وهو الذي يقوم بتسديد الأموال المقررة عليه، كما سبق، ومن المحتمل أنه كان يقوم بتوزيع بعضها على أصحابه. وكان أيضاً يقوم بالأعمال العمرانية التي تتطلبها المنطقة. كما كان الخليفة يقوم ببعض هذه الأعمال أيضاً، خاصةً وأن الحلّة مثلاً تعتبر محطة رئيسة في طريق الحجّاج، فقد شيّد جسر الحلّة الضخم[٣]،

---

١. ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٣٠.

٢. ابن الجوزي: ج١٠، ص١٢؛ الذهبي: العبر، ج٤، ص٥٢.

٣. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٩.

لغرض تسهيل عبور الحجّاج. كما بنى الأمير المزيدي دبيس قنطرة على نهر الملك[١] وقام صدقة بن مزيد بشراء مكان من عرب البطيحة على بعد أيام من الكوفة، وأنفق عليه أربعين ألف دينار، وكان منزل يتعذر الوصول إليه، وعمّر الحلّة وبنى لها سوراً وحفر خندقاً وأنشأ فيها البساتين[٢] كل هذا يبين أن الأمراء المزيديين كانوا يقومون بتلك الأعمال الإصلاحية والعمرانية.

كان للسلطان إقطاعات خاصة به، وهو يقرر ضمانها وحمايتها ومقدار المبلغ الذي يدفعه الحامي أو الضامن، وكان يُشرف على إدارة البلاد، ولابد أنه يتدخل في تعيين الموظفين الإداريين في الحلّة وما هو جوارها من المناطق. ففي سنة ٤١١هـ عندما هُزم قرواش "مدّ نوّاب السلطان أيديهم الى أعماله"[٣] وفي سنة ٥٠١هـ حينما قُتل صدقة بن مزيد تصرف كُتّاب الدولة السلطانية في أعماله[٤]. وخلع السلطان محمّد سنة ٥٠٢هـ على سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة بن مزيد وولاه الحلّة السيفية[٥] كل هذا يدل على أن السلطان له نفوذ واسع في تعيين وأختيار الموظفين.

لقد تسلم سعيد بن حميد ولاية الحلّة، ويعني أنه أصبح والياً عليها. والولاية هي: "الإمارة على البلاد فيولي السلطان أو الملك من يقوم مقامه في

---

١. ابن الجوزي: ج٨، ص١١٤.

٢. نفس المصدر: ج٩، ص٢٣٦.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص١٢٠؛ أبو الفداء: م١، ج٤، ص٤٩؛ ابن الوردي: ج١، ص٣٣٣.

٤. البنداري: ص٩٤. جعل قتل صدقة سنة ٥٠٠هـ والأصح ٥٠١هـ.

٥. ابن الأثير: ج١٠، ص١٧٨.

حكومة الولايات وهي الأعمال"[١] فسعيد بن حميد أصبح المتصرف في شؤون الحلّة الإدارية والداخلية من قبل السلطان، ومرتبط به في الأعمال التي يقوم بها. والظاهر أنه كان كالحاكم المؤقت في الحلّة، وعليه واجب تهدئة الأوضاع بعد قتل صدقة سنة ٥٠١هـ والسلطان لا يمكنه ترك الحلّة بيد المزيديين لئلا يلجأوا الى القوة وأخذ ثأر الأمير صدقة. لاسيما وأن سعيداً كان صاحب جيش المزيديين وله إطلاع على أحوال الحلّة. لذلك فإن الولاية كانت وظيفة سياسية على الأكثر. فضلاً عن هذه الوظيفة فقد كان للسلطان شحنة في مدينة النيل، وتوضح الرواية أن دبيس بن صدقة قد طرده سنة ٥١٥هـ من النيل[٢]. ونرى مثل هذه الوظيفة سنة ٥٥١هـ حين سيّر السلطان محمّد الى الحلّة والكوفة والبصرة وواسط شحناً ومقطعين وولاة ومتصرفين[٣] وفي سنة ٥٥٦هـ كان الأمير قيصر شحنة على الحلّة من قبل السلطان[٤] وكذلك عيّن صدقة بن مزيد شحنة على البصرة[٥].

---

١. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مصر، ١٩٠٢م، ج١، ص١٠٨. وعرّف اللغويون هذه الوظيفة بأنها تعني الإمارة والسلطان، والوالي هو الذي يملك جميع الأشياء ويمتاز بالقدرة والتدبير والفعل. أنظر: ابن منظور: (ولى) ج٢٠، ص٢٨٧ وما بعدها؛ الزبيدي: تاج (مادة أولى) ج١٠، ص٣٩٩، ٤٠١.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٢٧.

٣. البنداري: ص٢٢٧.

٤. ابن الأثير: ج١١، ص١١٢.

٥. نفس المصدر: ج١٠، ص١٥٠.

ولهذا فلا ضير من التكلم قليلاً عن هذه الوظيفة، فقد قال الفيروز آبادي: "أن الشُحنة في البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان"[١] ثم أورد أنّ "قول العامة في الشحنة أنه الأمير غلط"[٢] وأنّ "شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان"[٣] يظهر من كل هذا أن الشحنة يشبه ما يسمى حديثاً بالحاكم العسكري الذي يتولى ضبط الأمن، وتتمثل فيه القوة والتدبير والكفاية ويوجد أيضاً شحنة للشرطة[٤]، ويختص بالشرطة وضبط الأمن الداخلي، ففي سنة ٤٧٩هـ قُتل أحد الأشخاص بالكرخ لهذا "ركب الشحنة وكبس دار الطاهر نقيب الطالبيين وقد كان لجأ إليها جماعة من المتهمين"[٥] وفي سنة ٥٠٠هـ قتل صبي أخته "فركب الشحنة وخرّب المحلة"[٦] وكان للشحنة معاون ونائب عنه[٧]. والظاهر أن مثل هذا الموظف موجود في الحلّة، يعينه السلطان في الأوقات التي لم يكن في الحلّة أو المنطقة شخص يديرها، كأن يهرب الأمير المزيدي أو يقتل.

---

١. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، (مادة شحنة)، ج٤، ص٢٣٩.

٢. نفس المصدر والصفحة. وللشحنة واجبات مختلفة منها حماية المدينة، والمحافظة على الأمن، وفي بعض الأحيان يقوم الشحنة بجمع الضرائب. أنظر: Lambton: Contributions, p. 277, 282.

٣. ابن منظور: (مادة شحنة) ج٧، ص٩٨؛ الزبيدي: تاج، ج٩، ص٢٥١؛ أيضاً أنظر: EI. (2) (Djaysh) by Cahen.

٤. الصابي: الوزراء، ص٢٧.

٥. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٦.

٦. نفس المصدر: ج٩، ص١٤٨.

٧. نفس المصدر: ج٩، ص٢٢٣.

كما فوّض السلطان سنة ٥٢١هـ الى بهروز الخادم[١] مدينة بغداد والحلّة[٢] والتفويض يعني حاكماً على تلك المنطقة[٣]. وهو، كما قلنا يكون في الأوقات التي تكون فيه الحلّة أو غيرها من المدن التابعة دون أمير.

وكذلك هناك عدّة روايات تبين دور السلطان ومدى هيمنته على الوظائف الإدارية قال البنداري أنّ الحلّة وما جاورها خاضعة لتصرف نوّاب السلطان والأمير المجاهد بهروز الخادم[٤]. ففي سنة ٥٢٦هـ كانت الحلّة بيد إقبال المسترشدي أحد موظفي السلطان[٥] وفي سنة ٥٤٢هـ أصبحت الحلّة بيد سلار كرد[٦]، أقطعه إياها السلطان مسعود[٧]. وفي سنة ٥٥١هـ كانت الحلّة للأمير قويدان[٨] وفي نفس السنة بعث السلطان محمّد الى الحلّة والكوفة عدّة موظفين من مقطعين ومتصرفين وولاة[٩] وفي سنة ٥٦٨هـ تسلم يزدن الحلّة[١٠]

١. بهروز الخادم الخصي الملقب مجاهد الدين، وكان شحنكية بغداد، وأصبح نائباً للسلطان فيها. ابن الجوزي: ج١٠، ص٥، ١٧٨؛ البنداري: ص١١١.

٢. ابن الجوزي: ج١٠، ص٥.

٣. الفيروز آبادي: (مادة فوّض) ج٢، ص٣٤٠؛ ابن منظور: (مادة فوّض) ج٩، ص٧٥.

٤. البنداري: ص١١١.

٥. ابن الجوزي: ج١٠، ص٢٧.

٦. سلار كرد وقال الحسيني سلارجور بن الزهيري الكردي من أكابر الأمراء السلطانية. ابن الأثير: ج١١، ص٦٥ ـ ٦٦؛ الحسيني: ص١٢٩ ـ ١٣٠.

٧. ابن الأثير: ج١١، ص٥٠.

٨. قويدان هو الأمير فخر الدين قائد الجنود الذي أصبح حاجب السلطان غياث الدنيا والدين. ابن الأثير: الباهر، ص١٠٨؛ البنداري: ص٢١٨.

٩. البنداري: ص٢٢٧.

١٠. ابن الأثير: ج١١، ص١٥٩.

كل ذلك يُظهر أتساع نفوذ وسلطة السلطان وتدخله في تعيين الموظفين المختلفين في الحلّة وغيرها من المدن، وكثير من هؤلاء ممن تسلم الوظيفة في الوقت الذي كانت فيه الحلّة تابعة لأمراء بني مزيد، وفي عهد بعض أمرائها الأقوياء مثل صدقة، ودبيس، ويبدو أن تسلمهم إدارة الحلّة كان في ظروف أستثنائية، مثلاً حينما يهرب الأمير المزيدي في الحرب، أو عندما يغضب عليه السلطان أو الخليفة، لذلك تبقى الحلّة دون أمير يديرها، فيعين السلطان موظفاً له معرفة وإلمام بتلك الوظيفة. أما الأمراء المزيديون فإنهم في الغالب كانوا يطردون ذلك الموظف بعد محاربته، كما حدث بين دبيس وبهروز الخادم الذي أضطر الى الهرب تاركاً الحلّة لدبيس[1] وكذلك بين دبيس وإقبال المسترشدي. وفي سنة ٥٤٢هـ أستطاع علي بن دبيس أمتلاك الحلّة وإخراج سلار كرد عنها[2].

ونتيجة لوجود عدّة وظائف في الحلّة كالشحنة أو المقطع أو المتصرف، فيُحتمل أن لكل موظف أختصاصه في العمل، فالشحنكية للأمور العسكرية، والمقطعون للأمور الإقتصادية والوالي والمتصرف للشؤون الإدارية. ويُحتمل أنهم كانوا يأخذون رواتبهم من السلطان، لأنه هو الذي يعينهم. ولعل الأمير المزيدي هو الذي كان يعطي رواتب الموظفين الذين يُعينون في البلاد.

---

١. نفس المصدر: ج١٠، ص٢٤٩.

٢. ابن الجوزي: ج١٠، ص١٢٥.

والظاهر أن السلاطين كانوا يختارون الموظفين الصالحين، فمن المزايا التي تمتع بها سعيد بن حميد العمري الذي ولاه السلطان محمّد الحلّة سنة ٥٠٢هـ أنه كان "صارماً حازماً ذا رأي وجلد"[١] وكان من أصحاب صدقة وقائد جنده[٢]. لذلك كان له إلمام ومعرفة بمتطلبات الحلّة وواقفاً على أمورها الداخلية. وفي زمن بهروز الخادم سنة ٥٢٣هـ أصبحت "الرعايا آمنة والأذايا مأمونة"[٣]. وكان سلار كرد من أكابر الأمراء السلطانية[٤]. وكان قويدان قائد الجند في بغداد[٥]. أي أنهم كانوا من المقربين للسلطان ومن ذوي المناصب العالية في العاصمة، ولهم تجربة وممارسة إدارية.

وكان في الحلّة، الى جانب أولئك الموظفين، بعض الوظائف الأخرى، فقد كان للأمير صدقة حاجب أرسله الى البصرة لتسلم شرطتها، وخدم هذا كحاجب أبا صدقة وجدّه[٦]. مما يدل على وجود هذه الوظيفة قبل صدقة. ثم أن تسلم الحاجب وظيفة الشرطة في البصرة يستوجب أحد أمرين، أولهما أنه قام بأعمال صاحب الشرطة الى جانب وظيفة الحجبة في الحلّة، وثانيهما أنه المهيمن على هذه الوظائف. ولعل المقصود بحاجب صدقة الشخص المختص

---

١. ابن الأثير: ج١٠، ص١٧٨.
٢. نفس المصدر: ج١٠، ص١٦٤.
٣. البنداري: ص١١١.
٤. الحسيني: ص١٢٩ ـ ١٣٠.
٥. البنداري: ص٢١٨.
٦. ابن الأثير: ج١٠، ص١٥٠.

به، وإليه ترجع بعض الأمور الإدارية، وعن طريقه تصل الأخبار الى القوّاد وبقية الموظفين، وبالمفهوم الحديث يُقصد به الشخص المتنفذ بالنسبة الى الرئيس[١].

وكان في الحلّة وظيفة صاحب الجيش أو مقدمه. وكان سعيد بن حميد العمري يتولاها زمن صدقة[٢]. والمقدم يقصد به القائد[٣]. وقيل من الألقاب المركبة، وهو الذي يقود ألفاً من الجنود[٤]. والراجح أن هذه الوظائف كانت دائمية، لأنها عسكرية ولما كانت الصفة العسكرية هي البارزة عند المزيديين، فإنه يستلزم وجود مثل هذه الوظائف. ويُحتمل أن هذه الوظائف كانت في الحلّة فقط دون مدن المنطقة الأخرى، لأنها المركز الرئيس للمزيديين. وتوجد في الحلّة أيضاً وظيفة الخازن[٥] الذي يعتبر كالمشرف على خزينة الأمير

---

١. هناك عدّة أختصاصات للحاجب، فكان يقصد به المختص بالأمير والذي له الحجابة والخاتم، الجهشياري: ص١٨٠؛ ابن منظور: (مادة حجب) ج١، ص٢٩٠. أو البواب: ابن الجوزي: ج٩، ص٢٥٩ ـ ج١٠، ص٤؛ الفيروز آبادي: (مادة حجبه) ج١، ص٥٢. أو المراسل الذي ينقل الأخبار: ابن الجوزي: ج٩، ص٨٤. ويوجد حاجب للمخزن: ابن الجوزي: ج٩، ص٢٢٥. وكان عدد الحجاب في دار السلطان ٤٨٠ حاجباً. محمد بن عبد الملك الهمذاني: تكملة، ج١، ص١٢٣. وكان للمقتدر ٧٠٠ حاجب. القلقشندي: صبح، ج٤، ص١٩.

٢. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٤؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات، ج٤، ص٢.

٣. ابن منظور: (مادة قدم) ج٥، ص٣٦٧؛ الزبيدي: تاج، ج٩، ص٢١.

٤. حسن باشا: الألقاب الإسلامية، ص٤٨٧ ـ ٤٨٨.

٥. قد يعني الخازن الجهبذ الذي يمثل البنك، الخوارزمي: مفاتيح، ص٣٧. وكذلك يعني خازن المال. أنظر: مسكويه: ج١، ص١٧١؛ محمد بن عبد الملك الهمذاني: ج١، ص٥١؛ ابن منظور: (مادة خزن) ج١٦، ص٢٩٧. ويعني أيضاً خازن الديوان، الصابي: ص١٨٥. وخازن الملابس. محمد بن عبد الملك الهمذاني: ج١، ص٢١٣. وخازن الكتب، ابن الجوزي: ج٩، ص٤٣.

وأمواله، ومن المحتمل أن تكون أمتيازاته أوسع من ذلك، مثل النظر في أمور الجباية والإنتاج. وهناك وظيفة الدواتي، وهو الذي يحمل الدواة للكاتب[١].

وفي الحلّة يوجد كذلك القضاة وجماعة من الفقهاء الذين يشكلون مجلساً للنظر في القضايا والأحوال الشخصية، فعندما أعترض دبيس بن مزيد سنة ٥١٢هـ على الخليفة المسترشد، لأنه صادر أبيه في بغداد وضمها الى الجامع، فقد قرر قاضي القضاة والفقهاء أنه لا يحق للخليفة ذلك[٢]. وفي سنة ٥١٤هـ أرسل دبيس القاضي أبا جعفر عبد الواحد أحمد الثقفي المشرف على أعمال الكوفة والبلاد المزيدية الى الأمير إيلغازي ليخطب أبنته[٣]. وهذا يعني أن قاضي القضاة والقاضي مستقلان عن بغداد، لأنهما عارضا الخليفة بإصدار فتوى تمنعه من أخذ الدار. والظاهر أن هؤلاء من الحلّة، وأن الأمراء المزيديين كانوا يشرفون على تعيينهم وإعطائهم الرواتب.

كما كانت هناك وظائف في بعض مدن منطقة الفرات الأوسط. ففي قصر ابن هبيرة يوجد بعض العمّال مثل نجوبة بن قيس الذي كان عاملاً من قبل ابن طاهر في سنة ٢٥١هـ[٤] والعامل أبي بكر الكريزي سنة ٣٠٣هـ[٥]. وكان

---

١. أنظر: غرس النعمة: الهفوات النادرة، تحقيق الأشتر، دمشق، ١٩٦٧م، ص٢١٤.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص١٩٨ ـ ١٩٩؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٧١.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص٢١٧.

٤. الطبري: م٣، ص١٦٢٤؛ مسكويه: ج١، ص١٧٦.

٥. القرطبي: صلة، ص٥٤.

الحسن بن محمّد القصر المعروف بابن زياد والي الصدقات في القصر[١]، وفيه أيضاً قُضاة وكتّاب[٢] وتولّى الحسن بن علي بن محمّد ابن أبي الفهم أبو علي التنوخي القضاء في القصر وسوراً سنة ٣٤٩هـ[٣] وقال ابن قطلوبغا أنه تقلّد القضاء في القصر وبابل[٤] وفي مدينة النيل يوجد شحنة عيّنه السلطان[٥] إن كل هذه الوظائف تعتبر أساسية ومهمة في إدارة المنطقة، وهي توضح أيضاً أن بعض هذه المدن كانت مراكز إدارية فيها العمّال وموظفو الصدقات والكتّاب. وعلى الأرجح فإن بعض هذه الوظائف بقيت موجودة في الحلّة وبعض أعمالها.

١. الصابي: ص٢٥٤.
٢. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤.
٣. ابن الجوزي: ج٧، ص١٧٨.
٤. ابن قطلوبغا: تاج التراجم في طبقات الحنفية، ص٧٦.
٥. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٢٧.

الفصل السادس

أعمال المزيديين الحضرية والعمرانية في منطقة الفرات الأوسط

١ـ الناحية العمرانية في المنطقة

كان للمزيديين أثر واضح في التبدلات العمرانية التي طرأت على عدد من المراكز الحضرية في منطقة الفرات الأوسط، وذلك بإتخاذهم النيل والجامعين ثم الحلّة مركزاً لهم. لهذا لا بدّ لنا من معرفة أشهر هذه المواضع الموجودة في المنطقة قبل أن يتخذها المزيديون مراكز إدارية وحضرية.

بابل

هي المدينة المشهورة ذات التاريخ العريق[1]. وقد ورد ذكرها في المعارك الإسلامية الأولى في سنوات ١٣هـ[1]، و ١٥هـ[2].

---

١. أنظر عن بابل في التاريخ: المسعودي: مروج، ج١، ص٧٨؛ التنوخي: الفرج، ج١، ص١٨؛ الأصطخري: مسالك، ص٨٦؛ ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٤؛ أبا الفداء: تقويم البلدان،

ووصفها المسعودي بأنها تقع: "على شاطئ نهر من أنهار الفرات بأرض على ساعة من المدينة المعروفة بجسر بابل ونهر النرس"[٣] وروى أيضاً أن نمرود بن ماش قد بنى الصرح ببابل وجسر بابل على شاطئ الفرات[٤]. وقال أيضاً: "بلغ الوليد بن عقبة عن رجلٍ من اليهود من ساكني قرية من قرى الكوفة مما يلي جسر بابل"[٥]. ولعل النهر الذي قصده المسعودي في الرواية الأولى هو نهر سورا[٦]، الذي قال عنه سهراب أنه: "يمر بين مدينة بابل ويمر بالجامعين"[٧]. وهو يتفرع من الفرات، وأن مرور النهر بين المدينة يجعلها منقسمة الى قسمين لذلك فمن المُحتمل أنهما المدينتان اللتان قصدهما المسعودي.

الروايات المتقدمة توضح وجود قرية تعرف ببابل، وأخرى أسمها جسر بابل، ويُحتمل أن تكون الأولى أقدم من الثانية، وأنه بعد تأسيس الجسر

ص٣٠٣. أنظر أيضاً: Obermeyer: Die Landschaft Babylonien im zeitalter des Gaonates, p. 301-306. Rogers: A History of Babylonia, vol. 1, p. 294.

وأنظر أيضاً مقالة الدكتور صالح أحمد العلي: منطقة الكوفة دراسة طوبوغرافية مستندة الى المصادر الأدبية، ص٢٣٢.

١. الطبري: م١، ص٢١٧٧.

٢. ن.م. ص٢٤٢٠.

٣. المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص١١٥.

٤. ن.م. ج١، ص٧٨.

٥. ن.م. ج٤، ص٢٦٦.

٦. سهراب: ص١٢٥.

٧. نفس المصدر والصفحة.

نشأت تلك التي أُطلق عليها جسر بابل. وبهذا المعنى قال المقدسي عن بابل: "إنها نائية وبعيدة عن الطريق والجادة على جسرها"[١] فقوله بعيدة ونائية لا يتفق مع قوله والجادة على جسرها إلا إذا كان الجسر بعيداً عن المدينة، أو أن المقدسي قد قصد القرية القديمة التي أصبحت بعيدة عن الجسر، وفي هذه الحالة يكون الظرف ملائماً لنشوء مدينةٍ أخرى قرب الجسر، لأهمية الجسر في التجارة والمرور والتنقل.

كما أن هناك ما يدل على وجود موضعين يحملان نفس الأسم، فقد ذكر ابن حوقل: "كانت مدينة بابل قديماً وهي الآن قرية صغيرة"[٢]. وقال القرماني أنها: "كانت مدينة كبيرة وهي الآن خراب وقد صار موضعها قرية صغيرة على شاطئ الفرات"[٣] فيُحتمل أن تكون هذه القرية التي وصفها المقدسي بأنها بعيدة ونائية عن الطريق. لكن القرماني ذكر أن القرية كانت جادتها على الجسر، فهي تقع على النهر إلا أنها بعيدة عنه وعن جسره فمن المُحتمل أنها قد خربت في زمانه.

ويتضح هذا أكثر في وصف الرحالة بنيامين التطيلي إذ قال: "هي بابل الكبيرة القديمة لم يبق منها اليوم سوى الأطلال الدارسة، وتمتد هذه الخرائب الى مسافة ٣٠ ميلاً... وفي بقعة تبعد نحو ميل واحد عن هذه الأطلال يُقيم

١. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٢١.

٢. ابن حوقل: صورة الأرض، ق١، ص٢٤٤؛ المسالك والممالك، ص١٦٧.

٣. القرماني: ص٤٣٣.

عشرون ألفاً من اليهود"[١] فالمدينة صاحبة الأطلال هي القرية التي وصفها المقدسي، بينما كانت البقعة التي تبعد ميلاً واحداً عن مدينة الأطلال يسكنها عشرون ألف يهودياً، أي أنها بقعة حيوية ومأهولة ونشطة تجارياً، وإلا فكيف نفسّر أن يسكنها هذا العدد الكبير من اليهود. وقد تكون هذه البقعة هي المدينة التي تقع الى القرب من جسر بابل.

وهناك روايات أخرى تُشير الى وجود مكان بإسم جسر بابل، قال الروذراوري عندما حدثت الحرب بين القرامطة وجيش بغداد سيطر أبو الفضل الحاجب على جسر بابل والقوم بإزائه فعقدوا جسراً على الفرات[٢]. فحصولهم على جسر بابل لا يعني الجسر نفسه بل منطقة الجسر. ولا يُستبعد أن تكون منطقة الجسر مدينة أو موضع. بالإضافة الى ذلك ذكر صاحب المراصد: "بابل المدينة قرب الحلّة، والى جانبها قرية تسمى الآن بابل عامرة"[٣] فهذه القرية هي جسر بابل القريبة من الحلّة.

ولفظة بابل يُقصد فيها عند إطلاقها مدينة أو إقليم بابل، الذي يشمل منطقة واسعة بما فيه المدينة نفسها. وقد ذكرت عدّة مواضع في أرض بابل، ولكن يصعب ضبط موقعها. مثل خطرنية "ناحية من نواحي بابل"[٤]. وشالها

---

١. بنيامين التطيلي: الرحلة، ص١٤٠.

٢. الروذراوري: ذيل، ص ١١٠.

٣. مراصد الإطلاع، ج١، ص١٤٥؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢٩.

٤. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٤٥٣.

بأرض بابل[١] وقدومي موضع ببابل[٢]. وعقر بابل الذي يقع قرب كربلاء[٣]. كما يوجد موضع يسمى العقر قرب بابل أو فم النيل[٤]. والدير الخصيب الذي يقع قرب بابل[٥].

وهي: "من نواحي بابل بأرض الكوفة"[٦]، وهي معروفة اليوم. وأجمة البرس وهي ناحية بأرض بابل[٧] معروفة الآن بخرائب برس نمرود. والقف "تقع بأرض بابل"[٨] وباجوا موضع ببابل أيضاً[٩].

وبابل وخطرنية طسوج واحد من الطساسيج الستة التي يتكون منها البهقباذ الأعلى[١٠] ويسقيه نهر سورا الأسفل وما يتفرع منه من أنهار[١١].

---

١. نفس المصدر: ج٣، ص٢٣٨.

٢. البكري: معجم ما أستعجم، ج٣، ص١٠٥٤.

٣. الطبري: م٢، ص٣٠٨؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٦٩٥.

٤. الطبري: م٢، ص١٣٩٥.

٥. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٦٥٧.

٦. نفس المصدر: ج٤، ص٧٩٨ ـ ٧٩٩.

٧. نفس المصدر: ج١، ص١٣٦؛ وقد أورد البلاذري معلومة عن فرض ضريبة قدرها أربعة آلاف درهم على أهل الأجمة مما يدل على أن هناك من سكنها في الفترة الإسلامية، فتوح، ص٢٧٤.

٨. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٥٣.

٩. نفس المصدر: ج١، ص٤٥٥.

١٠. عن أنتاج الطسوج أنظر: ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٧٠.

١١. سهراب: ص١٢٥.

وتشتهر بابل بزراعة الكروم، وصناعة الخمور[١]. كما وقد سكنها اليهود، فيذكر بنيامين التطيلي أن عددهم كان يبلغ حوالي عشرين ألف يهودي[٢].

سورا

ذكرت سورا عند الفتح الإسلامي فقد كانت إحدى المراكز التي وصلتها غارات المسلمين الأولى ضد الفرس سنتي ١٤، ١٥هـ[٣]. وخلال العصر الأموي، فقد وقعت فيها بعض المعارك[٤]. وكذلك في العصر العباسي[٥]. كما أنها ذُكرت في الفترة المزيدية عندما نهبها بنو خفاجة سنة ٤٢٠هـ[٦]. كل هذا يُظهر أهميتها العسكرية، ولعل قربها من الكوفة قد جعلها تتأثر كثيراً بالحركات والحروب التي وقعت في هذه المدينة.

---

١. أنظر: ابن قتيبة الدينوري: عيون، ج١، ص٢٦٠؛ الأغاني، ج٩، ص٣٢٨ ـ ج١٤، ص٦١؛ البكري: ج١، ص٢٨٠؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٤٤٧.

٢. بنيامين التطيلي: ص١٤٠.

٣. الدينوري: الأخبار، ص١٢١؛ البلاذري: فتوح، ص٢٥٤.

٤. دارت فيها معركة بين المغيرة بن شعبة ومعقل بن قيس، الطبري: م٢، ص٣٨، ٤٠. وفيها جرت معركة بين عبد الله بن كامل والمختار الثقفي، الدينوري: الأخبار، ص٣٠٥. وألتقى جيش ابن الحر وبشير بن عبد الرحمن العجلي فيها سنة ٦٨ هجرية، الطبري: م٢، ص٧٧٦.

٥. فمثلاً حدثت فيها معركة بين طاهر بن الحسين والحارث بن هشام سنة ١٩٦ هجرية، الطبري: م٣، ص٨٥٨. وأصطدم فيها يحيى بن عمر العلوي والحسين بن إسماعيل سنة ٢٥٠ هجرية، الطبري: م٣، ص١٥١٨. وذكرت في حوادث القرامطة، مسكويه: ج١، ص١٨٣؛ محمد بن عبد الملك الهمذاني: تكملة: ص٤٨٣.

٦. ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

تقع مدينة سورا على نهر سورا، غير أن المسعودي قال أن نهر الفرات يمرّ بها[١]. مما يدل على أنه قد حدث تبدل في مجرى النهر زمن المسعودي وموضع سورا يقع في بداية إنقسام نهر الفرات، قال سهراب أن نهر سورا الأعلى يمر بطساسيج سورا وبربيسما وباروسما[٢]، وهي حسب تسلسلها تكون سورا في أول جريانه. وعلى النهر يوجد جسر سورا[٣]. ولهذا يبدو أن سورا كانت تقع بالقرب من الجسر. أعتبر المقدسي سورا من مدن الكوفة[٤]، وهي قريبة من النيل[٥]، وأن نهر سورا يمر بها ثم يمر بالنيل. وهي قريبة من بابل[٦]. ومن قصر ابن هبيرة[٧]. وتقع في أرض بابل[٨].

وقد جعل موسيل جسر سورا بالقرب من فم نهر المحاويل الحالي[٩]. ويُحتمل أن موضع سورا يقع بالقرب من هذه المنطقة أيضاً. فضلاً عن وجود بعض التحديدات لأرض سورا بصورة عامة. فقد ذكرنا سابقاً أن نهر سورا يمرّ بعدة طساسيج من بينها طسوج بربيسما الذي يقع فيه مشهد القاسم بن

---

١. المسعودي: التنبيه، ص٤٧.

٢. سهراب: ص١٢٤.

٣. الأغاني، ج١١، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٣٥.

٤. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٥٣.

٥. ابن الجوزي: ج٨، ص١٧٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

٦. ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٨٤.

٧. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٣٣.

٨. ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٨٤؛ ابن منظور: ج٦، ص٥٥. بينما ذكر الزمخشري في الجبال والأمكنة والمياه ص٨١، أن سورا موضع الى جانب بغداد وهي بغداد نفسها. ومن المحتمل أنه قصد موضعاً آخراً في بغداد يعرف بسورا.

9. Musil: The Middle Euphrates p. 244

الإمام الكاظم عليه السلام[1]. وهذا التحديد يتفق مع ما ذهب إليه القزويني من أن "القاسم بن الكاظم في سورا المعروفة الآن بأرض نهر الجربوعية من أعمال الحلّة السيفية"[2]. وكما قال البراقي أن سورا تقع بين القاسم والكفل[3]. والقاسم يقع في جنوب الحلّة في قرية تعرف شوشة[4]. ولكننا إذا رجعنا الى التحديدات السابقة التي وصفت أن سورا تقع بالقرب من قصر ابن هبيرة والنيل وجسر سورا وبابل، يتضح بأنه لا يمكن أن تكون سورا في جنوب الحلّة. ولعل المُراد بتلك التحديدات منطقة سورا أو أرضها.

ومدينة سورا آهلة بالسكان[5]. ووصفها ابن حوقل أنها مدينة مقتصدة[6] ولعله يقصد أنها كانت مقصودة أو متوسطة الحجم، أو على طرق المسافرين فقد يقصدها الناس. وقال ياقوت أنها ناحية من الكوفة[7].

وتقع قرب سورا عدّة قرى ومواضع مثل القف الذي يقع بالقرب من باجوا وسورا[8]. وبنورا من نواحي الكوفة[9]. وشانيا[10]. وغطط[11].

---

١. ابن عنبه: عمدة الطالب، ص٢٨٤.

٢. البراقي: تاريخ الكوفة، ص١٩٠. عن العلامة مهدي القزويني.

٣. نفس المصدر: ص١٨٩.

٤. الهروي: الإشارات، ص٧٦؛ ياقوت: البلدان،: ج٣، ص٣٣٥.

٥. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١١٧.

٦. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣.

٧. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٩٨، ٨٤٣.

٨. نفس المصدر: ج٤، ص١٥٣.

٩. نفس المصدر: ج١، ص٧٤٨.

١٠. نفس المصدر: ج٣، ص٢٤٤.

١١. نفس المصدر: ج٣، ص٨٠٧.

ولسورا طسوج يسمى بإسمها، وهو من طساسيج البهقباذ الأوسط[١]. ومنه السيب الأعلى والأسفل[٢]، وقد أشتهر بإنتاج الحنطة والشعير والأرز[٣]. والفواكه الكثيرة كالأعناب[٤] والرمّان[٥]. كما أشتهرت سورا بخمورها[٦].

قصر ابن هبيرة[٧]

يُنسب قصر ابن هبيرة الى الوالي الأموي يزيد بن عمر بن هبيرة الذي بنى مدينة بالكوفة فأتاه خبر من مروان بإجتناب مجاورة أهل الكوفة، لذلك بنى القصر[٨]. وقد تردد ذكره في العصر العباسي[٩] وفي القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر

١. عن الطسوج أنظر: ابن خرداذبة: ص٨؛ قدامة: ص٢٣٦؛ سهراب: ص١٢٤؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

٢. ياقوت: البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

٣. أنظر عن أنتاج الطسوج: ابن خرداذبة: ص٨؛ قدامة: ص٢٣٦.

٤. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١١٧؛ ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣.

٥. الكليني: الكافي، ج٦، ص٣٥٤.

٦. الشابشتي: ص٤٦؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٨٥.

٧. يقول Mann أن القصر كان المحل الذي ولد فيه داوود بن زكايا. أنظر: Mann: Responsa of the Babylonian Geonium (1,1617) p. 466.

٨. البلاذري: فتوح، ص٢٨٧؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص١٨٦. وهذه الروايات تشير الى أنه قد تأسس في العهد الإسلامي، في حين ذكر المسعودي أن بابا بردينا صاحب القصر وكان ملك النبط. أنظر: مروج، ج٢، ص١٦١. ومع أن هذا غير ممكن لأن تسميته تدل على شخص أسمه هبيرة ويُحتمل أنه كان في ذلك الموضع بناء لذلك الملك، وقد وسّعه ابن هبيرة.

٩. سكنه السفاح وسماه الهاشمية قال البلاذري: "فلما ملك السفاح نزله ـ يعني القصر ـ وأستتم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنائه وسماه الهاشمية وكان الناس لا يقولون إلا قصر ابن ←

والحادي عشر للميلاد[1]. وظل حتى القرن السادس الهجري إذ تناقصت أهميته ولم يبق فيه أكثر من خمسين نفساً من رجالٍ ونساء في زقاقٍ واحد. كما يقول كل من ياقوت وسبط ابن الجوزي[2]. ويبدو أن هجمات القبائل عليه، وتحول الطريق التجاري وعدم مروره بالقصر، وتأسيس الحلّة كانت من الأسباب المباشرة لتناقص أهميته.

تقع مدينة القصر بالقرب من جسر سورا[3]. وقال اليعقوبي: "وهي على نهر يأخذ من الفرات يُقال له الصراة وبين قصر ابن هبيرة وبين معظم الفرات مقدار ميلين الى جسر على معظم الفرات يُقال له جسر سورا"[4].

وقد ذكرها مسكويه في معرض حديثه عن القرامطة قال: "وعبروا الفرات بمخاضة فقتلوا جماعة من أهل القصر"[5]. مما يُظهر أن القصر كان يقع قرب

← هبيرة على العادة" فتوح، ص٢٨٧. ياقوت: البلدان، ج٢، ص١٢٣. ونزله المنصور في حربه مع عبد الجبار الأزدي ومحمد بن عبد الله. أنظر: اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٤٦. وذكر القصر في حوادث الأمين والمأمون سنة ١٩٦هجرية. أنظر: الطبري: مجلد٣، ص٨٥٧؛ وفي سنة ١٩٩هجرية الطبري: مجلد٣، ص٩٧٨. وفي سنة ٢٠٤هجرية، الطبري: مجلد٣، ص١٠١٨.

١. كان القصر من بين المناطق التي تأثرت بحركات القرامطة، أنظر: عريب القرطبي: ص١٦٢؛ الروذراوري: ذيل، ص٢٨٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص٤٧، ١٣٣. كما انه ذكر في حوادث سنتي ٣١٦هجرية و ٤٣١هجرية. أنظر: حمزة الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض، ص١٣٢؛ سبط ابن الجوزي: مرآة (مخطوط في توب كوبي سراي) مجلد ١٢، ورقة ٩١(ب).

٢. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤؛ سبط ابن الجوزي: مرآة، (توب كوبي سراي) مجلد١٢، ورقة ٩١(ب).

٣. البلاذري: فتوح، ص٣٨٧؛ ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص١٨٣؛ سهراب: ص١٢٤.

٤. اليعقوبي: البلدان، ص٣٠٩.

٥. مسكويه: تجارب الأمم، ج١، ص١٨٣.

النهر[١]. ويؤيد هذا الخطيب البغدادي بقوله: "ثم وليت فارس فحفروا الأنهار الصغار كوثى والصراة الصغرى التي عليها قصر ابن هبيرة"[٢].

أما ما قاله سهراب عن نهر سورا الأعلى ما نصه: "ويمر - يعني سورا الأعلى - بإزاء مدينة قصر ابن هبيرة بينها أقل من ميل وهناك على النهر جسر هو جسر سورا"[٣] ونهر سورا الأعلى هو نفسه نهر الصراة العظمى الذي يمر بمدينة النيل، ويُحتمل أن الخطيب وصف الصراة (سورا) بالصغرى تمييزاً لها عن صراة بغداد. وهناك أختلاف آخر بين اليعقوبي وسهراب، فقد قال اليعقوبي أن جسر سورا يقع على معظم الفرات، أي على مجرى الفرات الرئيسي، بينما ذكر سهراب أن جسر سورا يقع على نهر سورا، ويبدو أن قول سهراب أصحّ ذلك لأن تسمية الجسر تدل على وجود نهر يحمل نفس الأسم، لاسيما وأن اليعقوبي قد ذكر أن مدينة القصر تقع على فرع من الفرات يسمى الصراة، الذي هو سورا.

---

١. ويختلف اليعقوبي ومسكويه في موضع المدينة من النهر فقال اليعقوبي على نهر الصراة بينما ذكر مسكويه على نهر الفرات. ولا شك أن اليعقوبي أكثر دقة لأن كتابه جغرافي، فهو يعتني بتلك التحديدات أكثر من مسكويه المؤرخ.

٢. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٥٧.

٣. سهراب: ص١٢٤. وهناك رواية ذكرها شيخ الربوة عن مدينة القصر قال: "نهر صرصر عليه قصر ابن هبيرة" ص١١٣. وهي رواية خاطئة لأن نهر صرصر من أنهار بغداد، ولعل شيخ الربوة نقلها عن حديث الناس، كما في رواية نهر العلقمي الذي قال عنه أنه يمر ببلاد سورا وقصر ابن هبيرة والكوفة والحلة، ص٩٣ - ٩٤.

يقول اليعقوبي عن القصر: "هي مدينة جليلة ينزلها العمّال والولاة"[١] وهي تقع بين الكوفة وبغداد[٢]. أما المقدسي فقد أعتبرها من المدن التابعة لبغداد[٣]. وهي من أكبر المدن بين بغداد والكوفة[٤]. تقع على طريق الحجّاج، وبينها وبين بغداد أثنا عشر فرسخاً، وبينها وبين الكوفة ثمانية عشر فرسخاً[٥]. لهذا فهي محطة مهمة، وفيها الأسواق الجيدة[٦] والحمامات الكثيرة[٧]. وكانت من أعمر نواحي السواد في القرن الرابع للهجرة[٨].

وأهل القصر "أخلاط من الناس"[٩] فيهم اليهود[١٠]. والشهود والقُضاة والعمّال والكُتّاب والتناء والتجّار[١]، ويبدو أن ذلك كان قبل بناء الحلّة.

---

١. اليعقوبي: البلدان، ص٣٠٩؛ Hudud al Alam, p. 139.

٢. اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٥١.

٣. المقدسي: أحسن، ص٥٣.

٤. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣؛ المسالك والممالك، ص١٦٦.

٥. وقيل سبعة عشر فرسخاً، وقيل تسعة عشر فرسخاً. أنظر: اليعقوبي: البلدان، ص٣٠٨؛ ابن خرداذبة: ص١٢٥؛ قدامة: ص١٨٥؛ المقدسي: ص١٣٤؛ ابن رستة: ص١٨٢؛ الهمذاني: صفة، ص١٨٢.

٦. المقدسي: ص١٢١.

٧. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

٨. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣.

٩. اليعقوبي: البلدان، ص٣٠٩.

١٠. المقدسي: ص١٢١.

تقع قرب القصر وتحاذيه غرباً كربلاء[٢] وبقربه الحصاصة وهي من أعمال الكوفة[٣]. والسيبان الأعلى والأسفل[٤].

من كل هذا يتبين أهمية مدينة القصر في منطقة الفرات الأوسط. غير أن تأسيس الحلّة سنة ٤٩٥هـ أدى الى تناقص أهميتها. ومن المُحتمل أن المزيديين قصدوا من تأسيس الحلّة إضعاف أهمية القصر، كما أن الطريق التجاري أخذ يمر بالحلّة وربما يكون النهر قد غيّر مجراه مما أدى الى تناقص أهميته وأندثاره.



النيل

أحدث الحجّاج الثقفي مدينة النيل بعد أن حفر نهر النيل[٥]. وقد تردد ذكرها في التاريخ منذ القرن الثاني للهجرة[٦].

---

١. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ ـ ١٢٤.

٢. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣؛ أبو الفداء: تقويم، ص٣٠٥.

٣. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٢٧٤.

٤. نفس المصدر، ج٣، ص٢٠٨.

٥. البلاذري: فتوح، ص٢٩٠.

٦. ذكرت سنة ١٠٢هجرية عندما مرّ مزيد بن المهلب بفم النيل، الطبري: م٢، ص١٣٩٥؛ وفي الحرب بين قحطبة بن شبيب وابن هبيرة، الطبري: م٣، ص١٤، ١٧. وتردد ذكرها في الفترة البويهية. محمد ابن عبد الملك الهمداني: تكملة، ج١، ص٢٨٣. وفي الفترة المزيدية كانت مركزاً مهماً. ففي سنة ٣٩٨هجرية أرسل مهيار الديلمي قصيدة الى علي بن مزيد في النيل. ديوان، ج١، ص١٨. وفي سنة ٤٠٥هجرية هرب علي بن مزيد الى النيل، ابن الوردي: ←

والنيل إحدى مدن الكوفة[١] قال ياقوت أنها بُليدة بسواد الكوفة قرب حلّة بني مزيد[٢]. ويمر بها نهر سورا[٣]، أما سهراب فقال أنها تقع على نهر الصراة الكبرى (سورا الأعلى) وأن نهر صراة جاماسب الذي يتفرع عن نهر الصراة الكبرى يمرّ بها[٤]. ووضعها النسابون على نهر الفرات بين بغداد والكوفة[٥].

إن سبب أختلاف الروايات المتقدمة في ذكرها مدينة النيل وتحديد موقعها على أنه مرة على نهر سورا وأخرى على نهر الصراة الكبرى وثالثة على نهر الفرات، يرجع الى تغير مجرى النهر. والدليل على ذلك أختلافهم في تعيين موقع النيل من النهر الذي يمرّ بها. لاسيما وأن نهر الفرات قد بدّل جريانه عدّة مرات. ويُحتمل أنه في القرنين الخامس والسادس للهجرة قد أصبح يمرّ بالنيل لذلك جعلها بعضهم على نهر الفرات.

← تتمة، ج١، ص٣٢٦. وفي سنة ٤٧٤هجرية توفي دبيس وولي ابنه صدقة في النيل، ابن العبري: ص١٩٢.

١. المقدسي: ص٢٧، ٥٣.

٢. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٨٦١؛ مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٤١٣.

٣. قدامة: ص٢٣٣.

٤. سهراب: ص١٢٥.

٥. ابن القيسراني: الأنساب، ص١٦٣؛ السمعاني: ص٥٧٥أ قال أنها تبعد يومين عن البصرة. وأنظر: ابن الأثير: اللباب، ج٢، ص٢٥٢؛ أبا الفداء: تاريخ، م١، ج٤، ص٢٨.

وقد حدد الذهبي موقع النيل بأنها قريبة من واسط[١] وهي مذكورة على الخرائط الحديثة بأنها تقع بين واسط والحلّة[٢].

إن الأراضي التي يمرّ بها نهر سورا في منطقة النيل ذات ضياع وعمارات وقرى[٣] وكان الحجّاج قد أحيا الأرض التي تقع على نهر النيل[٤]. وكان بالقرب من المدينة جسر وصفه ابن جبير بأنه كان كثير الزحام حتى أنه خلال وجوده غرق كثير من الناس والدواب في الماء عند عبورهم عليه[٥]. وأشار ابن الوردي الى وجود قرى ومزارع كثيرة وغنية حول النهر[٦]. فالمنطقة كانت عامرة، فضلاً عن وقوعها على طريق الحُجّاج، فقد عبر ابن جبير جسرها بعد خروجه من الحلّة. وقد ظلّ نهر النيل موجوداً ووصف أنه كثير المياه الى فترة متأخرة[٧].

---

١. الذهبي: المشتبه، ص١٠٨.

٢. أنظر: خارطة لسترنج: بلدان الخلافة، ص٩٧؛ سوسة: وادي الفرات، ص٢١٢؛ طه الهاشمي: مجلة المجمع العلمي العراقي، لسنة ١٩٥٤م.

٣. البلاذري: فتوح، ص٢٩٠؛ قدامة: ص٢٣٣؛ سهراب: ص١٢٥.

٤. البلاذري: فتوح، ص٢٩٠.

٥. ابن جبير: الرحلة، ص١٩٠.

٦. ابن الوردي: خريدة العجائب، ص٣٩.

٧. ابن جبير: ص١٩٠؛ ابن الأثير: الباهر، ص٢٦(سنة ٥١٧هجرية).

تشتهر النيل بكثرة النخيل[1]. وكثرة المواشي والأغنام[2] غير أنها يكثر بها البعوض "ومن أجله يلزم الناس الكلل نهاراً وليلاً"[3]. مما يدل على أن المنطقة كانت كثيرة المياه والأهوار والآجام.

إن أرض النيل في الوقت الحاضر ريفية يكثر فيها النخيل، ولم يبق منها غير أثر واحد هو تل النيليات الذي يقع في شرقي الحلّة، وقد عثرت مديرية الآثار القديمة في الفترة الأخيرة على بقايا قنطرة، ولعلها قنطرة الماسي التي تقع بالقرب من النيل[4]. فضلاً عن وجود آثار هنا وهناك عثر عليها الرحّالة الأجانب الذين زاروا المنطقة نظير لايارد ولوفتس في منتصف القرن التاسع عشر وجيبسون Gibbson وهرتزفيلد Herzfeld في العقد الأول من القرن العشرين، منها قنطرة النيل المشهورة وبقايا نهر النيل ومعمل طابوق وقبر وآثار تدل على صناعة الفخار. كما أن الباحث عامر عجاج قام بزيارات ميدانية لمنطقة النيل للعثور على بقايا وآثار للمدينة التي أخضعها لدراسة الماجستير بإشرافي وعثر على كتل صخرية مكونة من ست دعائم مبنية بالآجر والجص بقايا دعائم القنطرة. وعثر على آثار قد تشير الى وجود

---

١. ابن الجوزي: ج٩، ص١٤.

٢. أنظر: ابن الجوزي: ج٨، ص٢٩؛ ابن الأثير: ج٩، ص١٤١.

٣. الصابي: الوزراء، ص٣٠١.

٤. لقد وصف موسيل موقع النيل حالياً بأنها خرائب العصيبة Asiba على شط النيل القديم الذي يبعد ٢٠ كم شرقي Kweres (بابل) Musil, op. ct. 270 وعن قنطرة الماسي أنظر: سهراب: ص١٢٥.

معمل للأدوات الحديدية وموضع ربما لسكّ النقود، وعلى قطع نقدية ترجع الى العصر الإيلخاني[١].

وبالقرب من النيل تقع بعض القرى والمواضع التابعة لها، أمثال قيلويه[٢] والأميرية[٣] والمنقوشية[٤] وقصر سنداد[٥]. ونهر ماري الذي يقع فمه عند النيل[٦] وزاقف[٧] والمباركية[٨].

ولذلك يمكن أعتبار مدينة النيل المركز الرئيسي للمزيديين قبل نشوء الحلّة. وقد أدت دوراً بارزاً في حياتهم السياسية، إذ أنها شغلت فترة طويلة من إمارتهم، منذ سنة ٣٨٧هـ الى سنة ٤٩٥هـ إلا أن المعلومات عنها قليلة حتى أن ابن جبير لم يصف المدينة ودورها، وأسواقها، كما هو الحال في وصفه الحلّة أو الكوفة.

---

١. ينظر: رسالة الماجستير غير المطبوعة، جامعة بابل، ٢٠٠٣م، بإشراف الدكتور عبد الجبار ناجي.

٢. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٢١٧.

٣. نفس المصدر: ج١، ص٣٦٥.

٤. نفس المصدر: ج٤، ص١٧١.

٥. العمري: مسالك الأبصار، ج١، ص٢٢٩.

٦. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٨٤٤.

٧. نفس المصدر: ج٢، ص٩٠٨.

٨. ابن الأثير: الباهر، ص٢٦.

الجامعين[١]

من الواضح أن الجامعين مثنى لكلمة جامع، لهذا يبدو أن أصل موضع الجامعين كان جامعاً ثم بُني الآخر. وقد ذكر البلاذري أن خالد القسري حفر نهراً سمّاه نهر الجامع وأتخذ بالقرية قصراً بأسمه[٢]، ولما كان هذا النهر في منطقة الكوفة، فربما كان الجامع المذكور قريباً منها أيضاً. ويذكر اليعقوبي ألتقاء جيش المأمون بأبي السرايا في موضع يُقال له الجامع بين بغداد والكوفة[٣]. وفي سنة ١٩٦هـ وجّه الأمين جيشاً الى قصر ابن هبيرة لأن عامله على الكوفة قد بايع المأمون وقال لقائديه "إن سلكتما الطريق الأعظم لم يخف ذلك عليهما ـ يعني قوّاد المأمون الموجودين في قصر ابن هبيرة ـ ولكن أختصروا الطريق الى فم الجامع فإنه موضع سوق ومعسكر فإنزلاه وبيتاهما إن أردتما ذلك.. فوجها الرجال من الياسرية الى فم الجامع"[٤]. وهذا يدل على أن الجامع قريب من قصر ابن هبيرة، ويُحتمل أن يكون هذا الجامع هو الذي

---

١. أورد المسعودي رواية عن محمد بن هشام الكلبي عن أبيه قال: "وكانوا ـ ملوك النبيط ـ من ملوك الطوائف وكانوا بأرض العراق مما يلي قصر ابن هبيرة وسقي الفرات والجامعين" مروج، ج٢، ص١٣٤. ويبدو أن راوية هذا الخبر أراد تحديد منطقة نفوذ ملوك النبيط في العراق فأطلق عليها الأسماء الموجودة في زمنه، والرواية تبين أن الجامعين موجود خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة. وعن الجامعين أنظر أيضاً: الدكتور صالح أحمد العلي: منطقة الكوفة، ص٢٣٢ ـ ٢٣٣.

٢. البلاذري: فتوح، ص٢٨٦.

٣. اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٥٤٣.

٤. الطبري: م٣، ص٨٥٧.

سُمّي بعدئذٍ بالجامعين. وكان قرية لها سوق ومعسكر غير أنه لم يكن على الطريق العام. وقد ذكر سهراب أن نهر سورا يمر بالجامعين المحدث والقديم[١]. فالجامع القديم هو ما تبين سابقاً، أما الحديث فيقع ـ كما يبدو من الرواية ـ الى الشمال من الجامع القديم لأن النهر يمر به أولاً. ولعل سهراب قصد بالجامع القديم ما كان موجوداً قبل زمنه.

وروى المسعودي أن أبا مسلم الخراساني من أهل البرس أو النرس والجامعين[٢]. مما يدل على أنهما يقعان متقاربين في نفس المنطقة، وأنتساب أبي مسلم للجامعين يعني أنها موجودة في القرن الثاني للهجرة. في حين أنه لم يرد ذكر لوجود الجامعين في هذا القرن في الروايات السابقة. ويُحتمل أن المسعودي سأل الناس عن مولد أبي مسلم، ولا بدّ أنهم قالوا أن أبا مسلم ولد في هذا الموضع الذي سُمّي الآن ـ القرن الرابع للهجرة ـ بالجامعين. بهذا فإن روايته لا تعني أنها تمثل القرن الثاني أو الثالث للهجرة.

من كل هذا نستخلص وجود جامع قديم في هذه المنطقة يرجع الى القرن الثاني أو الثالث، ثم أنشأ جامع حديث.

لم يتردد ذكر الجامعين في الفترة البويهية حينما أقام القرمطي الدعوة لعضد الدولة بها[٣]. وسيطر عليها أحد وجوه القرامطة

---

١. سهراب: ص١٢٥؛ أنظر عن الجامعين كتاب: Alam p. 77_Hudud al وأيضاً: صالح العلي: منطقة الكوفة، ص٢٣٢.

٢. المسعودي: مروج، ج٦، ص٥٩.

٣. محمد بن عبد الملك الهمداني: تكملة، ص٤٨٣؛ وهو أبو بكر محمد بن علي بن شاهويه القرمطي.

سنة ٣٧٥هـ [١]. وفي سنة ٣٨٧هـ ضمن المقلد العقيلي بعض المدن من السواد من بينها الجامعين[٢]. وأجتمع فيها دبيس بن مزيد وقرواش بن المقلّد سنة ٤١٧هـ [٣]. وكانت لنور الدولة دبيس المزيدي[٤]. وربما بقي حتى سنة ٤٩٥هـ عندما أتخذ صدقة مدينة الحلّة بالجامعين وسكنها.

يتضح من كل ما تقدم أن دور الجامعين يظهر في العصر العباسي وقد تعرضت المدينة لهجمات القرامطة. ثم أصبحت لها أهمية إقتصادية، فقد ضمن بعض أمراء بني عقيل حمايتها لقاء مبلغ من المال. وقد سكنها المزيديون في بيوتٍ عزبية[٥] وفي القرن الخامس تعرضت الجامعين لهجمات قبيلة خفاجة المتكررة[٦] مما يبين أتساع أهميتها.

ذكر المقدسي بأن الجامعين إحدى مدن الكوفة[٧]. وهي تقع غربي نهر سورا كما قال سهراب[٨]. أو غربي نهر الفرات كما قال ياقوت[٩]. كما أن هناك في بعض الأدلة التاريخية ما يؤيد ذلك الموقع، ففي سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م

---

١. الروذراوري: ص١٠٩.

٢. نفس المصدر: ص٢٩٣؛ ابن الأثير: ج٩، ص٤٧.

٣. ابن الأثير: ج٩، ص١٣٢ ـ ١٣٣.

٤. نفس المصدر: ج٩، ص١٣٣؛ ابن خلدون: تاريخ، م٤، ص١٠١٥ ـ ١٠٦٦.

٥. ابن الجوزي: ج٩، ص١٣٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١.

٦. ابن الأثير: ج٩، ص١٣٢، ٢٢٤؛ ابن خلدون: م٤، ص٥٩٦، ١٠١٥.

٧. المقدسي: ص٥٣، ١١٤؛ وتوجد جامعين أخرى من مدن سامراء، ص٥٤.

٨. سهراب: ص١٢٥؛ ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٣٣.

٩. ياقوت: البلدان، ج٣، ص٣٢٣؛ مراصد الإطلاع، ج١، ص٣٧٠.

هجم بنو خفاجة على الجامعين وكان نور الدولة دبيس معسكراً على شرقي الفرات بينما كان بنو خفاجة على القسم الغربي منه. وكان دبيس ينتظر مساعدة البساسيري فلما وصلت إليه عبر الفرات وحارب خفاجة وأجلاهم عن الجامعين[١].

ولقد أعتبر الأصطخري الجامعين منبراً صغيراً[٢]. وقال ابن حوقل أنها مدينة[٣]، في حين ذكر ياقوت أنها كورة وجعل الحلّة قصبةً لها[٤]. وروى صاحب مراصد الإطلاع بأنها بلدة كبيرة نزهة[٥]. ومع غموض مثل هذه التعبيرات إلا أنها قد ترجع الى التبدلات الإدارية والحضرية الذي طرأت على المدينة بعد أن أسس المزيديون الحلّة.

وللجامعين طسوج تسقيه الأنهار المتفرعة من نهر سورا الأسفل[٦]. وقد ذكر الإصطخري بأنه كان حول الجامعين رستاقاً عامراً خصباً جداً[٧]. وأضاف ابن حوقل على قول الإصطخري بأن هذا الرستاق يحاذي نواحي المدائن[٨].

---

١. ابن الأثير: ج٩، ص٢٢٤؛ وكذلك ص١٣٢؛ بينما وضعها كل من لاسنر وسوسة على الجانب الشرقي، أنظر بالتتابع: EI(2)_(al Hilla) ري الفرات، ص٢١٢.

٢. الأصطخري: مسالك، ص٨٧؛ ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

٣. ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٣٣.

٤. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٣.

٥. ابن عبد الحق: مراصد، ج١، ص٣٠٧.

٦. سهراب: ص١٢٥.

٧. الأصطخري: مسالك، ص٨٧.

٨. ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

وقد يكون ابن حوقل مبالغاً في أعطائه هذه الحدود الواسعة للمنطقة التي تشغلها الجامعين، غير أنه على العموم يشير الى أنها كانت كبيرة في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد.

الحلّة

لقد أشرنا في الفصل السياسي الى أن هناك بعض الشكوك في قصة بناء الحلّة من قبل صدقة بن مزيد وكذلك في سنة بنائها، وسبب هذه الشكوك تعود الى وجود عددٍ من الروايات التاريخية والجغرافية التي تردد فيها ذكر الحلّة قبل تأسيسها المتعارف عليه في سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م. وفي الحقيقة أن السبق في إظهار مثل هذه التناقضات يعود الى الأستاذ جورج مقدسي في بحث نشره في سنة ١٩٥٤م[١]. ومن الممكن إعطاء فكرة عامة عن الخطوط الرئيسة التي جاءت في تلك المقالة. فقد درس الأستاذ مقدسي الرواية المتعلقة ببناء الحلّة من قبل صدقة والواردة في بعض المصادر الحديثة[٢] وتوصل الى أن ياقوت الحموي هو المصدر الأساسي لتلك الرواية، ثم أنه بيّن تلك التناقضات الموجودة في روايتين رواهما ياقوت في معجمه. ففي الأولى ذكر

---

1. George Makdisi: 'Notes on Hilla and the mazyadids in Medieval Islam, in JAOS (1954) pp. 249 _ 259.

٢. أمثال:

Lestrange: Lands of the Eastern Caliphate, p. 71. Ober _ meyer: Die Landschaft, p. 307.
Lane _ Poole: The mohammadan Dynasties, p. 119. Karaba _ cek: Beitrage zur Geschichte der Mazjaditen p. 78.

ياقوت أن صدقة أوّل من عمّر الحلّ ونزلها في محرم سنة ٤٩٥هـ [١]، أما في الرواية الثانية فإنه عندما كان يتحدث عن الحويزة نسب تأسيس الحلّة الى دبيس بن مزيد وليس الى صدقة [٢] ويستمر مقدسي في التحري عن مثل هذه الإختلافات فدرس بعض مصادر أخرى مثل الشرح الموجود في حاشية ابن حوقل للمؤلف المجهول، وكذلك ما جاء في نزهة القلوب للمستوفي القزويني. ثم الروايات التاريخية عند ابن الجوزي وابن الأثير والمتعلقة ببناء الحلّة. إن النتيجة الرئيسة التي حاول مقدسي أن يتوصل إليها هي أن تأسيس الحلّة لم يكن في سنة ٤٩٥هـ بل أقدم من ذلك ويعود الى فترة دبيس الأول ولكنها تمتعت بشهرةٍ كبيرة في زمن صدقة. وأراني أتفق بصورةٍ عامة مع أغلب النقاط التي جاء بها صاحب المقالة المذكورة، بل وأستطيع أن أُضيف عدداً آخراً من الروايات التاريخية التي ورد فيها أسم الحلّة قبل تأسيسها، ولكن في الوقت ذاته سوف أناقش بعض النقاط الأخرى المُثارة في تلك المقالة. فمثلاً ذكر ابن الجوزي في سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧م عندما خرج مرسوم بإبطال لبس اليهود الغيار في بلاد ابن مزيد، خرج الفقهاء الى حلّة دبيس بن علي [٣]. وروى ابن الأثير في سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م أن المقلد بن أبي الحسن أخا دبيس أراد الإمارة لنفسه فسار مع الأتراك وكبسوا دبيساً في النعمانية ثم

١. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢.

٢. ن.م. ج٢، ص٣٧١ وما بعدها.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص٣٨.

نهبوا الحلّة[١]. وفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م ذكر ابن الأثير أيضاً أن نور الدولة دبيساً هو صاحب الحلّة والنيل، ثم يُعقب ابن الأثير على هذا بقوله ولم تكن الحلّة بُنيت ذلك الوقت[٢]. وبالإضافة الى ابن الجوزي وابن الأثير فإن البنداري يذكر في حوادث سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م أن البساسيري هرب الى حلّة دبيس[٣]. ويُلقب الذهبي في سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م منصور بن دبيس بن علي بأنه صاحب[٤] الحلّة والنيل. والأهم من هذا هو ما أورده ابن الوردي إذ قال: "صدقة هو الذي بنى الحلّة بالعراق" قال المؤلف تقدم ذكر الحلّة قبل وجود صدقة فكيف يكون هو الذي بناها[٥]. فالغموض الذي نواجهه الآن في مسألة بناء الحلّة لم يكن جديداً بل إن ابن الأثير وابن الوردي قد فطنا إليه قبلنا. والواقع أن هناك إحتمالين لتفسير هذا الإلتباس، الأول هو كما رآه مقدسي على أن الحلّة كانت موجودة قبل صدقة وقبل التاريخ المتعارف عليه، ٤٩٥هـ وأن صدقة لم يبني المدينة بل عمّرها في تلك السنة[٦]. والتعمير لا يعني البناء وإنما يُفهم منه أنها كانت موجودة إلا أن صدقة جدد الدور

١. ابن الأثير: ج٩، ص١١٤.
٢. ابن الأثير: ج٩، ص١٤٠.
٣. البنداري: ص١٧.
٤. الذهبي: تاريخ (مخطوطة في المتحف البريطاني Or. 50) ورقة ١٧٠ (أ).
٥. ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص١٩.
٦. عن بناء الحلة أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص١٣٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١؛ ابن خلكان: وفيات، ج٢، ص١٨٣؛ الذهبي: المشتبه، ج١، ص١٦٨.

والمباني فيها سيما وأن لفظة الحلّة تعني مساكن ومنازل جماعة ما[١]، وكثيراً ما أورد المؤرخون إصطلاح "حلّة بني فلان" أو "حلل العرب" والمقصود بهما مجموعة من الخيم الخاصة بسكنى القبائل. فالحلّة قد تكون موجودة في زمن دبيس الأول وتسمى حلّة أيضاً. وأن دبيساً كما لاحظنا في الفصل السياسي كان مستقراً في النيل إلا أنه في الوقت ذاته كانت له السيطرة على الجامعين التي تطورت فيما بعد الى الحلّة. ومن المُحتمل أنها أتخذت في زمن دبيس مكاناً آخراً لبيوت قبيلة بني أسد العربية[٢] فسُميت أيضاً بحلّة بني مزيد جنباً الى أسمها الجامعين. ويتعلق بهذه النقطة شيء آخر مهم هو أن الأستاذ مقدسي خلال تحليله رواية ياقوت التي يقول فيها: "إن صدقة هو أول من عمّر الحلّة ونزلها وكانت منازل آبائه الدور من النيل"[٣]. فقد ترجم هذه الجملة الأخيرة بأن دور المزيديين كانت مبنية من نبات النيل، وردّ على قول Karabacek الذي أعتبر الدور والنيل أسمين لمكانين مختلفين[٤]. أما ما يبدو لي فهو أن قصد ياقوت هو أن صدقة قبل أن يتخذ الحلّة كان آباؤه يسكنون في النيل، تلك المدينة التي أتخذها المزيديون في بداية أمرهم عاصمة لهم، فالجملة تكون "وكانت منازل آبائه الدور في النيل" بدلاً "من النيل".

١. أنظر: ابن الجوزي: (مادة ـ حلل) ج١٣، ص١٧٤.
٢. ابن الجوزي: ج٩، ص١٣٢؛ ابن الأثير: ج١٠، ص١٣١.
٣. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢.
٤. أنظر: Makdisi: Notes on Hilla p. 253.

والإحتمال الآخر حول هذا الموضوع هو أنه قد يكون من قبيل السبق التاريخي أو سحب التاريخي الى الوراء، فعندما يذكر ابن الجوزي، أو ابن الأثير أو البنداري بعض الحوادث المتعلقة ببني مزيد في الفترة السابقة لتأسيس الحلّة أي سنة ٤٩٥هـ فإنهم يذكرونها ضمن تلك الحوادث وكأنها موجودة آنذاك، وهذا يرجع الى أن هؤلاء المؤرخين كانوا يعاصرون فترة كانت فيها الحلّة موجودة ومشهورة وفي رأيي أن هذا الأحتمال أضعف من الأحتمال السابق.

فالحلّة إذن أخذت موقع الجامعين، وتقع غربي الفرات، كما تقدم في وصف ابن جبير وآخرين[١]. وتقع مدينة الحلّة بالقرب من بابل ومقابلة لها[٢]، وحسب قول بنيامين التطيلي أنها تبعد خمسة أميال عن بابل[٣]. وقد أصبح يمرّ بها الطريق التجاري وطريق الحُجّاج من بغداد الى الكوفة. وهي تبعد عن بغداد قديماً حوالي ٦٠ ميلاً[٤]، أما الآن فإنها على بعد ١٠٥كم تقريباً.

---

١. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٩. وأنظر حاشية ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥؛ ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢؛ القلقشندي: صبح، ج٤، ص٣٣٦. وروى السمعاني (ص١٨٢ب) أنها تقع على طرف الفرات. أنظر أيضا ابن الأثير: اللباب، ج٣، ص٣٣١. بينما ذكر الجغرافي الفارسي المستوفي القزويني (Nuzhat al. Qulub, p. 47) أن نهر الفرات يقسم المدينة الى قسمين، وأغلب البيوت على الضفة الغربية، وهناك بيوت قليلة على الجانب الشرقي. ووضع Le Strange الحلة على الشاطئ الشرقي لنهر سورا. أنظر: The Lands, p. 71. وجعلها Lasner على الفرات. أنظر: EI. (2) (Hilla).

٢. حاشية ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

٣. في الترجمة العربية لرحلة بنيامين أخطاء كثيرة لذلك أعتمدنا على الترجمة الأنكليزية: Benjamin: The Itinerary (tr. By Asher) p. 106-107.

٤. جاء في مجلة المشرق أن الحلة تبعد عن بغداد بحوالي ٦٠ فرسخاً، ولعل الكاتب أراد بها ٦٠ ميلاً. أنظر: مجلة المشرق لسنة ١٩٥٦م، ص٤٥٤.

والحلّة مستطيلة الشكل[١]، وذكر ابن جبير أن لها سوراً إلا أنه لم يبق منه خلال زيارته لها في القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد غير "حلق من جدار ترابي مستدير"[٢] ويبدو أن بناءه لم يكن متيناً، وقد بناه صدقة عندما عمّر الحلّة[٣].

فكان موضع الحلّة قديماً "أجمّة يأوي إليها السباع"[٤] إلا أن سكنى بني مزيد في الجامعين وتعميرهم الحلّة حول مرتبتها الحضرية حتى أصبحت مدينة كبيرة فيها مساكن جميلة ودور فاخرة[٥]. وسُمّيت أيضاً الفيحاء وكذلك زورة بابل[٦].

ومن خلال أوصاف بعض الجغرافيين والمؤرخين يتبين لنا أن الحلّة كانت كثيرة الأنهار[٧]. وكان لها جسر ضخم معقود على مراكب كبار متصلة[٨]. ولعل السبب في جعله بهذه المتانة والضخامة يرجع الى كثرة الزحام والمرور عليه، خاصةً وأن المدينة تقع على طريق القوافل، كما أن النهر الذي كان يمرّ بها

---

١. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٩؛ ابن بطوطة: الحلة، ص٢٢٠.

٢. ابن جبير: ص١٨٩؛ ياقوت: البلدان: ج٢، ص٣٢٢.

٣. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦.

٤. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢.

٥. ن.م.

٦. أنظر مجلة المشرق لسنة ١٩٥٦م، ص٤٥٤.

٧. أنظر: ابن القلانسي: ذيل، ص١٥٩؛ سبط ابن الجوزي: مرآة، ج٨، ص٢٦ ـ ٢٧.

٨. ابن جبير: الرحلة، ص١٨٩؛ ابن بطوطة: ص٢٢٠.

كان صالحاً للسفن[١]. وللحلّة أسواق دائمة البيع والشراء[٢]، وحافلة بالصناعات الضرورية والمرافق المدنية[٣]. ولهذا فقد قصدها التجّار وأصبحت من أفخر البلاد حسبما روى الرحّالة المسلمون[٤]. كما كانت تعتبر كالمحطة التي يتجمع فيها الحُجّاج قبل أن يذهبوا الى الكوفة ثم مكة[٥]. وأمتازت أيضاً بكثرة الخيول العربية الأصيلة[٦].

وكانت الحلّة مزدحمة السكان[٧] لأنها تقع في منطقة خصبة، ولأنها محطة رئيسة في الطريق من بغداد الى الكوفة. كما سكنها اليهود[٨]، وحسب قول الرحالة بنيامين التُطيلي أن عددهم يُقارب ١٠ آلاف يهودي، وكان لهم أربع كنائس[٩].

١. ابن جبير: ص١٩٠.

٢. حاشية ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

٣. ابن جبير: ص١٨٩؛ ابن بطوطة: ص٢٢٠.

٤. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٢؛ ابن بطوطة: ص٢٢٠.

٥. أنظر: ابن الجوزي: ج١٠، ص٢٢٢؛ ابن جبير: صفحات ١٩٠، ١٩١، ١٩٢؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٨٦٣؛ ابن الأثير: ج١١، ص٦٠.

٦. أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص٢١٨و ج١٠، ص١٢؛ ياقوت: البلدان، ج٦، ص٣٥٨؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢٢٥؛ سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٩١.

٧. حاشية ابن حوقل: صورة، ج١، ص٢٤٥.

٨. ابن الجوزي: ج٩، ص٣٨؛ Benjamin: The Itinerary, p. 106.

٩. أنظر: Rogers op. cit, vol. I p. 87.

تقع بالقرب من الحلّة مواضع وقرى، بعضها تابعٌ لها، مثل الصروات[١]، والقنطرة أو حصن بشير[٢]، والمشترك[٣]، والنيل[٤]، وسورا[٥] وشوشة[٦]، والمهاجرية[٧]، وبر ملامة (بئر ملاحه)[٨]، والغامرية[٩]. ولكننا لا نعرف موقع أغلب هذه الأماكن من المدينة الأم.

لقد حافظت الحلّة على أهميتها منذ سنة ٤٩٥هـ في الوقت الذي تناقصت فيه أهمية المدن الأخرى أمثال بابل وسورا وقصر ابن هبيرة. ولا شك أن لموقعها الجغرافي أثراً في إستمرار أهميتها، وتركز القرى والمواضع بالقرب منها وحولها، وازدحام السكان فيها. لذلك كان للمزيديين في تأسيسهم الحلّة تأثير واضح في أغلب التبدلات العمرانية في عدد من مدن منطقة الفرات الأوسط.

---

١. ياقوت: البلدان، ج٣، ص٣٨٣.

٢. ابن جبير: ص١٩١.

٣. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٥٣٧.

٤. ن.م. ج٤، ص٨٦١؛ مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٤١٣.

٥. ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٨٤.

٦. الهروي: الإشارات، ص٧٦؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٢٣٥.

٧. الحسيني: غاية الأختصار، ص٣٣.

٨. ياقوت: البلدان، ج١، ص٥٩٤؛ ابن بطوطة: ص ٢٢٠.

٩. ياقوت: البلدان، ج٣، ص٧٦٩.

الأهمية الإقتصادية للمنطقة

لقد نشأت إمارة المزيديين في منطقة أشتهرت بخصوبتها، وبظهور عدّة مراكز حضارية فيها منذ أقدم الأزمنة[١]. حتى لقد أعتقد البعض أنها هي المقصودة بـ (جنة عدن)[٢].

وهي منطقة مستوية، يرويها نهر الفرات والترع الآخذة منه، وفيها بعض الإنخفاضات والمستنقعات[٣] الناجمة عن تغير مجرى الأنهار، أو نتيجةً لفيضانها وغمرها المناطق المنخفضة[٤]. وفي المنطقة بعض الكثبان الرملية والمرتفعات، وأغلبها بقايا مدنٍ أثرية[٥].

وقد أعتمد السكان في الري والزراعة على الأنهار التي تجلب أيضاً مواد غرينية صالحة للتربة فتساعد على نمو النباتات[٦].

---

١. عن المدن الحضارية الموجودة في المنطقة أنظر: مجلة سومر: مقالة Robert, M. Adams م١٤ لسنة ١٩٥٨م ص١٠؛ البرازي: مستل من مقالة في مجلة كلية الآداب لسنة ١٩٦٢م، ص٢٧٣.

٢. من جنة عدن الى عبور نهر الأردن، ولكوكس، ص٨.

٣. عن وصف أرض المنطقة أنظر: إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي، ج١، ص١٥، ٢١؛ Al-Barazi: The Geography of Agriculture, p. 71-73.

٤. فهناك المستنقع البابلي القديم الذي يشمل مساحة واسعة منها، إبراهيم شريف: المصدر السابق، ج١، ص٢٩.

٥. طه الهاشمي: مفصل جغرافية العراق، ص٤٤٨؛ سوسة: في ري العراق نهر الفرات، ج١، ص٣٠؛ مجلة سومر: م١٤، ص١٠١.

6. Ionides: The Regime of the Rivers Euphrates and Tigris p. 30. Rogers, op. cit, vol. 1p. 281

وتربة منطقة الفرات الأوسط غنية بالمواد العضوية والمعدنية[١]، والجيرية[٢] وفيها نسبة عالية من الملح الذي يُساعد على نمو النباتات[٣]، وفيها مواد طينية وصلصالية[٤].

أنهار المنطقة

نهر الفرات[٥] هو العمود الرئيسي لهذه المنطقة، وكانت تتفرع منه عدّة فروع، فبعد مروره بنهر كوثى بثمانية عشر ميلاً ينقسم الى فرعين يسمى الأول سورا الأعلى والثاني العلقمي[٦]. ومن الأنهار الصغيرة المتفرعة من الفرات في هذه المنطقة نهر الخندق ونهر سوق أسد ونهر الفرات العتيقة[٧] كما يتفرع من الفرات نهر البداة[٨].

وفي الأقسام الوسطى والشرقية يوجد نهر سورا الأعلى، وهو نهر

---

1. MacBean: The soil understanding in IRAQ p. 29
2. Barazi, op. cit, p. 111
3. Buringh: Soils and Soil, p. 150
4 Barazi, op. cit, p. 111

٥. عن نهر الفرات أنظر: ابن رستة: ص٩٤؛ ابن خرداذبة: ص١٧٤؛ قدامة: ص٢٣٤؛ المسعودي: مروج، ج١، ص٢١٥؛ سهراب: ص١٢٤؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٠، ١٢٤؛ الأصطخري: ص٨٥؛ ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص٨٦١؛ العمري: مسالك، ج١، ص٨٠؛ القلقشندي: صبح، ج٤، ص٣٩٩.

٦. أنظر: قدامة: ص٢٣٣؛ المسعودي: التنبيه، ص٤٧؛ شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص٩٣ـ٩٤؛ لسترنج: بلدان الخلافة، ص١٠١.

٧. ابن الفقيه: ص١٧٥؛ أبو الفداء: تقويم، ص٣٠٥.

٨. ابن خرداذبة: ص٨؛ قدامة: ص٢٣٦؛ سهراب: ص١٢٥.

واسع[١] ويمر بمدينة قصر ابن هبيرة[٢] ويأخذ منه نهر سورا الأسفل الذي يمر ببابل والجامعين ويصبّ في نهر البداة المتفرع من الفرات[٣] ومن نهر سورا الأعلى يتفرع أيضاً نهر الصراة العظمى الذي يمر بمدينة النيل ـ ويُحتمل أنه نهر سورا الأعلى نفسه ـ وبعد أن يجتازها يصبح أسمه نهر النيل الذي يصب في دجلة[٤] وهناك أنهار أخرى تتفرع من سورا مثل نهر أبي رحا الذي يمر بمدينة قصر ابن هبيرة[٥]. ونهر صراة جاماسب الذي يمر بمدينة[٦] النيل. فضلاً عن وجود أنهار صغيرة كثيرة تتفرع من نهر سورا وهي تشبه الترع والجداول الصغيرة[٧]. ويتفرع من نهر سورا الأسفل نهر آخر يسمى نهر النرس الذي يمر بالحارثية وحمّام ابن عمر ويصب في نهر البداة المتفرع من الفرات أسفل الكوفة[٨].

ومن الأنهار الصغيرة الأخرى، نهر السيب بالقرب من قصر ابن هبيرة[٩] ونهر سنداد[١٠]. ونهر أيا أو أبا وسمّاه الطبري أوا ويقع بين الكوفة وقصر ابن

---

١. سهراب: ص١٢٤.
٢. نفس المصدر والصفحة.
٣. نفس المصدر والصفحة.
٤. نفس المصدر والصفحة؛ مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٤١٣؛ شيخ الربوة: ص١١٣.
٥. سهراب: ص١٢٤.
٦. نفس المصدر والصفحة.
٧. نفس المصدر: ص١٢٤ـ١٢٥.
٨. المسعودي: مروج، ج٢، ص١١٥؛ سهراب: ص١٢٤.
٩. أبو الفداء: تقويم، ص٢٩٥ـ٢٩٦.
١٠. الطبري: م٣، ص١٩٠٢، ١٩٦٢؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٦٤؛ العمري: مسالك، ج١، ص٢٢٩.

هبيرة[١]. ونهر قورا الذي تقع عليه قرية سورا[٢]. ونهر ماري الـذي يقـع فمـه عند النيل[٣]. ونهر بشير ويقع في شرقي الحلّة[٤].

الطرق التجارية ـ التجارة

تمر بمنطقة الفرات الأوسط طرق رئيسة، وقد نمت بعض محطاتها فـصارت مدناً. والطريق الرئيسي هو طريق بغداد ـ الكوفة، وهو من أربع مراحل[٥].

١ـ المرحلة الأولى: من بغداد الى جسر نهر كوثى[٦]، وهـو سـبعة فراسـخ (٢١ ميلاً)[٧] وتكون كوثى المحطة الرئيسة في هذه المرحلة، وهي علـى الأكثـر قريبة من الجسر، لأنه يمثل همزة الوصل جغرافياً، ومنطقـة بيـع وشـراء مـن الناحية الإقتصادية.

---

١. الطبري: م٣، ص١٨٥٨؛ الخطيب البغدادي: ج١، ص٥٧؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٧٠.

٢. ياقوت: البلدان، ج٤، ص٨٤٣.

٣. نفس المصدر: ج٤، ص٨٤٤؛ مراصد الإطلاع، ج٣، ص١٤٠٥.

٤. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٢٨.

٥. قسّم اليعقوبي الطريق الى ثلاث مراحل الأولى من بغداد الى قصر ابن هبيرة وتبلغ مسافتها ٢١ فرسخاً، والثانية من القصر الى سوق أسد وتبلغ مسافتها ٦ فراسخ، والثالثة من سوق أسد الى الكوفة وتبلغ ١٢ فرسخاً. البلدان، ص٣٠٨.

٦. وهي أثنان كوثى الطريق وكوثى ربا، والأخيرة تعتبر مدينة إبراهيم الخليل (ع)، ويقال أنه طرح بهـا النـار. البكـري: معجـم، ج٤، ص١١٣٨؛ المقدسـي: أحسن، ص١٢١ـ١٢٢، ١٣٠؛ الأصطخري: ص٨٦؛ ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٥؛ ياقوت: البلدان، ج٤، ص٣١٧.

٧. أنظر: ابن خرداذبة: ص١٢٥؛ قدامة: ص١٨٥؛ المقدسي: ص١٣٤؛ ابـن رسـته: ص١٨٢؛ ابـن حوقل: المسالك، ص١٥٨. وعـن هـذا الطريـق أنظـر: Sprenger: Die post und Reis crouten des Orients (1864) p. 11, 12.

٢ـ المرحلة الثانية: من جسر نهر كوثى الى مدينة قصر ابن هبيرة والمسافة تبلغ خمسة فراسخ (١٥ ميلاً) فبعد أجتياز المسافر جسر نهر كوثى يمرّ بموضعٍ يعرف بزيقيا[١] الذي يبعد ستة أميال عن الجسر، ومنه الى القصر والمسافة بينهما (٩) أميال[٢]. وهذا يعني أن القصر هو المحطة الرئيسة في هذه المرحلة[٣].

٣ـ المرحلة الثالثة: من قصر ابن هبيرة الى سوق أسد كما ذكر اليعقوبي أو الى حمام ابن عمر[٤]، وصف المقدسي. والطريق ستة فراسخ (١٨ ميلاً)؛ وحمام ابن عمر هو المحطة الرئيسة في هذه المرحلة ويقع قرب الجامعين.

٤ـ المرحلة الرابعة: من سوق أسد، أو حمام ابن عمر الى الكوفة. والمسافة بينهما أثنا عشر فرسخاً (٣٦ ميلاً) فبعد خروج المسافر من محطة المرحلة

---

١. وهي قرية قريبة من الحلة ومن أعمال الكوفة. البلاذري: أنساب، ج٥، ص٢٩٧؛ ياقوت: البلدان، ج١، ص٦٠٨، ج٤، ص٣٣١.

٢. ابن خرداذبة: ص١٢٥؛ قدامة: ص١٨٥؛ ابن رسته: ص١٨٢؛ وقال ابن حائك الهمداني في صفة جزيرة العرب أن المسافة بين بغداد والقصر ١٢ فرسخاً، ص١٨٣.

٣. يقع غربي الفرات في طسوج الفلوجة السفلى ويُنسب الى عبد الله القسري وفيه نهر بإسمه. أنظر: البلاذري: فتوح، ص٢٨٦؛ اليعقوبي: البلدان، ص٣٠٩؛ ياقوت: البلدان، ج٣، ص١٩٣، ٨٦١.

٤. في هذه المرحلة توجد عدة مواضع نظير جسر سورا وذمار حسبما قال المقدسي، ويبدو أنه أراد المذار الذي يقع بين واسط والبصرة. ياقوت: البلدان، ج١، ص٦٠٣؛ ج٤، ص٤٦٨. وحمام ابن عمر إحدى مدن الكوفة ويبعد عن الجامعين مسافة ١٨ ميلاً. انظر: سهراب: ص١٢٤؛ المقدسي: ص١١٤؛ الطبري: م٢، ص٩١٠، ٩٥٧، ١١٢٥.

الثالثة تصادفه عدّة قرى ومواضع منها اليعقوبية والقناطر[١] وشاهي[٢] الى أن يصل الى الكوفة.

يتبين من كل ما تقدم ذكره أن كثيراً من المناطق والمحطات في الطريق[٣] تقع، في منطقة الفرات الأوسط. فقصر ابن هبيرة من المحطات المهمة فيها، وهو أكبر مدينة بين بغداد والكوفة[٤]. وفيه أسواق جيدة[٥].

ثم تأسست الحلّة التي أخذت مكانة القصر في الأهمية. فأصبح الطريق يمرّ بها لهذا فقد قصدها التجّار[٦]. وأصبحت فيها أسواق نشطة ودائمة البيع والشراء[٧].

والى جانب هذا الطريق البري يوجد طريق نهري يربط بغداد بالحلّة. قال ابن جبير أن الحلّة تقع على الفرات الذي وصفه بأنه: "نهر كبير زخار، تصعد

١. جمع قنطرة وتقع قرب الكوفة، وهي قريبة من شاهي. أنظر: الطبري: م١، ص٣٣٧٦، م٣، ص٩٧٧؛ المسعودي: مروج، ج٦، ص٢٠٠؛ ياقوت: ج٤، ص١٨٠.

٢. شاهي وليس (ساهي). قال اليعقوبي أنها بين الكوفة وبغداد، تاريخ، ج٢، ص٦٠٨؛ وهي قرية من الكوفة. ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٤٠.

٣. جعل اليعقوبي طول الطريق (٩٠) ميلاً، البلدان، ص٣٠٨؛ وابن رستة (٩٦) ميلاً، ص١٨٢؛ وابن خرداذبة (٩٣) ميلاً، ص١٢٥؛ وقدامة (٨٧) ميلاً، ص١٨٥؛ بينما جعله الهمداني (٨٢) ميلاً، ص١٨٣. وقد رجّح موسيل ما أورده الهمداني. Musil, op. cit, p. 245. ومع أن الهمداني قدم قياسات خطوط الطول والعرض، غير أنه لا يمكن الأخذ بها.

٤. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٣.

٥. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٢١.

٦. ياقوت: البلدان، ج٢، ص٣٢٣.

٧. ابن حوقل: صورة، ق١، ص٢٤٥. عن الحاشية.

فيه السفن وتنحدر"[١] ولعل السفن تصل الى بغداد عن طريق الأنهار المتفرعة من الفرات والتي تمر ببغداد وتصب في دجلة مثل نهر عيسى.

وهناك بعض الطرق الفرعية التي تربط منطقة الفرات الأوسط بغيرها من البلاد مثل الطريق الذي يربط المنطقة عبر الشام[٢] وكذلك يوجد طريق آخر من الهند الى البصرة ومنه الى الحلّة ثم الى بغداد[٣].

الزراعة

لمنطقة الفرات الأوسط أهمية في أنتاج المواد الغذائية لتموين أهلها، وإمداد سكان بغداد في الظروف الحرجة والأزمات بهذه المواد. ويمكن أستنتاج ذلك من فترات أخرى، ففي سنة ٦٥٦هـ عندما أرتبكت الأوضاع في بغداد على أثر غزو هولاكو والتتر للعاصمة كان "أهالي الحلّة والكوفة والسيب يحملون الأطعمة الى بغداد فإنتفع الناس بذلك"[٤] وفي سنة ٦٨٤هـ حمل أهل الحلّة الغلّة والخبز الى بغداد[٥]. والراجح أن هذه المنطقة كانت بمثابة ريف بغداد تموّن بغداد قبل هذا منذ زمن المزيديين. إذ أنه في سنة ٥٥٦هـ طالبت قبيلة بني

---

١. ابن جبير: الرحلة، ص١٩٠؛ ابن الأثير: ج١٠، ص٢١٤؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٨٢، ١٨٥.
٢. ابن الجوزي: ج٨، ص١٢ (سنة ٤١٤هـ).
٣. تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص٥١. جاء في الأصل الحيلة خطئاً.
٤. ابن الفوطي: ص٣٣١.
٥. نفس المصدر، ص٤٤٧.

خفاجة برسومها من التمور من الحلّة والكوفة[1]. مما يدل على كثرة أنتاج هذه المنطقة لمثل هذه المحاصيل.

ومما يوضح كثرة أنتاج هذه المنطقة مقدار ضمان بعض المدن فيها، ففي القرن الرابع للهجرة مثلاً كان ضمان أعمال الكوفة وقصر ابن هبيرة وباروسما الأعلى والأسفل في كل يوم سبعة آلاف دينار وفي كل شهر زيادة ستة آلاف دينار[2]. وكان ضمان الحلّة سنة ٥١٥هـ كل يوم ألف دينار وفرساً[3] وهذا يصوّر أهمية المنطقة من الناحية الإقتصادية.

وذكر ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر قائمة حاصلات منطقة الفرات الأوسط وكمية الإنتاج[4] وهي تُلقي ضوءاً على أنتاجها وحاصلاتها الزراعية. فمجموع أنتاج طسوج بابل وخطرنية ـ وهما قلب البلاد المزيدية ـ من الحنطة ٣٠٠٠ كرّ ومن الشعير ٥٠٠٠كرّ[5]، وكان الطسوج يشتمل على ١٦ رستاقاً[6] و ٣٨٧ بيدراً، وبمقارنة أنتاج هذا الطسوج بغيره من طساسيج

---

١. ابن الأثير: ج١١، ص١١٢.

٢. الصابي: ص١٤. كانت قيمة الدينار متغيرة، ثم أن النقود نفسها عديدة الأصناف. ولكن في حوالي القرن الخامس والسادس للهجرة كان الدينار يساوي عشرة دراهم. أنظر: ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٥.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص٢٢٥.

٤. أنظر قائمة أنتاج أستان البهقباذ الأعلى، ص١٩٨.

٥. الكرّ يساوي ٧٢٠ صاعاً. الخوارزمي: مفاتيح، ص٤٤؛ والكرّ يساوي ٦٠ قفيزاً. ابن منظور: (مادة كرر).

٦. الرستاق: (كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد... وهو أخص من الكورة والأستان) ياقوت: البلدان، ج١، ص٤١.

أستان البهقباذ الأعلى، يتبين مقدار أنتاجه العالي بالنسبة لتلك الطساسيج وهي تبين أن أهم محاصيل المنطقة، الحنطة والشعير، ويُزرع الأرز في طسوجي سورا وبربيسما[١] لكثرة المياه والمستنقعات فيهما.

إن في قائمة ابن خرداذبة تناقضاتٍ في كمية الإنتاج وأماكن الزراعة، وقد يرجع ذلك الى خطأٍ في النسخ. ففي طسوج الفلوجة العليا ـ الذي يقع بين الحلّة والكوفة ـ خمسة عشر رستاقاً وكان عدد البيادر ٢٤٠ بيدراً في الوقت الذي كان فيه حاصل الطسوج من الحنطة (٥٠٠ كرّ) ومن الشعير (٥٠٠ كرّ)[٢] بينما نُلاحظ في طسوج الفلوجة السفلى عدد الرساتيق (٦) والبيادر (٧٢) ومع ذلك كان أنتاجه (٢٠٠٠ كرّ) من الحنطة و(٣٠٠٠ كرّ) من الشعير. وفي طسوج سورا وبربيسما الذي يشتمل على (١٠) رساتيق و(٢٦٥) بيدراً كان أنتاجه من الحنطة (٧٠٠ كرّ) أو (١٥٠٠ كرّ) كما قال قدامة، ومن الشعير (٢٤٠٠ كرّ) أو (٤٥٠٠ كرّ) كما قال قدامة. فلا يمكن أن يكون أنتاج منطقة مساحتها قليلة، وعدد أماكن جمع المحصول فيها قليلة أيضاً، أكثر من أنتاج الفلوجة العليا ذات المساحة الواسعة نسبياً. فمن المُحتمل أن هناك خطأً في العدد كأن يكون (٢٥٠٠ كرّ) من الحنطة ومثلها من الشعير أو (١٥٠٠ كرّ) لكلٍ من المحصولين. غير أننا لم نجد مصدراً آخراً يذكر المحاصيل الزراعية وتوزيع أنتاجها على مراكز المنطقة، وكمية أنتاجها، مثل ما قدّم لنا ابن خرداذبة وقدامة لكي نستطيع مقارنة ذلك على الأقل.

---

١. ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧.

٢. ابن خرداذبة: ص١٠؛ قدامة: ص٢٣٧. والبيدر هو المكان الذي يُداس فيه الحبوب.

ومن مناطق زراعة القمح، بالإضافة الى ما ذكره ابن خرداذبة في قائمته هي البهقباذات وكوثى[١].

وكانت أكثر مناطق زراعة القمح، مشهورة بزراعة الشعير، وهذا يعني أن الأرض التي تزرع حنطة يوجد فيها شعير كذلك.

يُزرع الأرز، بالإضافة الى سورا وبريسما، في السيبين[٢] الأعلى والأسفل اللذين يُعتبران من طسوج سورا عند قصر ابن هبيرة[٣]. وفي منطقة البطائح[٤] كما يُزرع من الحبوب السمسم والقطن في البهقباذات ـ الأعلى والأوسط والأسفل ـ وكوثى[٥].

وأشتهرت سورا بزراعة البقل[٦] والكوفة في الباقلاء[٧]. وفي البهقباذات توجد الخضروات والمقاثي[٨]. ويوجد في مدينة النيل مزارع كثيرة[٩]. والراجح

---

١. البلاذري: فتوح، ص٢٧١؛ الطوسي: تهذيب الأحكام، ج٤، ص١٢٠.

٢. الصابي: ص٢٥٨.

٣. ياقوت: البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

٤. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١١٩.

٥. البلاذري: فتوح، ص٢٧١.

٦. البقل: كل عشبة تنبت في بزر ولم تنبت من أروقة باقية، أبو حنيفة الدينوري: النبات، ص٦٣؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢١٤.

٧. الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٣٧.

٨. المقاثي: نوع من الخضروات ومفرده القثاء. البلاذري: فتوح، ص٢٧١؛ أخوان الصفا: ج٢، ص١٦١.

٩. القرماني: أخبار الأول، ص٤٩٠.

أن ذكر الخضروات يأتي مع المزارع والبساتين، فعندما يُقال عن المدينة الفُلانية ذات مزارعٍ كثيرة، يعني أنها تحتوي على خضرواتٍ مختلفة.

ويكثر النخيل في الحلّة حتى أن دورها كانت بين حدائقه[١]. وقد شجّع صدقة بن مزيد زراعة البساتين[٢] فيها. وهناك بعض الروايات التي تبين كثرة النخيل في هذه المنطقة، ففي سنة ٦٥٣هـ هبّت ريح قوية وقعت نتيجتها ثلاثة آلاف نخلة من نخل الكوفة ومن نخل السيب، وأُغرقت حوالي سبعين ألف نخلة[٣]. وتزرع في البهقباذات وكوثى أشجار النخيل[٤]. وفي سنداد يوجد نوع من النخل المنبق[٥] وكذلك يُزرع النخيل في النيل[٦].

أما أنواع التمور فقد ذكرنا النخيل المنبق، وفي الكوفة يوجد الترسيان وهو طيب[٧] والمشان والسايري[٨] والهيرون آزاذ[٩]، ويوجد أيضاً قصب العنبر[١٠] وهو نوع من التمر اليابس[١١].

---

١. ابن جبير: ص١٨٩؛ ابن بطوطة: ص٢٢٠.

٢. ابن الجوزي: ج٩، ص٢٣٦.

٣. ابن الفوطي: ص٢٧٧.

٤. البلاذري: فتوح، ص٢٧١.

٥. الهمداني: صفة، ص٢٣١.

٦. ابن الجوزي: ج٩، ص١٤.

٧. الجواليقي: المعرب، ص٢٣٨.

٨. ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج٢، ص٢٢٠.

٩. نفس المصدر: ج٢، ص٢٢١.

١٠. نفس المصدر والصفحة.

١١. ابن منظور: (مادة قسب).

لقد شجّع عضد الدولة سنة ٣٩٦هـ زراعة النخيل وأشجار الفواكه الأخرى[١]، ويُقال أن أشجار الفواكه كالنارنج وأشجار الأترج[٢]، دخلت العراق من الهند بعد الثلاثمائة[٣]. وقد أشتهرت قرية بشير التي تقع قرب الحلة بكثرة الأشجار والفواكه[٤]. وأشتهرت بابل بزراعة الكروم وكانت تتصف بالجودة، وقد عُمِلَ منها الخمور[٥]. وكانت سورا كثيرة الأعناب[٦] والرمّان الجيد[٧]. وتزرع الكروم أيضاً في البهقباذات[٨].

كانت الآجمة التي تقع قرب الحلّة من المراعي المهمة لكثيرٍ من الحيوانات، لاسيما وأن المنطقة تشتهر بكثرة المواشي من أغنامٍ وأبقار[٩] وفيها أيضاً القصب[١٠] الذي يدخل في صناعة الحصران وبيوت البدو. كما أن هناك

١. مسكويه: تجارب، ج٢، ص٤٠٥.
٢. قال أبو حنيفة الدينوري أن الأترج كثير ببلاد العرب وأنه يغرس غرساً، وأن شجرته تبقى تحمل عشرين سنة. وحملها مرة واحدة في السنة ومنها الحلو والحامض، النبات، ص٤٠.
٣. المسعودي: مروج، ج٢، ص٤٣٨.
٤. ابن جبير: الرحلة، ص١٩١.
٥. ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٦٠.
٦. الشابشتي: ص٤٦؛ المقدسي: ص١١٧؛ ياقوت: ج١، ص٤٤٧، ج٣، ص١٨٥.
٧. الكليني: الكافي، ج٦، ص٣٥٤.
٨. البلاذري: فتوح، ص٢٧١.
٩. أنظر: التنوخي: الفرج، ص٢٩٠ ـ ٢٩١؛ ابن الجوزي: ج٨، ص٢٩، ج٩، ص٣٠.
١٠. أبو يوسف: الخراج، ص١٠٣؛ ابن الجوزي: ج١٠، ص٢٧.

ضروباً من النباتات التي تعتبر غذاءً للحيوانات كالحلفاء[١] كما يوجد البردي كذلك[٢].

ومن الأخطار التي تهدد الزراعة ـ خاصةً الحبوب ـ الجراد، الذي يأكل الحاصل، فقد سبب هجوم الجراد الغلاء في عدة سنوات مثلاً سنة ٣١١هـ و ٣٤٨هـ[٣] و ٤٦٥هـ[٤] و ٤٦٨هـ[٥]. وكان الناس يصطادونه ويأكلونه[٦] وقد حاول الفلاحون مكافحته بضرب الطبول والأبواق[٧] وهي طريقة قليلة الجدوى.

وقد كانت الأسمدة الحيوانية تستعمل في زراعة البقول والخضروات[٨] والفواكه[٩]. وأستعملت الأبقار والجواميس[١٠] للحراثة وسقي الأرض. والمنجل للحصاد[١١]

١. الجاحظ: الدلائل والأعتبار، ص٢٥.

٢. نفس المصدر والصفحة.

٣. ابن الأثير: ج٨، ص٤٩، ١١٠.

٤. ابن الجوزي: ج٨، ص٢٧٨.

٥. نفس المصدر: ج٨، ص٢٩٧.

٦. التنوخي: الفرج، ص٣٢٢.

٧. الدوري: تاريخ العراق، ص٥٠. عن ابن العبري.

٨. الجاحظ: الدلائل، ص٢٥.

٩. ياقوت: الأدباء، ج٥، ص٣٠٦.

١٠. الدمشقي: الإشارة الى محاسن التجارة، ص٣٨.

١١. الثعالبي: خاص الخواص، ص٦٤.

والمساحي للحرث[١] والحبال[٢] لربط الحيوانات بعضها ببعض أو لسحب المياه. والهيب لحفر الأرض[٣].

ملحق قائمة ابن خرداذبة وقُدامة بن جعفر

لبعض الطساسيج المهمة في منطقة الفرات الأوسط

ت	الطسوج	الرساتيق	البيادر	الحنطة	الشعير	الورق
١	بابل وخطرنية	١٦	٣٨٧	٣٠٠٠ كرّ	٥٠٠٠ كرّ	٣٥٠٠٠٠ درهم
٢	الفلوجة العليا	١٥	٢٤٠	٥٠٠ كرّ	٥٠٠ كرّ	٧٠٠٠٠ درهم
٣	الفلوجة السفلى	٦	٧٢	٢٠٠٠ كرّ	٣٠٠٠ كرّ	٢٨٠٠٠٠ درهم
٤	النهرين	٣	١٨١	٣٠٠ كرّ	٤٠٠ كرّ	٤٥٠٠٠ درهم
٥	سورا وبريسما	١٠	٢٦٥	٧٠٠ كرّ	٢٤٠٠ كرّ	١٠٠٠٠٠ درهم
			قُدامة	١٥٠٠ كرّ	٤٥٠٠ كرّ	٢٥٠٠٠٠ درهم

ابن خرداذبة: ص ١٠   قدامة بن جعفر: ص٢٣٦

---

١. إخوان الصفا: ج ١، ص٣٨٣؛ ياقوت: الأدباء، ج ١، ص٨٥.

٢. ياقوت: الأدباء، ج ١، ص٨٥؛ سماها الطلق ومعناها الحبال. أنظر: ابن منظور: (مادة طلق).

٣. التنوخي: نشوار المحاضرة، ج ١، ص٨٦.

الصناعة

تعدّ المنسوجات من الصناعات المهمة في منطقة الفرات الأوسط فكانت مدينة قصر ابن هبيرة "كثيرة الحاكة واليهود"[١]. وفيها (في القرن الخامس الهجري) سوق المغزل كان ضمان نصفه سبعمائة دينار سنوياً، وضمان النصف الآخر ألف دينار سنوياً[٢]. وهذا يدل على أهمية صناعته وكثرة المحلات ومن يشتغل بها.

أما الحلّة فقد وصفها ابن جبير بقوله: "حفيلة جامعة المرافق المدنية والصناعات الضرورية"[٣] ومن المُحتمل أن صناعة المنسوجات والغزل والحياكة لتي أشتهرت بها مدينة القصر قد أنتقلت إليها. وهناك بعض الروايات التي تبين وجود الأقمشة في الحلّة وقد دخلت ضمن الضريبة المفروضة على المزيديين، ففي سنة ٥٢٣هـ ألتزم دبيس بأن يُعطي الخليفة مقداراً من المال وقماشاً[٤]. كما يُحتمل أن تكون هذه الأقمشة مستوردة.

---

١. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٢١.

٢. ياقوت: البلدان، ج٤، ص١٢٣ـ١٢٤؛ عن الهلال بن المحسن الصابي.

٣. ابن جبير: ص١٨٩؛ ابن بطوطة: ص٢٢٠.

٤. الذهبي: دول الإسلام، ج٢، ص٣١ـ٣٢. وأنظر أيضاً ابن الأثير: ج٩، ص٦٤؛ ابن خلدون: م٤، ص١٠٠٠.

ومن منسوجات هذه المنطقة "المناديل القصرية"[١]. كما توجد الثياب النرسية المعروفة بالخطرنية[٢] نسبةً الى خطرنية الواقعة بالقرب من بابل. وأشتهرت الكوفة بنسيج الخمر والريط الكوفية[٣]، والفوط وهي نوع من الملابس يلبسها الحمّالون وهي عبارة عن إزار مخططة[٤].

ومن المُحتمل أن الثياب اليهودية[٥] التي يتردد ذكرها في كتاب الشيباني يُقصد بها ما يُنسج في قصر ابن هبيرة.

وأشتهرت الكوفة بصناعة العطور كالبنفسج ودهن الورد[٦]، وفي الحلّة يوجد من العطور المسك والعنبر[٧] وهما من العطور المستوردة. وتصنع في بعض مدن المنطقة الخمور[٨] قبل الفترة المزيدية، مثل سورا وبابل. كما ذُكر

١. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٢٨.

٢. المسعودي: مروج، ج٦، ص٥٩. سماها الثياب النرسية، وكذلك البراقي: تاريخ الكوفة، ص١٩١. بينما ذكرها الجواليقي: ص٣٣٧؛ وابن منظور: (مادة نرس) على أنها الثياب النرسية نسبة الى نهر النرس. وكذلك راجع صالح العلي: بحث الأنسجة في مجلة الأبحاث، لسنة ١٩٦١م، ج٤، ص٥٨٥. وأنظر أيضاً Serjeant: 'Katerial for a history of Islamic textiles up to the Mongol conquest' in Ars Islamica (1942) p. 86.

٣. الأغاني، ج٣، ص٤٥؛ أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء، ج١، ص٦٠.

٤. ابن منظور: (مادة فوط)، ج٩، ص٢٤٨.

٥. الشيباني: الجامع الكبير، ص١٥٣، ٢٤٣.

٦. الثعالبي: لطائف المعارف، ص١٦٩.

٧. ابن الجوزي: ج٩، ص٣٠؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٣١.

٨. عن الخمور أنظر: البكري: معجم ما أستعجم، ج١، ص٢٨٠؛ الأغاني، ج٢، ص٣٥٥، ج١٣، ص٣٢٨؛ الشابشتي: ص٤٦؛ ابن قتيبة: المعاني الكبير، ج١، ص٤٦٤؛ وهذه المصادر قديمة إلا أنه توضح لنا وجود الخمر في بعض المواضع في منطقة الفرات الأوسط. وكذلك ياقوت: البلدان، ج١، ص٤٤٧، ج٣، ص١٨٥.

وجود الخمر في الحلّة[١]. إلا أننا لا نعلم هل يُصنع فيها أم يُستورد من مناطق أخرى. وقد وردت بعض الروايات التي تُشير الى وجود الصياغة وبعض المهن المتصلة بصناعة التحف والهدايا، فمثلاً من جملة الحاجات التي أخذها السلطان جلال الدولة ملكشاه من صدقة بن مزيد خمسمائة قطعة من الفضة وألوان من التماثيل[٢]. وفي الحرب بين صدقة والسلطان سنة ٥٠١هـ طلب أحد أبناء صدقة من أبيه أن يستعطف السلطان بحمل التحف والأموال[٣]. وكان عند أمراء بني مزيد الجواهر[٤]. ومع أن هذه الروايات فردية لا تعطي الدليل الجازم على وجود مثل هذه الصناعات في الحلّة، غير أن وجود الفضة والذهب والجواهر والتحف تدل على وجود مهنة الصياغة، لاسيما أن مدينة الحلّة محطة تجارية.

ومن كل ما ذُكر نستنتج أن لمنطقة الفرات الأوسط أهمية إقتصادية بارزة قبل مجيء المزيديين، وعندما سيطر هؤلاء على المنطقة لم يعملوا على إضعاف تلك الأهمية، بل على العكس فقد أثروا فيها تأثيراً إيجابياً ودافعاً وعملوا على تنشيطها، على الرغم من إنشغالهم بالأمور السياسية التي كانوا يهدفون منها الى تثبيت إمارتهم وتمكين سلطة حكمهم وتوسيع مناطق نفوذهم.

---

١. سبط ابن الجوزي: مرآة، ج٨، ص١٠٢، ١٠٩.

٢. ابن كثير: ج١٢، ص١٣١.

٣. ابن الأثير: ج١٠، ص١٦٦.

٤. سبط ابن الجوزي: ج٨، ص٢٦_٢٧، ٢٨.

الفصل السابع

التشيّع في حلّة بني مزيد

المبحث الأوّل: دور الحلّة ومنطقتها في حركة التشيّع

علينا تشخيص عدّة أمور أساسية في البحث حول دور مدينة الحلّة ومنطقتها في حركة التشيّع خلال المدة التي ولدت فيها الإمارة المزيدية الأسدية ثم تطورت وتوسعت حتى منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر للميلاد:

١ـ تحديد دور مدينة الحلّة التي تأسست في نهاية القرن الخامس الهجري من قبل الأمير المزيدي المشهور صدقة بن منصور، ملك العرب، تحديد عام إذ لا يعني عدم وجود دور للحليين أو سكان منطقة الحلّة في التشيّع قبل تأسيس المدينة؛ فالحلّة مركز إدارة بني مزيد بعد التأسيس غير أنها كانت أيضاً مركزاً إدارياً لمنطقة واسعة ضمّت الكثير من المدن والبلدات والقرى

الكبيرة الجامعة والقرى الصغيرة وما الى ذلك من مراكز حضرية. فعلى سبيل المثال أسس المزيديون إمارتهم أولاً في مدينة النيل الواقعة على نهر النيل. ومدينة النيل كانت هي الأخرى تشرف على ريف واسع وخصب يمتد من الجهة الغربية الى الكوفة وباديتها وشرقاً الى واسط وإقليم كسكر وجنوباً الى بطائح واسط وبطائح الكوفة وشمالاً الى نهر الملك القريب من بغداد. وعندما تأسست الحلّة ورثت هذه السعة الإدارية أيضاً. ولهذا ليس صحيحاً تحديد الدور هذا لمدينة الحلّة دون الأخذ بنظر الأعتبار هذه المنطقة الكبيرة والفسيحة التي تميزت بنمطها الزراعي وبكثرة المزارعين وكانت مدنها وقراها مأهولة بالسكان. ولقد أسهم أهالي هذه المنطقة إسهاماً فعالاً في حركة التشيّع على المذهب الإمامي قبل تأسيس الحلّة بكثير سواء كان هذا الإسهام سياسي أو عقيدي.

فمدينة النيل حاضرة المزيديين أرتبط أسمها أرتباطاً زمانياً ومكانياً بنهر النيل الذي كما يراه البلدانيون المسلمون قد أُحتفر أو كري أو أُعيد حفره من قبل الحجّاج الثقفي والي العراقين البصرة والكوفة. وإزاء هذا الافتراض فإن بعض البلدانيين يرون في نهر النيل على أنه نهر قديم أقدم من الفترة الأموية أو فترة الحجّاج. وكان يستمد مياهه من نهرٍ معروف أسمه الصراة أو بالأحرى صراة جاماسب. وبكرور الأيام تحول مجرى النهر المغذي للنيل ففقد صلاحيته للنقل والمواصلات والري وجفّت مياهه تدريجياً الى أن أضحى جافاً قبل أو خلال العصر الأموي. وأن الحجّاج الثقفي الذي أخذ

على عاتقه إعادة أستصلاح الأراضي الشاسعة من البطائح وتحويلها الى أراضٍ صالحة للزراعة والأنتاج فقد وجّه أهتمامه الى إقليم كسكر القديم والغني إقتصادياً والى إعادة أحتفار نهر النيل وكريه ليسترد مياهه وعافيته في إرواء منطقة زراعية فسيحة[١].

وبغية توضيح الخصائص الجغرافية والحضرية للتفرعات النهرية لمنطقة النيل والحلّة وتأثيرها على توزيع المراكز الحضرية وعلى كثافة السكان وتوزيعهم، نأتي على ذكر نص قدامة بن جعفر في كتابه (الخراج وصناعة الكتابة) إذ يقول: "إن نهر الفرات بعد تجاوزه مدينة الأنبار ينقسم الى نهرين، الأول منهما يسير بأتجاه مدينة الكوفة وهو ما يعرف بنهر العلقمي أما الآخر فيستمر مستقيماً ويعرف بنهر سورا. وهذا النهر يمرّ بموضع سورا المشهور جداً ثم يمرّ بمدينة النيل وما يتصل بها من قرى ومواضع فيسقي أراضي الكثير من أعمال السواد"[٢]. فوصف قدامة يبين بجلاء قِدَم نهر النيل ومدينة النيل والمنطقة المحيطة بهما، إنها منطقة زراعية مأهولة.

وفي هذه المنطقة مدن ومواضع أدت أدواراً مهمة في التشيّع منها قرية بربيسما ومطير آباذ والأميرية والمزيدية والسيب الأعلى والسيب الأسفل

---

١. ينظر عن عملية كري النهر: الزهري: أبو عبد الله: كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، دمشق، ١٩٦٨م، ص٢٤٩؛ سهراب أو ابن سرابيون: عجائب الأقاليم السبعة، كذلك التوضيح القيّم الذي أبداه المرحوم الدكتور مصطفى جواد على هامش صفحة ٥٥ من كتاب ابن الفوطي، كمال الدين: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب.

٢. الخراج وصناعة الكتابة، شرح: د. محمد حسين الزبيدي، بغداد، ١٩٨١م، ص١٥٥.

والسيب الأوسط والطفوف وقوسان أو قسين وقرية نهر سابس وقصر ابن هبيرة والجامعين وكوثى وأبو حطب والنجمي أو النجمية وسورا وبابل والنرس وقليدية وكان أهلها من الشيعة الإمامية، فعلى سبيل المثال يصف ياقوت الحموي النعمانية التي كانت تعدّ عملاً من أعمال الزاب الأعلى في المنطقة بأن: "أهلها كلّهم شيعة"[1]. كذلك وردت صفة كل من أهالي موضع كوثى وأبي حطب أنهم شيعة. وأن أهالي النجمية أو النجمي كانوا من أتباع آل البيت. إنّ الهدف من هذه الإشارات هو التوضيح بأن منطقة الفرات الأوسط قد شهدت دوراً متميزاً في حركة التشيّع في العراق كيف لا يكون هذا وهي تضم المدينتين المقدستين النجف الأشرف وكربلاء. فيذكر النسابة المعروف ابن عنبة الحسني مثلاً أن في قرية بربيسما القريبة من الموضع القديم قصر ابن هبيرة علويون منهم من يرجع نسبه الى بني ذريق الذين أستوطنوا بالقرب من مشهد القاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. يضاف الى توزيع الكثير من مشاهد ومزارات ومراقد الأئمة أو أبنائهم أو من آل البيت الأطهار في هذه المنطقة. وبمجرد تفقد أسماء المدفونين على طول الطريق الزراعي من مركز الحلّة الى موضع الحمزة سيلاحظ الزائر أسماء الكثير من قبور آل البيت ذكوراً وإناثاً وسيساعد على فهم الأرتباط الروحي بين أهالي هذه المنطقة الزراعية الواسعة والتشيّع وبين حبهم لأئمة أهل البيت. ومن

١. معجم البلدان، ج٥، ص٢٩٤.

الجانب الآخر فعند تفقدنا قبور وأضرحة أبناء الأئمة وذويهم عبر الطريق العام من الحلّة الى النجف سيؤكد ذلك الأستنتاج المتعلق بأتساع دائرة التشيّع وأتباع الأئمة من الأهالي كما أنها تدلل على أهمية هذه المزارات في التوزيع الجغرافي للشيعة في الحلّة[1]. فقد ذكر أن مدينة النيل قد أحتضنت مقام الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام والمقام هنا له كرامة وقدسية عند السكان الذين أختاروا السكن الى جوار هذا الأثر الديني المقدس[2]. وكان يتبع النيل (المدينة) مزارع وقرى كثيرة وقد نسب إليها العديد من العلماء والشعراء[3]. ومن بين هذه الشخصيات الشيعية المشهورة التي كان لها علاقة بالإمام أبي عبد الله عليه السلام ـ ابن أبي عمير تلميذ أبان بن عثمان الأحمر وابن أبي يعفور ومعلى بن خنيس. فيذكر في الرواية أنهم كانوا على أتصال بالإمام وفي إحدى المرات أستفسروا منه عن ذبائح اليهود هل يحلّ أكلها؟ وهذه إشارة صريحة على تطور التشيّع في النيل وأرتباط علمائها بأئمة أهل البيت[4].

١. يراجع مؤلف السيد حيدر موسى الحسيني (المزارات)، ومحمد حرز الدين: مراقد المعارف، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.

٢. ينظر: الهروي، أبو الحسن: كتاب الإشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق: يورديل، دمشق، ١٩٥٣م، ص٨.

٣. البراقي، السيد حسين: عقد اللؤلؤ والعقبان في تحديد أرض كوفان، تحقيق: د. حسن الحكيم و د. علي المظفر، النجف، ١٤٢٢هجرية/ ٢٠٠١م، ص٥٧.

٤. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن: أختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، طهران، ١٣٤٨ هجرية، ص٢٤٨.

وهناك في قرية مطير آباذ مقام للإمام موسى بن جعفر عليه السلام[١]. فضلاً عن أن القرية كان موضعاً لسكنى بني مصابيح وهم من السادة العلويين ويعرفون بآل الحطب ويرجع نسبهم الى زيد الشهيد عليه السلام[٢].

وقرية قوسان وهو أسم للقرية والنهر وهي من قرى النيل ورد ذكرها في تاريخ ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي، إذ وقف أهلها مع المختار ضد الأمويين وضد مصعب بن الزبير[٣]، ويُنسب الى قوسان شخصيات شيعية بارزة نظير الحسن بن جعفر بن علي القوساني الرئيس وفخر الدين أبو نصر القوساني الذي تسلم وظيفة ناظر الحلّة[٤]. وفضلاً عن مدينة النيل وقراها هناك قرى ومواضع تقع ضمن منطقة الحلّة والكوفة أمثال السيب الأعلى التي كانت مأهولة بالسكان وكان لصدقة بن منصور دار فيها عرف بدار السيب[٥]، وشهدت هذه القرية حركة علوية ضد العباسيين. إذ ثار فيها يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام في سنة ٢٥٠هـ وأورد مؤلف العيون والحدائق المجهول أن يحيى بن عمر ثار أولاً في الكوفة ثم

---

١. الهروي: المصدر السابق، ص٨٠.

٢. ابن عنبة: عمدة الطالب، ص٢٦٠.

٣. البلاذري، أحمد بن يحيى: أنساب الأشراف، (بالأوفست، مكتبة المثنى، بلا تاريخ) ج٥، ص٢٥٨؛ الطبري، أبو جعفر: تاريخ الرسل والملوك،

٤. ابن الفوطي: تلخيص، ج٤، قسم ١، ص٦٥، ج٤، قسم ٣، ص٣٨٠.

٥. أبو البقاء بن نما الحلي: المناقب المزيدية، تحقيق: د. صالح درادكة و د. محمد عبد القادر خريسات، عمان، ١٩٨٤م، ص٥١.

أنتقل الى سوادها وألتحق به جمعٌ من أنصاره من الزيدية ومن قبائل الطفوف والسيب وبعد ذلك أنتقلت ثورته الى ناحية سورا[١]. فالراجح أن أهالي هذه المنطقة الممتدة من الكوفة شرقاً الى سورا والسيب كانوا شيعة قبل أن تؤسس مدينة الحلّة بأكثر من قرنين.

وحسب قول البلدانيين أن النعمانية كانت خلال عهد إمارة بني مزيد تابعة لأعمال الزوابي (جمع زاب) ووصفت بكثرة الخيرات والمزروعات، وأن لها قرى ورساتيق زراعية. وصفها ياقوت الحموي بكون أهلها كانوا كلهم شيعة[٢]. ونلحظ أن الهروي يميل الى القول بأن مقام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان في النعمانية[٣]. ونهر سابس، النهر والموضع، كان من أعمال سورا ووصف المكان بأنه مشتبك العمارة. وينسب الى سابس أحمد بن هبة الله بن محمد الحسني النهر سابسي وكان من أجلّ النقباء ومن أشراف الطالبيين في الكوفة[٤]، ويذكر أن قبر الإمام القاسم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام يقع في أرض سورا وهو موضع مهم يقع بالقرب من النيل.

---

١. العيون والحدائق في أخبار الحقائق: تحقيق: نبيلة عبد المنعم و د. فيصل السامر، بغداد، بدون تاريخ، ص٤٤٨.

٢. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٩٤؛ وعن المنطقة: اليعقوبي، محمد بن واضح: البلدان، ص٣٢٢.

٣. الإشارات، ص٨٠.

٤. غرس النعمة، محمد بن هلال الصابي: الهفوات النادرة، تحقيق: صالح الأشتر، طبعة أولى، دمشق، ١٩٦٧م، ص٤٥.

والمعروف أن سورا كانت من أعمال الحلّة السيفية. وذكر العلامة ابن طاووس قصة حول قيّم مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ترجع الى سنة ٥٠١هـ خاطب الإمام بشأن كشف الغمة عن أهالي سورا بسبب ما حلّ بهم من غلاء وشحّة في المواد الغذائية قائلاً في دعائه وأسترحامه: أنه قد خدم المشهد لمدة مائة سنة ويطلب شفاعة الإمام ومساعدته للأهالي[١]. ويوجد في هذه المنطقة أيضاً مرقد إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي أستشهد في باخمرا سنة ١٤٠هـ[٢]. وفي سورا، حسب قول ابن عنبة الحسيني، بقية من آل عمر بن الحسن الأفطس من العلويين، وبين المدائني الذين أتخذوا موضع الوقف (وقيل القف) الذي كان يقع قرب سورا. وقد ذكر ابن عنبة عوائل علوية أخرى قد سكنت سورا أمثال بني الخالصي[٣].

والحديث هنا يشمل أيضاً قصر ابن هبيرة الموضع الذي أسسهُ يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أيام حكم مروان بن محمد. وعلى الرغم من أن القصر قد آل الى الخراب ـ نقصد الموضع ـ بحدود منتصف القرن الخامس الهجري وقبيل تأسيس الحلّة وأن كثافة سكانه قد قلّت لكن هناك من بقي في الموضع ومن بين هؤلاء آل زيد الأطروش بن الحسن بن الحسين من

١. النقيب غياث الدين السيد عبد الكريم (ت ٦٩٣هـ): فرق الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٦٨هـ ص١٢٨.

٢. المسعودي، أبو الحسن علي: التنبيه والإشراف، بيروت، ١٩٦٠م، ص٣٤١.

٣. عمدة الطالب، صفحات ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٧٢، ٢٧٨؛ كركوش، يوسف: تاريخ الحلّة، طبعة أولى، النجف، ص٧.

أعقاب زيد بن علي عليه السلام إذ أتخذوه سكناً[1] كما سكنه أيضاً قوام الدين عبد الله بن أبي القاسم الأسدي القصري[2]. ووصفت كوثى وأبو حطب أنهما من المواضع الشيعية الإمامية، ويقع فيها ضريح للإمام علي عليه السلام وضريح أم الويلاد أو الأولاد. وتعرّض كتاب الحوادث الجامعة الى موضع يقع في المنطقة يعرف بقبة النجمي ولعله القبة المقصود بها هي قبّة الشيخ أبي البقلي في ناحية النجمية وهي قرية تابعة لقوسان وقد وصف أهلها بأنهم فقراء ومن الصالحين. وحسب قول مؤلف الحوادث أن رجلاً ظهر في هذه القرية وأدعى أنه نائب عن صاحب الزمان عجل الله فرجه فاجتمع أهل الناحية حوله وأتبعوه[3]. والملاحظ أنه حادث يعكس لنا أن الأهالي المزارعين في قرية النجمي كانوا من أتباع أهل البيت ومن الشيعة الإمامية. وفي هذه الناحية يوجد أيضاً عدّة مشاهد شيعية أخرى مثل مشهد الشمس ومشهد أبناء إدريس. والمناسب قوله أن الداخل الى الحلّة بأتجاه النجف يجد لوحة تؤشر شمالاً الى مشهد ردّ الشمس.

تقسيمات الحلّة وتوابعها

ولما كنا قد تعرضنا في أعلاه الى القرى والمراكز الحضرية التي كانت تقع ضمن منطقة الحلّة الواسعة أصبح لزاماً تسميتها وتشخيصها وذلك لأنها قرى

---

١. العمري النسابة، نجم الدين أبو الحسن علي بن محمد: المجدي في أنساب الطالبيين (قم المقدسة، ١٤٠٨هـ) ص١٦١.

٢. الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي، ص٧٩٩.

٣. الحوادث، ص٤٧٩.

زراعية ومنتشرة حول المزارات والمشاهد العلوية الأمر الذي يعكس الكثافة السكانية للتشيع في الحلّة قبل وأثناء قيام الإمارة المزيدية. فأغلب هذه المنطقة مقسمة الى بهقباذات، والبهقباذ كما مرّ ذكره في الفصل الرابع يُقصد به الأرض الخيرة أو الأرض الخصبة[1]. وكان كل بهقباذ يضم عدداً من الطساسيج، الأراضي الزراعية، فالطساسيج التابعة للبهقباذ الأعلى هي: طسوج بابل وطسوج خطرنية وطسوج الفلوجة العليا والسفلى وطسوج النهرين وطسوج عين التمر[2]. أما البهقباذ الأوسط فيضم طسوج سورا وطسوج بربيسما وباروسما[3]. فضلاً عن هذا فقد كانت مدينة الحلّة تشرف إدارياً على قرى ومواضع الصروات، وحصن بشير، والمشترك، والأميرية والمنقوشية وزاقف والقنطرة وشوشة والمهاجرية وبر ملاحة أو بئر ملاحة والغامرية والمزيدية وهذه جميعها كانت مرتبطة بالنيل قبل تأسيس الحلّة.

وكانت مدينة بابل قبل تأسيس الحلّة تضم كل من عقر بابل القريبة من كربلاء، وشالها وقدومي والدير ونفر وأجمة البرس والقف وباجوا. وكما مرّ ذكره فإن مشهد القاسم بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان في سورا، فيقول

---

١. الدينوري، أبو حنيفة: الأخبار الطوال، نشر كراتشكوفسكي، بريل، ليدن، ١٩١٢م، ص٦٨؛ اليعقوبي، أحمد بن واضح: تاريخ، نشر هوتسما، بريل، ليدن، ١٨٨٣م، ج١، ص٢٠٢.

٢. ابن خرداذبة، أبو القاسم: المسالك والممالك، نشر دي خويه، بريل ـ ليدن، ١٨٨٩م، ص٨؛ قدامة بن جعفر: الخراج، ص٢٣٦.

٣. ابن خرداذبة: ص٨.

السيد مهدي القزويني أن القاسم كان في سورا وكان معروفاً خلال فترته بأسم نهر الجربوعية وهو من أعمال الحلّة السيفية[1]، وبالقرب من سورا كانت هناك عدة قرى مثل القف وباجوا وبنورا وشانيا وغطظ ويقع قرب قصر ابن هبيرة وتحاذيه الى غرب كربلاء. ويقع بالقرب من مدينة النيل قرى ومراكز حضرية أخرى مثل قيلوية والأميرية والمنقوشية السابقة الذكر وقصر سنداد ونهر ماري وزاقف المذكورة سلفاً والمباركية.

وجميع هذه القرى والمراكز الحضرية أراضٍ زراعية يقطنها الفلاحون الفقراء وكانوا من الشيعة الإمامية قبل أن يؤسس المزيديون إمارتهم. وحسب أوصاف ياقوت الحموي أن هذه القرى أخرجت عدداً من العوائل العلمية نظير عائلة السوراني التي كما يقول عنها العلامة محبوبة رحمه الله أتجه عدد من علمائها على أثر تأسيس الحوزة العلمية من قبل شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي الى جوار الإمام عليعليه السلام في النجف[2]. ومن علماء سورا المشهورين الحسين بن علي السوراني موضعاً والحربي سكناً، والحسين بن هبة الله بن رطبة السوراني. وقد أتى الدكتور حسن عيسى الحكيم في بحثه القيّم (مراكز العلم في قرية سورا) على ذكر العديد من هؤلاء العلماء والشيوخ[3]، كما أنّ الدكتور الحكيم قد أتى على ذكر العلماء الذين تخرجوا في

---

١. ابن عنبة: العمدة، ص٢٨٤؛ البراقي: تاريخ الكوفة، ص١٩٠ عن العلامة مهدي القزويني.

٢. ماضي النجف، ج٢، ص٣٦٩.

٣. مراكز العلم في الحلة قرية سورا، المنشور في جريدة الجنائن، عدد ٥، ٢٠٠٠م.

قرية برس ووردت تسميتها بأجمة البرس فمنهم من صنّف كتباً عن أئمة أهل البيت أمثال الشيخ رجب البرسي مؤلف كتاب (مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين) وصنّف مجموعة شعرية في مدح آل البيتعليهم السلام[1]. وشهرت قرية السيب التي كانت (دار السيب) لصدقة المزيدي تقع فيها بالعالم الشيخ شمس الدين السيبي[2].

للوصف الذي ذكره الرحالة ابن بطوطة أهمية قصوى بالنسبة الى موضوع البحث فهو يذكر بعد رحلته من الكوفة أنه نزل مع القافلة في بئر ملاحة (ذكرت أيضاً بر ملاحة) من قرى الحلّة التي تبدلت مرتبتها الحضرية عند زيارة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري الى بلدة حسنة تقع بين حدائق ونخيل. وقد نزل ابن بطوطة خارج بر ملاحة. ويعقب على سبب عدم دخوله بر ملاحة ما نصّه: "وكرهت دخولي لها لأنّ أهلها روافض". وعند الصباح غادر بر ملاحة مع القافلة الى مدينة الحلّة التي وصفها بأنها كانت كبيرة ثم يعقب قائلاً: "وأهل هذه المدينة كلها إمامية أثنا عشرية"[3]. ويذكر أن هناك مشهداً لصاحب الزمان وقصته: "أن محمد ابن الحسن العسكري (عج الله فرجه) دخل ذلك المسجد (يقصد المشهد) وغاب فيه وأنه سيخرج

---

١. ينظر: مراكز العلم في الحلة/قريتا برس وهرقل، جريدة الجنائن، عدد ٣٧، لسنة ٢٠٠١م.

٢. المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، طهران، ١٩٨٩م، ج١٠، ص١٠٥ ـ ١٠٦.

٣. رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مصر، ١٩٥٨م، ج١، ص١٣٨.

وهو الإمام المنتظر عندهم"[١]، وهذه القصة لا تتفق مع ما ورد عن الغيبة الكبرى للإمام عليه السلام في سامراء، ويُحتمل أن ابن بطوطة أستفسر عن معنى صاحب الزمان فذكر له غيبة الإمام فألحقها بمشهد صاحب الزمان. ومهما يكن فإن وصف ابن بطوطة يعكس طبيعة مجتمع الحلّة ومنطقتها على أنهم شيعة إمامية.

بنو مزيد والتشيّع

سبقت الإشارة الى كون القبائل العربية التي نزحت صوب الفرات الأوسط من الشيعة الإمامية، صحيح أن بعضها أبّان ثورة البساسيري في سنة ٤٥٠هـ قد تأثر بدعوة مؤيد الدين داعي الدعاة الفاطمي فأعلنوا ولاءهم للخليفة الفاطمي في مصر ومن بينهم بني مزيد، مع أن ولاءهم هذا لم يكن عقيدياً، فقد ظلّ المزيديون مترددين في الدخول في دعوة مؤيد الدين والواضح أنهم لم يدخلوا في صراع سياسي مسلح ضد الخليفة العباسي. وفيما يتعلق بأرتباطهم الروحي والمذهبي فقد بقي المزيديون على ولائهم لآل البيت الأطهار ليس في نظر أهالي الفرات الأوسط فحسب بل في نظر الخليفة العباسي والأمراء البويهيين. ومع كون البويهيين شيعة زيدية أو إمامية، فإن الشيعة في المنطقة وفي واسط وبغداد والسلطة العباسية كانوا ينظرون الى أمراء بني مزيد على أنهم شيعة وأنهم المدافعين عن حقوقهم وشؤونهم وحلٍّ

---

١. رحلة، ج١، ص١٣٩.

مشاكلهم. وفي عدّة مناسبات أضطر الخليفة العباسي الى أن يستنجد بالمزيديين بهدف تهدئة الأوضاع الأمنية المرتبكة في العاصمة، ففي سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م وقعت فتنة طائفية بين السُنّة والشيعة في واسط، كان من نتائجها نهب السنّة محلات الشيعة والزيدية، فشكّل وجهاء الشيعة وزعمائهم وفداً قصدوا علي بن مزيد في النيل مستغيثين به وطالبين النجدة والمساعدة[1] على الرغم من هيمنة البويهيين على السياسة والجيش، فإن أهالي واسط لم يقصدوهم وفضّلوا الإستعانة بالمزيديين. الحالة التي تعكس بوضوح سعة نفوذهم وسلطة علي بن مزيد أولاً ولكونه صار المعوّل عليه في المنطقة والمناطق المجاورة أمثال واسط، وكذلك الأكثر أهمية أعتراف الأهالي بزعامة علي الشيعية وكونه راعياً لهم. وتكررت الحالة في سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م فيذكر ابن الأثير أن فتنة مذهبية وقعت في هذه المرة ليس في واسط إنما في بغداد وأندلعت الفتنة بين السُنّة والشيعة، وأحرق السُنّة بعض الأضرحة المقدسة عند الشيعة. فلما وصلت هذه الأخبار الى مسامع دبيس بن علي غضب غضباً شديداً وأندفع سريعاً بقطع الخطبة من على مساجد النيل وتوابعها بأسم الخليفة القائم، وأتسعت دائرة قطع الخطبة في أعمال الفرات الأوسط. يقول ابن الأثير: "وقاده غضبه الى قطع الخطبة في أعماله". ولم

---

١. ابن الجوزي، أبو الفرج: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة المعارف، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ ج٧، ص٢٨٣؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي: الكامل في التاريخ، القاهرة، ١٢٩٠هـ ج٩، ص١١١؛ الذهبي، شمس الدين: العبر في خبر من غبر، تحقيق: فؤاد سيد، الكويت، ١٩٦١م، ج٣، ص٩٦.

يكتف بذلك إنما عاتب القائم مشيراً في عتابه الى عدم قدرة الخليفة على المحافظة على الأمن والضرب على أيدي المسببين لحادث الحريق[١]. فمجريات هذا الحادث وما تركه من آثار عند الأمير المزيدي يعكس مدى أرتباطه العقيدي الإمامي وأنه الحامي المؤثر للشيعة في بغداد وإن كان الخليفة نفسه قد أظهر بالفعل ضعفه أزاء هذا العمل المروّع. والواقع أن الخليفة العباسي قد فقد في هذه الفترة أي قدرة في حماية الشيعة أو في ضبط الأمن والنظام فضلاً عن تشجيعه ومساعدته إثارة الفتن الطائفية وذلك بميله الى جانبٍ من المجتمع البغدادي ضد الآخر. ولهذا فقد عاتبه علي بن مزيد على تساهله وعدم سيطرته على الأحداث.

وينبغي علينا عدم التقليل من موقف دبيس بن علي من الدعوة الفاطمية، فالأدلة التاريخية تشير الى أن دعمه للبساسيري كان بسبب شيعيته وأنه دخل في مصاهرة مع البساسيري الشيعي الولاء. وإذا ما تتبعنا علاقة دبيس بداعي الدعاة الفاطمي الذي أبلغه أن الخليفة الفاطمي قد أسبغ على دبيس لقب (سلطان ملوك العرب سيف الخلافة صفي أمير المؤمنين) يتبين بجلاء أنه كان يمثل قوة فاعلة ومؤثرة. فلقب سلطان ملوك العرب أكثر نفوذاً وهيمنة من لقب ملك العرب. حقيقة أن الخليفة الفاطمي كان يهدف من وراء الألقاب هذه تشجيع زعماء القبائل العربية على مواقفهم المؤيدة للفاطميين، ولكن اللقب من جهة ثانية له أبعاد دينية وسياسية واضحة. وهذا ما تدعمه الرواية

---

١. الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٢٤.

الآتية التي وقعت في سنة ٤٧٨هـ عندما توفي منصور والد صدقة، فقد أوفد الخليفة نقيب العلويين الى صدقة يُعزيه بوفاة والده[١]. فإيفاد مسؤول علوي كبير في بغداد للتعزية تؤكد دون شك على المكانة الكبيرة التي يحتلها المزيديون في نظر الشيعة، فالأمير صدقة لم يعمل في هذه الفترة بالذات وهو يرث الإمارة على فرض نفوذه وهيمنته على المنطقة، كالحالة التي سيظهرها في السنوات اللاحقة، ولكن الإمارة نفسها قد برهنت للخلافة العباسية أنها إمارة مؤثرة سياسياً ودينياً لذلك سعى الى كسب ودّها وجانبها.

ففي سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م عندما أندلعت فتنة مذهبية أخرى في بغداد بين السُنّة والشيعة في عهد السلاجقة الأتراك الذين كانوا يميلون الى جانب السُنّة، نهب السُنّة يساعدهم الجنود الأتراك المحلات الشيعية وسُفكت الكثير من الدماء وذلك ناتج عن قتل الناس. ومما زاد في الطين بلّة أن السُنّة تجاوزوا بقتلهم أحد العلويين الوجهاء. فالمفروض على الخليفة التدخل ومعاقبة المعتدين لكنه لم يحرك ساكناً إنما أمر بمكاتبة سيف الدولة صدقة طالباً منه إرسال مساعدة عسكرية للسيطرة على الوضع في بغداد، فأسرع صدقة بتجهيز حملة عسكرية سلّم قيادتها الى أبي الحسن الفاسي الذي تحرك سريعاً فأمر بنقض بيوت الذين قتلوا العلوي وحلق شعور الجميع عقاباً لما فعلوه عدا من كان من الأشراف أو من الجنود. فضلاً عن هذا فإن القائد أستعمل القوة في قتل قوم من المعتدين ونفي آخرين وبذلك سيطر على الموقف

١. ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٥٦.

فهدأت الفتنة[١]. فمراسلة الخليفة صدقة يعكس ضعفه وعجزه وخروج السلطة من يده أو أنه لم يرغب في الضرب على أيدي القتلة وبذلك يكون هدفاً في نظر السُنّة. ولكن هذه الحادثة تبين عدم قدرته على ضبط الأمن فإعترف بزعامة صدقة لكونه الشخصية القوية سياسياً وأنه الحامي المؤثر لشؤون الشيعة في بغداد. هذه المواقف الشيعية من قبل المزيديين عامة وصدقة بشكلٍ خاص قد جعله هدفاً للحاقدين والحُسّاد فإعتماداً على قول كل من ابن الجوزي وابن الأثير فأن العميد أبي جعفر البلخي المقرّب من الخليفة في بغداد، أراد أن يُفسد العلاقة بين الخليفة وصدقة فأتهم صدقة بأنه كان على مذهب الباطنية. ويُقصد بذلك الإسماعيلية لأن الإسماعيليين أصحاب قلعة الموت قد أخافوا وسببوا الذعر للساسة من سلاجقة أو ممن يتعاون معهم أولئك الذين يلحقون الأذى بالشيعة عامة، وأتهمه أيضاً بأنه يشجع على سبِّ الصحابة في جميع أعماله المزيدية الإدارية. ووجد هؤلاء المؤرخون أن هذا الأتهام غير صحيح فعقّب ابن الأثير بقوله: "إن صدقة ليس إسماعيلياً إنما كان شيعياً"[٢]، هذه مجموعة من النصوص التاريخية التي أوردها ابن الجوزي وابن الأثير وهما مؤرخان قد أستقيا معلوماتهما عن هذه الحقبة من القرن الخامس الهجري من تاريخ الصابي كما ألمحنا في الفصل الأول. ودون شك فإن الصابي وابنه محمد غرس النعمة، قد أدليا بمعلوماتٍ

---

١. ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٤٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص٦٥.

٢. المنتظم، ج٩، ص٢٣٦؛ الكامل، ج١٠، ص١٦٥.

أخرى عن علاقة بني مزيد بشيعة بغداد والمدن الأخرى. كذلك فإن الأمراء بالتأكيد كانوا محافظين على أحترامهم وقدسيتهم وزياراتهم لأضرحة آل البيت في النجف الأشرف وكربلاء. والدليل على ذلك أحترام شيعة بغداد لهم وتوجههم الى النيل أو الحلّة لعرض أوضاعهم في بغداد. فضلاً عن ذلك فإن جميع أمراء بني مزيد كانوا من المشجعين والداعمين للحركة الفكرية في النيل أو الحلّة بإحتضانهم الشعراء والأدباء والفقهاء والعلماء. كل ذلك يدعم الرأي بأن الإمارة المزيدية قد أعطت حركة التشيّع في منطقة الفرات الأوسط قوةً وفاعلية. وحق الشاعر صفي الدين الحلّي الطائي السنبسي أن يقول في بني مزيد ودورهم الرائد في التشيّع:

ما حلّة ابن دبيس إلا للقلب منها مداد ... كحصنٍ حصينٍ وقرةٌ للعيون

إن أصبح الماء غوراً وحولها سور طينٍ ... جاءت بماءٍ معينٍ كأنه طور سينٍ[1]

وأمتدح الشاعر ابن الهبّارية دبيس بن علي مسلطاً الضوء على دوره الديني العقيدي فقال:

ثم دبيس ودبيس غرّة ... حسب الذراع ذو سجايا حرّة

كم قد حيا (وربما حمى) بيأس نفس مرّة ... رمنابر الإسلام والأسرّة[2]

---

١. أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الطائي: الديوان، بيروت، دار صادر، ١٩٦٢م، ص١٨٠.

٢. الصادح والباغم، طبعة ثانية، بغداد، ١٣٤٣هـ ص٩، ٢٠.

ولا بد من أن نأتي على شعر الشاعر المزيدي مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد المشهور بالبلبل الصدّاح وهو ينشد لآل بيت الرسول ﷺ تعكس عمق إيمانه الشيعي الإمامي:

وتمسكي بحبال آل محمد ... ما عشت لا بحبائل الشيطانِ
فهم الحياة لكل قلب ميت ... وهم الممات إذا ألتقى الجمعانِ
همُ الطريقُ لمن تبصّر بالهدى ... والبارد السلسال للظمآنِ
وهم الأدلة للذين يحبهمُ ... والواصلين بهم الى الرحمنِ[1]

كذلك فمن المهم الإشارة الى الشاعر النيلي المشهور الحسين بن أحمد ابن الحجّاج النيلي المتوفي سنة ٣٩١هـ فكان معاصراً للأمراء المزيديين الأوائل مزيد وابنه علي وللسيدين الرضي والمرتضى وكان شيعياً إمامياً. أنشد ابن الحجّاج في مدح الإمام علي عليه السلام وآل البيت الأطهار عليهم السلام أبيات منها:

قد تيقنتُ أنهمُ [آل البيت] ينقلوني ... من يدي مالكٍ الى رضوانِ

ومن شعره قصيدته الفائية الرائعة التي يقول فيها:

يا صاحب القبّة البيضاء على النجفِ ... من زار قبركَ واستشفى لديك شفي
زوروا أبا الحسنِ الهادي فإنكمُ ... تحظون بالأجرِ والإقبال والزُلفِ
زوروا لمن يسمع النجوى لديه فمن ... يزره بالقبرِ ملهوفاً لديه شُفي
وقُل سلامٌ من الله السلامُ على ... أهل السلام وأهل العلم والشرفِ
إني أتيتكَ يا مولاي تشفعُ لي ... مستمسكاً بحبال الحقّ بالطرفِ
راجٍ بأنك يا مولاي تشفعُ لي ... وتُسقني من رحيق شافي اللهفِ

---

١. عارف تامر: مقالة عن الشاعر في مجلة المشرق، لسنة ١٩٥٦م، ص٤٧٨.

لأنك العروة الوثقى فمن علقت ... بها يداه فلن يشقى ولم يخف
وإنك الآيةُ الكبرى التي ظهرت ... للعارفين بأنواعٍ من الطُرفِ[1]

وأنجبت مدينة النيل الشاعر والأديب سعد بن أحمد بن مكي المتوفي سنة ٥٦٥هـ وله شعر كثير في مدح آل البيت عليهم السلام.

وعلى الرغم من ظهور العديد من علماء وفقهاء الإمامية في القرن السادس الهجري قبل نهاية عهد الإمارة المزيدية إلا أن المدينة تطورت في نهاية القرن السادس والقرن السابع الهجريين على وجه الخصوص الى مركز مهم من مراكز علماء الإمامية سواء كان ذلك في الدرس والبحث أم في التأليف في الشؤون الفقهية. ولا أدل على ذلك الإشارة الى الفقيه المتكلم شمس الدين يحيى بن الحسن بن الحسين بن البطريق الأسدي الحلّي المتوفي سنة ٦٠٠هـ الذي خلّف آثاراً ومؤلفات في الحديث والفقه والكلام كان بعضها محل درس وقراءة من العلماء[2]. وأن مؤلفات التاريخ والرجال الإمامية قد أتت على ذكر الكثير من علماء الحلّة وفقهائها الإمامية وإسهاماتهم العلمية والتعليمية. وصرنا نسمع عن عوائل حلّية شهرت في الفقه أو الأدب

١. القمي، الشيخ عباس: الكنى والألقاب، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٨م، ص٤٤٥؛ شبّر، جواد: أدب الطف وشعراء الحسين، مطبعة الصادق، بيروت، ١٩٨٠م، ج٢، ص١٠٦؛ السوداني، عبد الله: الشعر العربي في ظل الإمارة المزيدية ٤٠٣ ـ ٥٤٥هـ رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م، ص١٤٤.

٢. ينظر: ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، بيروت، ١٩٧١م، ج٦، ص٢٤٧؛ الخوانساري: روضات، ج٢، ص١٨٠.

أو التدريس كعائلة السوراني وآل نما الحلّي وآل إدريس العجلي الحلـيين وغيرهم[1]. والملاحظ أن علماء حليين قد غادروا الحلّة لتوسـيع دائـرة الفقـه الإمامي الى بغداد، وقد أحتضنتهم العاصمة قبيل الغزو المغـولي وأسـهموا في الحركة العلمية على الرغم من أن مـدارس بغـداد وأهمهـا المستنـصرية قـد أحتوت أقسام المذاهب الأربعـة دون أن يكـون للمـذهب الإمـامي الـذين يتبعونه الكثير من الناس من الأعلام والفقهاء والأدباء والشعراء أي أهتمـام. والملاحظ إن المستنصر العباسي بالنظر لعدم وجود شيوخ جديرين لتـدريس المذهب المالكي وفقهه فتح باب الإعارة العلمية، فجلـب شـيخاً مالكيـاً مـع جميع أخوته وأفراد عائلته من مصر الى بغـداد لتعلـيم المالكيـة، لكـن هـذا العاهل العباسي الهاشمي لم يعترف بمـذهب آل بيـت النبـوة في أن يـدرس في مدرسته. مع أنه وآبائه يعلمون علم اليقين أن شيخ الطائفة أبا جعفر الطوسي كان في بغداد وأضطر علـى مغادرتهـا نحـو النجـف الأشـرف ليـضع حجـر الأساس لأول حوزة علمية الى جوار مرقد الإمام علي عليه السلام[2].

---

١. ينظر: محبوبة، جعفر الشيخ باقر: ماضي النجف وحاضرها، النجف، ١٩٥٧م، ج٢، ص٣٦٥؛ د. هادي أحمد كمال الدين: فقهاء الفيحاء وتطور الحركة الفكرية في الحلة (بغداد ـ ١٩٦٢م).

٢. ينظر عن العلماء الإمامية في بغداد: ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، تحقيـق: د. مـصطفى جواد (دمشق، ١٩٦٧م) ج٤، ص١٥٦؛ آل ياسين، د. محمد مفيد: الحياة الفكريـة فـي العـراق في القرن السابع الهجري، بغداد ت ١٩٧٩م.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المبحث الثاني: الحياة الفكريّة في الحلّة المزيديّة

إن موضوع الحياة الأدبية في الحلة خلال الفترة المذكورة من المواضيع الواسعة التي تتطلب بحثاً في المجالات الأدبية المتعددة. لذا سوف نقتصر في هذه الصفحات على دراسة جانب واحد من تلك الجوانب الكثيرة ألا وهو الشعر مع الإشارة الى أدباء وفقهاء وعلماء الحلّة عاصمة المزيديين.

أولاً: الشعر والشعراء

من المعروف أن الشعر أدى دوراً بارزاً في تصوير الأحداث التاريخية من تاريخنا العربي قبل الإسلام وبعده، وكذلك في تثبيت وتصحيح الروايات التأريخية وإعطائها قوة وحيوية، فهو يعتبر من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ أي فترة ولاسيما الفترة الجاهلية والفترة الإسلامية الأولى. فقد كان للشعر أثرٌ عميق في نفوس أفراد القبيلة في الجزيرة العربية فتراهم في حروبهم يرتجزون الأبيات الحماسية ويقولون الشعر المناسب. وكان هذا الشعر، سواء أكان كثيراً أم قليلاً، يشكل واحداً من الأسس التي تقوم عليها رواية أيام العرب، فالشعر أما أن تتخلل الحادثة التاريخية أو ترد في نهايتها حسب

الدور الذي أداه راوية تلك الأبيات. وقد وضّح البروفيسور جبّ علاقة هذه الأبيات الشعرية بمثل تلك الحوادث والروايات التاريخية فقال: إنّ الراوي إذا نسي ما يتخلل روايته من أشعار فإن ذلك قد يؤدي الى ضياع تلك الروايات، في حين تخلّد روايات تاريخية مختلفة نتيجة لإحتوائها على مثل هذه الأبيات الشعرية[١]. ولذلك نجد أن الشعر كان مصدراً غنياً بالنسبة للمؤرخين والإخباريين والنسّابين واللغويين لِما أحتواه من معلومات ثمينة تفيدنا في مجالاتٍ متعددة. ولتوضيح هذه الأهمية بصورةٍ أكثر لا مندوحةَ لنا من الإستشهاد بقول ابن فارس: (الشعر ديوان العرب، وبه حُفظت الأنساب وعُرضت المآثر وعنه تعلمت اللغة...)[٢].

وقد أحتل الشعر السياسي مكانة عالية منذ الفترة الجاهلية إذ أتخذه العرب سلاحاً ماضياً لا يقل أثراً عن السيف في محاربة بعضهم البعض الآخر وتتجلى هذه الصورة بوضوح في الفترة الأموية عندما كانت الأرستقراطية العربية المتمثلة في البيت الأموي الحاكم تصارع طِوال مدة سيطرتها البالغة حوالي ثمانين سنة أحزاباً وأتجاهات سياسية ودينية وقبلية من أجل الإبقاء والمحافظة على سلطتها، ومن أجل تبرير أعمالها. فلهذا أستخدم الأمويون دُهاة العرب للأمور الإدارية والسياسية، وأشهر الشعراء للوقوف بوجه

---

١. Gibb: Studies on the civilization of Islam (1962) p. 109، وقد تُرجم الى اللغة العربية (دراسات في الحضارة الإسلامية)؛ السوداني: الشعر العربي في ظل الإمارة المزيدية، (رسالة دكتوراه غير منشورة).

٢. السيوطي: المزهر في علوم اللغة (نشر أحمد جاد المولى ورفاقه) جزء ٢، ص ٤٧٠.

أعدائهم وللمدافعة عن مصالحهم بمدحهم وبثّ الدعاية المؤيدة لهم. ولقد صرف الأمويون أموالاً طائلة لدعم هذا الجهاز الدعائي، وكان خلفاؤهم وولاتهم يُغدقون بأعطياتهم وجوائزهم على الشعراء لتحقيق أغراضهم. وفي الوقت الذي غلب فيه الطابع السياسي على شِعر شعراء في هذه الفترة ـ أي الأموية ـ نراه يصبح أقل شأناً في الفترة العباسية وهذا يرجع الى أسبابٍ عدّة منها: ـ أن الحاجة الى مثل هذا الشِعر أصبحت قليلة، وأن السيادة والسلطة لم تعدّ قائمة على أساسٍ قبلي، وأن النفوذ الفارسي أصبح واضحاً في الأمور الإدارية والإجتماعية والإقتصادية، ولذا نجد أتجاهات الشِعر العباسي تتسع وتتعدد لإتساع المجالات الإجتماعية والإقتصادية وفي الوقت ذاته لمسنا أيضاً ميلاد أتجاهات شعرية أخرى ملائمة للتطور الذي طرأ على المجتمع آنذاك. غير أن الدولة العباسية التي ثبتت ركائزها بصورةٍ فعلية زمن الخليفة المنصور لم تعدّ دولة مترامية الأطراف منذ حوالي نهاية القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد فصاعداً، بل أصبحت متجزئة الى أوصالٍ متعددة تُحكم من قِبَل إماراتٍ وتكويناتٍ سياسية بعضها مستقل أستقلالاً ذاتياً عن السلطة المركزية في بغداد وبعضها الآخر أستقل أستقلالاً كلياً. وكان لا بد أن يرافق هذا الأستقلال السياسي في أغلب الأحيان أستقلال فكري ومنافسة مع خليفة بغداد في مجالاتٍ شتى. وفي هذا الوقت بالذات نرى الشِعر يظهر من جديد مستعيداً نشاطه السابق كي يشارك في هذا الميدان، ميدان المنافسة والصراع السياسي والفكري على حدٍّ سواء. ففي العراق مثلاً ظهرت إمارات محلية متعددة قادتها قوى عربية قبلية مثل الحمدانيين والعقيليين في الموصل ومثل

المزيديين في الحلّة. وقد أعطى أمراء هذه الإمارات العربية فرصاً واسعة لشعراء ذلك العصر كي يتوافدوا على قصورهم وينشدوا الشعر بحضرتهم ليُظهروا بصورةٍ رئيسية صفاتهم الحميدة من كرمٍ وشجاعة ومروءة، وليفتخروا بأمجاد قبائلهم في الجاهلية والإسلام وما لعبت من أدوارٍ في الأحداث التاريخية التي مرّت بها الأمة عبر القرون الماضية.

والشِعر العربي بالإضافة الى كونه قد سطّر الأحداث المهمة والكثيرة والمواقف الحاسمة في التاريخ العربي، فهو مرآة حيّة لتصوير الذوق العربي ورقّة طبائعه وواقعية تفكيره، ففيه نجد مادة علمية تاريخية قد توضح ما جاءت به الكتب التاريخية من روايات عن بعض الحوادث وقد تخالفها. والشِعر ليس مصدراً من مصادر كتابة التاريخ حسب بل مصدر يُعتَد به أيضاً في القضايا الجغرافية والطبوغرافية والإقتصادية فضلاً عن تصويره للحياة الإجتماعية.

وبعد هذه المقدمة الوجيزة يجدر بنا أن نذكر أن بني مزيد ينتسبون الى قبيلة بني أسد بن خُزيمة التي نزحت من الجزيرة العربية في فترات قديمة. وقد شارك بنو أسد في الفتوحات العربية الإسلامية، ونزلوا أطراف الكوفة، كما سكن قسم آخر منهم الكوفة نفسها فقد كان لهم خطة ومساجد فيها[1]. وشاركوا أيضاً في الأحداث السياسية التي وقعت في التاريخ الإسلامي خلال

---

١. أنظر: أبا الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الكتب المصرية، ج ١١، ص٢٥٢.

القرون الأول والثاني والثالث بعد الهجرة[١] ولهذه القبيلة بطون عديدة أشهرها بنو دودان الذين يرجع المزيديون إليهم وكان المزيديون شيعة إمامية.

لم تكن الفترة التي ظهر فيها بنو مزيد، وأعني بذلك القرنين الخامس والسادس بعد الهجرة، فترة واضحة إذ أن المصادر التي بين أيدينا وبصورة خاصة ابن الجوزي وابن الأثير قصروا أحاديثهم المفصلة على النواحي العسكرية بينما أهملوا الجوانب الأخرى كالحالة الإجتماعية والأدبية والإقتصادية. ومع هذا فإنه يمكن القول بأن المزيديين مثلوا طابعاً خاصاً تميزوا به عن غيرهم فهم موجة من البدو أمتازوا بقوتهم ونشاطهم العسكري فنجحوا في تأسيس إمارة واسعة في منطقة الفرات الأوسط وبنوا مدينة الحلّة. وبفضل ما أمتاز به أمراؤهم من جرأة وشجاعة أستطاعوا أن يضموا مناطق عديدة لإمارتهم التي أستمرت فترة طويلة من ٣٨٧هـ الى ٥٥٨هـ/٩٩٧ـ١١٦٢م. والأهم من هذا فإن بني مزيد ظلوا على بداوتهم ولم تتمكن بغداد بحضارتها ومدينتها من أن تتغلب على هذا الطابع البدوي، كما وأنهم حاولوا أن يبرزوا العاصمة وسلطتها من الناحيتين السياسية والأدبية. ولقد عاصر المزيديون قوتين أجنبيتين كبيرتين فرضتا سيطرتهما السياسية على العراق لمدة طويلة وهما البويهيون والسلاجقة.

---

١. أعتقد أن الدكتور علي جواد الطاهر قد خلط بين بني مزيد وبين دبيس حين قال بأن المزيديين سكنوا خوزستان. والأصح أن بني دبيس الذي يرجع نسبهم الى بني أسد أيضاً نزحوا من خوزستان. أنظر: علي جواد الطاهر: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي (بغداد ١٩٥٨) ج١، ص٥١.

أنتعشت الحياة الأدبية في عهد بني مزيد فكان الأمراء يحبون الشعر وبعضهم شارك في هذا المضمار، ولقد قدم الحلّة ومدح الأمراء كثير من الشعراء والأدباء. هذا بالإضافة الى أن الحلّة عاصمتهم أنجبت عدداً غير قليل من الشعراء والأدباء والكُتّاب.

وكان من البديهي أن تنتعش مثل هذه الحركة في الحلّة إذ أن الأمراء المزيديين بصورةٍ عامة أتصفوا بالكرم والشجاعة والوفاء والضيافة وهذا كله كان دافعاً لكي يتقاطر الشعراء من جهة ودافعاً قوياً أيضاً لمدح أولئك الأمراء من جهةٍ ثانية. فمنذ أبتداء الإمارة المزيدية في منطقة الفرات الأوسط أنبرى الشاعر مهيار الديلمي يقول القصائد الطوال في مدح الأمراء الأوائل أمثال علي بن مزيد وثابت بن علي بن مزيد وغيرهم[1] ففي إحدى قصائده التي يمدح بها علياً وكان آنئذٍ في مدينة النيل وتتكون من (٥٢) بيتاً، تضمنت الإفتخار بدور فعالية قبيلة بني أسد منذ الجاهلية وهو يبدؤها بهذا البيت الحماسي فيقول:

هب من زمانك بعض الجدّ للعب ... وأهجر الى راحة شيئاً من التعبِ

ثم ذلك بمدح علي بعددٍ من الأبيات الجيدة والتي فيها:

قُل للأمير، ولو قلت السماء به ... مفضوحة الجود، لم تظلم ولم تحب

أعطيت مالك، حتى ربّ حادثة ... أردت فيها الذي تعطي فلم تصبِ[2]

---

١. مهيار الديلمي: الديوان (طبعة أولى، القاهرة ١٩٤٥) ج١، ص١٨، ١٦٦، ٣٠٥ ـ ج٢، ص٢٣٧ ـ ج٤، ص١٠١.

٢. نفس المصدر: ج١، ص١٨ ـ ٢١.

والواقع أن هناك بعض الأدلة التاريخية التي تشير الى الصفات الحميدة التي كان يتمتع بها علي بن مزيد، من ذلك مثلاً ما قام به في سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م حينما بذل أموالاً كثيرة للسلطة البويهية من أجل إطلاق سراح رئيس قبيلة خفاجة وعدداً آخر من الأسرى[١]، على الرغم من أن علاقته بهذه القبيلة لم تكن وثيقة وحسنة. ومما لا شك فيه أن علياً، وهو في بداية أمره كان لا بدّ أن يعتمد على وسيلة دعائية كالشعر لإظهار صفاته وفضائله بين القبائل العربية الأخرى القاطنة في المنطقة من جهة وبالنسبة للسلطة المركزية من الجهة الأخرى.

الذي يبدو لدارس حياة هؤلاء الأمراء أنهم أعتادوا على تقديم الأموال الى مهيار الديلمي سنوياً، كما أن لبعضهم (أمثال أبي القوام ثابت بن علي والمفرج بن علي وأبي الحملات شبيب بن حمّاد بن مزيد) مكاتبات ومقارضات شعرية مع ذلك الشاعر. يقول مهيار الديلمي في رسالة بعث بها الى شبيب يعاتبه على تأخر رسمه من المال لسنة ٤١٩هـ/١٠١٨م، وفي نفس الوقت يعاتبه على تغافله عن مقابلة قصائده التي سبق أن بعثا إليه. والقصيدة تتكون من (٤٨) بيتاً نذكر منها:

ولم نعرف غلاماً مزيدياً ... يناديه السماح فلا يجيب
فمالك يا شبيب خلاك ذمـ ... تجف وعندك الضرع الحلوب؟[٢]

---

١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ (القاهرة ١٢٩٠هـ) جزء ٩، ص٨٨.

٢. ديوان مهيار: ج١، ص ١١٤ ـ ١١٥.

والأمير دبيس بن علي (حكم من سنة ٤٠٨ـ٤٧٤هـ/١٠١٧ـ١٠٨١م) هو الآخر قد أهتم بالشعر وأغدق العطايا والأموال الكثيرة على الشعراء حتى قال عنه ابن الأثير عند وفاته أنه (ما زال ممدوحاً في كلّ زمان مذكوراً بالتفضل والإحسان ورثاه الشعراء فأكثروا[١]) وقال ابن خلدون (ورثاه الشعراء بعد وفاته بأكثر مما مدحوه في حياته[٢]) وأشتهر دبيس بالأخلاق الحميدة وكان كريماً مضيافاً، ومما يؤيد ذلك ذهاب بعض الشخصيات إليه إما إلتجاءً أو هرباً من السلطة أو ضيافة، ومنهم الشرابي صاحب البطيحة[٣] والبساسيري، وسعدي بن أبي الشوك[٤] والوزير ابن جهير[٥] وآخرون.

وقد جاء ذكر دبيس بن علي على لسان الشاعر ابن الهبّارية في أرجوزته المعروفة بالصادح والباغم التي أهداها بصورةٍ خاصة الى الأمير المزيدي المشهور صدقة بن منصور[٦] وذلك في إحدى مقاطع هذه الأرجوزة عند تعرضه للأمراء الذين سبقوا صدقة. وفي هذه الأبيات اظهر ابن الهبارية

١. الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٤.
٢. تاريخ (دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٩ ـ ٦١)، ج ٤، ص٥٩٨.
٣. ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١٣٤.
٤. ن.م. ص٢٠٠.
٥. ن.م. ج ١٠، ص٢١.
٦. أنظر: ذكرت معلوماتٍ أخرى عن هذه الأرجوزة ضمن الفصل.

شجاعة دبيس ومروءته في تقديم المساعدة لقرواش العقيلي صاحب الموصل فقال:

ثـم دبـيس ودبـيس غـرة	رحب الذراع ذو سجايا حرّة
كم قد حبى بيأس نفس مرّة	منابر الإسلام والأسرة[1]

وبعد وفاة دبيس في سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م تولى الإمارة المزيدية أبنه منصور الذي وصف بأنه رجل ورع كثير الصدقة والصِلات[2]، وأنه كان فاضلاً قرأ على جماعة من أهل العلم فبرع بذكائه[3].

وقال ابن الأثير أن نظام الملك الوزير المشهور حينما سمع بموته قال (مات أجلّ صاحب عمامة[4]). والمهم في هذا المجال أن هذا الأمير كان يُجيد صياغة الشِعر وقد وصلتنا أبيات متفرقة منسوبة إليه.

ووصف بعض المؤرخين شِعره بأنه حسن. ومن شِعره هذان البيتان اللذان أوردهما كل من العماد الأصبهاني وابن الأثير إذ يصوّر فيهما المروءة البدوية والإفتخار بمبدأ الدفاع عن المستجيرين فيقول:

فإن أنا لم أحمل عظيماً ولم أقد	لهاماً ولم أصبر على فعل معظّمِ
ولم أجر الجاني وأمنع حوزه	غُداة أنادي للفخار وأنتمي[1]

---

١. ابن الهبارية: الصادح والباغم (ط٢ بغداد ١٣٤٣هـ) ص٩ ـ ٢٠.

٢. ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص٥٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٠.

٣. ابن الأثير: المصدر السابق، ج ١٠، ص٥٥.

٤. ن.م.

ولـه أبيـات أخـرى يرثـي فيهـا صـديقاً لـه، وفي هـذه الأبيـات تتمثل براعة صياغته في تصوير فلسفة الحياة والموت والتسليم للقدر إذ يقول:

فإن كان أودي حذفنا ونديمنا أبو مالك فالنائبات تنوبُ
فكل ابن أنثى لا محالة ميت وفي كل حي للمنون نصيبُ
ولو ردَّ حزن أو بكاء لهالك بكيناه ما هبت صبا وجنوبُ[٢]

ولم تفت المنصور مناسبة أخرى عبّر فيها عن فخره بقبيلته وشجاعته وتلك هي عندما أستنجد به مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل ولكن الأمير المزيدي لم تساعده ظروفه في تلك اللحظات في أن يُلبي نداء مسلم وقد عاتبه مسلم، فيما بعد، بقصيدةٍ على تباطئه في نجدته ومساعدته، فبادر منصور الى الإعتذار وتبيان الأسباب الرئيسة التي وقفت دون تنفيذ ما أراده مسلم، وكان مطلع قصيدته:

أيا مهدي المديح وأيّ شيء أجلٌ من المديح إلي يهدي

ومنها:

---

١. العماد الأصبهاني: خريدة القصر وجريدة العصر (قسم الشام) ج٢، ص٢٦٢ ـ ٢٦٤؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٥٥.

٢. ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٥٥؛ ابن كثير: البداية، ج١٢، ص١٣٠.

ولو أني جريت على أختياري قددت إليكم الفلوات قدا
لتعلم أن بيت بني علي لكم وبكم يعدّ إذا استعدا[1]

إن الصفات الحميدة التي تحلى بها الأمير منصور صارت موضوعاً تغنى به الشعراء حيث مدحه عدد منهم، ومن بينهم أبو يوسف الإسفرائيني الشاعر والأديب. إذ قال فيه هذه الأبيات:

أيا شجرات النيل من يضمن القرى إذا لم يكن جار الفرات ابن مزيد
إذا غاب منصور فلا النور ساطع ولا الصبح بسّام ولا النجم مهتدي[2]

وتقلّد زمام الأمور بعد وفاة منصور أبنه ذائع الصيت سيف الدولة صدقة "ملك العرب". والأمير صدقة هو الذي وسّع رقعة الإمارة التي أصبحت في عهده تضم البطائح والبصرة وعانة وهيت وتكريت بالإضافة الى منطقة الفرات الأوسط. ومن الجدير بالملاحظة أنه في فترة إمارة صدقة الممتدة من سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م حتى ٥٠١هـ/١١٠٧م ظهرت ثلاث كتل سياسية في العراق تصارعت فيما بينها من أجل تثبيت سيطرتها وأستحواذها على السلطة، وتلك هي كتلة الخليفة العباسي في بغداد وكتلة السلطان السلجوقي

١. العماد الأصبهاني: خريدة (قسم الشام)، ج٢، ص٢٦٢ ـ ٢٦٤.
٢. ياقوت الحموي: معجم الأدباء (القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠م) ج٦، ص٣٤٣.

ثم كتلة صدقة بن مزيد. ولم تتحدد مجالات هذا الصراع عسكرياً وسياسياً فقط بل تعدته الى النواحي الأدبية أيضاً.

وصف الأمير صدقة بأنه كان كريماً وعفيفاً وفيه نجدة ومروءة. وخير من صوّر أخلاقه وفضائله هو أبو البقاء هبة الله صاحب المناقب المزيدية إذ قال أنه كان "يغترف من بحر جوده فقير العرب والغني ويقيم فضله قريبهم والقصي[1]". وقال أيضاً أنه كان يصرف على الصِلات العارضة والمطابخ حوالي ستين ألف دينار[2]، وأنه كان يمتلك داراً في بغداد أهداها إليه الخليفة فصارت ملجأ لكل طريد وشريد[3]. وللشاعر ابن التلميذ الطبيب المعروف قصيدة يصف فيها هذه الدار ومطلعها:

يا بانياً دار العُلى ملتهيا — لتزيدها شرفاً على كيوانِ[4]

وصوّر بعض المؤرخين صدقة بأنه بأنه كان يقرأ الكتب ولكنه لا يُحسن الكتابة[1]،وتوجد لديه خزانة كتب عامرة تحوي ـ كما قيل ـ ألوف المجلدات[2].

---

١. أبو البقاء: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (مخطوط في المتحف البريطاني رقم Or. 23296 مجلد ٢، ورقة ١٧٧ ـ أ ـ

٢. ن.م. ورقة ١٥٨ ـ أ ـ

٣. ن.م. ورقة ١٤١ ـ أ ـ ١٤١ ـ ب ـ ١٤٢ ـ أ ـ

٤. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (بيروت ١٩٥٦م) ج٢، ص٢٩٤.

ولقد مدح هذا الأمير عدد كبير من الشعراء من بينهم محمّد بن خليفة بن محمّد السنبسي ـ الذي أقام في الحلّة عند صدقة. وكان هذا الشاعر كما قال القفطي، مجوداً مغزلاً ولألفاظه حلاوة[٣].

وقد أختص بخدمة الأمير صدقة. وله قصائد عدّة من بينها تلك التي يمدح فيها صدقة بمناسبة ما قام به من مثل رائع في فك أسرى بني عقيل ونسائهم من أيدي الأتراك، يقول فيها:

كما أحرزت شكر بني عقيل ... بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الأتراك طراً ... بشهب في حوافلها أزورار
فما جبنوا ولكن فاض بحر ... عظيمٌ لا تقاومه البحار[٤]

ويذكر ياقوت الحموي أن مطارحة شعرية جرت في مجلس صدقة بين هذا الشاعر وشاعر آخر يُدعى أبو الجوايز مقدار بن المختار المطاميري وكان أيضاً في خدمة الأمير صدقة. قال السنبسي:

فو الله ما أنسى عشية ودّعوا ... ونحن عجالى بين غادٍ وراجعِ
وقد سلمت بالطرف منها فلم يكن ... من السر لولا حجرة في المدامعِ
ورحنا وقد روّى السلام قلوبنا ... ولم يجر منا في خروق المسامعِ

١. ابن كثير: البداية، ج١٢، ص
٢. ابن خلدون: تاريخ، ج٤، ص٦٠٩.
٣. القفطي: المحمدون من الشعراء (مخطوط مصوّر في مكتبة كلية الآداب ـ رقم ٩٠٨٤) ورقة ١٠٩ وقد طبع الكتاب طبعتين أعتمدت على تلك المحققة من قبل حسن معمري ١٩٧٠م، ص٣٠٣.
٤. ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٠، ص٤٩؛ ابن كثير: ج١٢، ص١٢٦.

ولم يعلم الواشون ما دار بيننا   من السر لولا حجره في المدامعِ

ويُقال أن صدقة طرب كثيراً لهذه الأبيات غير أن المطاميري لم يستحسنها. فلما سأله صدقة فيما إذا كان بإمكانه أن يُنشد أحسن منها أجاب نعم ثم أنشد مرتجلاً:

ولما تناجوا بالفراق عذوبة   رموا كل قلب مطمئن برايع
وقمنا فمسبد أنة أثر أنة[1]   تقُّوم بالأنفاس عوج الأضالع
مواقف تدمي كل عشواء ثرة[2]   صدوف الكرى إنسانها غير هاجع
أمنا بها الواشين أن يلهجوا بنا   فلم نتهم إلا وشاة المدامع

فإستحسنها صدقة وأغدق على الشاعر جوائز ثمينة[3].

وللأمير صدقة نظّم محمّد بن علي بن صالح أبو يعلى الشريف العباسي ابن الهبّارية كتابه الصادح والباغم.

قال ابن خلكان أنه ألّفه على طريقة كليلة ودمنة في ألفي بيت وبعثه بيد ولده الى الأمير سيف الدولة. وقد منح سيف الدولة ابن الهبّارية الجوائز

---

١. معجم الأدباء، ج٤، ص٥٦٣؛ وقد أورد كل من الكتبي (فوات الوفيات ج٢، ص٤٠٣) والصفدي (الوافي بالوفيات ج٢، ص٤٨) صدر هذا البيت بشكلٍ آخر حيث قالا: وقمنا فمبد أنه أثر أنة.

٢. وهنا أيضاً ذكر كل من الكتبي (ج٢، ص٤٠٣) والصفدي (ج٢، ص٤٨) البيت بشكل آخر فقالا مواقف تدمي كل عبراء ثرة خروق الكرى إنسانها غير هاجع

٣. أنظر ياقوت: معجم الأدباء، ج٤، ص٥٦٣.

وأجزل له العطاء وأرجوزة ابن الهبّارية تشتمل على أمثال وحِكم[1]، وقد أبتدأها بقوله:

عملته لسيد الملوك	وموئل الملهوف والصعلوكِ
بحر الندى ربُّ الأيادي والمننِ	شمس العُلا نور الهدى أبي الحسنِ
المزيدي الأسدي صدقةَ	ومن إذاً كذّب مدح صدقةِ[2]

ومن الشعراء الآخرين الذين شاركوا في حلبة سيف الدولة الأدبية الشاعر أفضل الدولة الأبيوردي[3] صاحب الديوان المعروف بأسمه. وفي هذا الديوان قصائد عديدة في مدح صدقة والأفتخار بقبيلة بني أسد. ويُحدثنا ياقوت الحموي رواية مفادها أن الأبيوردي عند زيارته الحلّة كان في نيته مدح صدقة بقصيدة جميلة مطلعها:

ومن أي عطفيك ألتفت تعطفت	عليك به الشمس المنيرة والبدرِ

والظاهر أن صدقة لم يُعر الأمر أهتماماً وطلب من الأبيوردي تأجيل ذلك لأنه كان منشغلاً آنئذٍ بأمورٍ عسكرية ضد السلطة المركزية في بغداد. علماً

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨) ج٤، ص٨٠؛ ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص١٩؛ حاجي خليفة: كشف الظنون ← عن أسامي الكتب والفنون (١٩٤١) ج٢، ص١٠٦٩. وعن ابن الهبّارية أنظر أيضاً: الدكتور علي جواد الطاهر، ص١٢٥ ـ ١٤٥.

٢. أنظر: الصادح والباغم (ط٢ بغداد ١٣٤٣هـ) ص٩ ـ ١٠، ص٢٠، ١٠٨؛ وهناك طبعات أخرى متعددة لكتاب الصادح والباغم وإن أول طبعة كانت في القاهرة، ١٨٧٥ ـ ١٨٧٦.

٣. عن الأبيوردي أنظر: علي جواد الطاهر، ص١٠٦ ـ ١٢٣.

بأنه أرسل إليه ٥٠٠ دينار وثلاثة أفراس وثلاثة عبيد هدية بمناسبة قدومه الحلّة. وقد أعتبر الأبيوردي هذا الأمر إهانة له لذلك رفض الهدايا وقرّر أن يترك الحلّة مبدّلاً قصيدته المذكورة الى أخرى يهجو فيها الحلّة ومطلعها:

أبابل لا واديك بالخير مفعمُ ... لراج ولا ناديك بالرفد آهلُ
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحةٌ ... وحسبك عاراً أنني عنك راحلُ

ويذكر ياقوت أن صدقة حينما علم بخبر الأبيوردي ركب بنفسه إليه وأعتذر منه[1] إن هذه الرواية وغيرها توضح الرابطة الوثيقة بين صدقة والشاعر الأبيوردي من جهة وكذلك أهتمام صدقة بالشعراء والأدباء من جهةٍ ثانية، ولاسيما وأن الأمير كره أن يكون موضوعاً للهجاء فتشوه سمعته وتتناقص شهرته.

وهناك شاعر آخر هو البندنيجي والشاعر محمّد بن حيدر بن عبد الله البغدادي[2] والشاعر المكين بن الأقفاصي الذي نظّم قصيدة في رثاء صدقة مطلعها:

١. معجم الأدباء، ج٦، ص٣٥٦ ـ ٣٥٨. وعن قصائد الأبيوردي في بني مزيد أنظر ديوان الأبيوردي (لبنان ١٣١٧هـ) صفحات ١٣٤ ـ ١٣٧، ١٩٨، ٣١١ ـ ٣١٣، ٣٣٤ ـ ٣٣٥، ٣٥٨ ـ ٣٦٠.

٢. أنظر العماد الأصبهاني: خريدة (قسم العراق) جزء ٢، ص٢٢٠.

ديـار بـأرض الجـامعين[١] وبابـل   غدت من بني عوف عـوافي المنـازلِ[٢]

كما أن هناك شاعراً هو ابن الخازن الذي قال قـصيدة جيـدة رثـى فيهـا صدقة ومطلعها:

العيش في الدنيـا كرقدة حـالمٍ   وكأنمـا الإنـسان طيـف خيـال

كم آملين سرت بهم خيل المنى   فتعثـــرت بحبائـــل الآجـــالِ[٣]

إن هذه الكثرة من الشعراء والأدباء الذين شاركوا في إظهار صفات سيف الدولة صدقة (وكان بعضهم كما رأينا على أتـصالٍ دائـم بـه وقـائم علـى خدمته) تدل دلالة واضحة على أن هـدف صـدقة الـرئيس مـن وراء هـذا الإعلان والإعلام هو أظهار نفوذه وكرمه ومكانته الأدبية والإجتماعية وحبّه للشِعر والشعراء، وكذلك ليبّز ما كان يحتله كل من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي من مكانةٍ في هذا المجال ويوجه الأنظار الى مدينة الحلّة بأعتبارها عاصمة الأدب الجديدة. فضلاً عن أمراء بـني مزيـد ظلـوا عربـاً ملتـصقين بماضيهم ومآثرهم.

---

١. أعتبر المقدسي الجامعين إحدى مدن الكوفة، وهي تقع غربـي نهـر الفـرات (أنظـر: أحـسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٥٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلـدان، ج٣، ص٣٢٣) والحقيقـة أن الحلة التي بُنيت سنة ٤٩٥هـ أخذت موقع الجامعين.

٢. العماد الأصبهاني: خريدة (قسم الشام) ج٢، ص٣٦٠.

٣. الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية (لاهور ١٩٢٣) ص٨١.

وفي الوقت ذاته فإن هناك عدداً من الشعراء أتخذوا جانباً عدائياً بالنسبة لصدقة وأبرزهم الشاعر إبراهيم بن عثمان الغزي[١] صاحب الديوان المعروف به. ويبدو أن الغزّي زار الحلّة غير أنه لم يُعجب بها فكتب قصيدة يهجوها ويهجو صدقة. قال:

أنا في الحلّة الغَداة كأني ... علوي في قبضة الحجّاجِ
بين عرب لا يعربون حديثنا ... طبعهم خارج عن المنهاجِ
وصدور لا يشرحون صدوراً ... شغلتهم عنا صدور الدجاجِ[٢]

وكان من شدة كره الغزّي لصدقة أنه نظّم قصيدة يمدح فيها السلطان السلجوقي ويهنئه بمقتل صدقة ومنها:

أقام بأرض بابل مستبداً ... يراسله الإمام فلا يُدين[٣]

ومن المؤسف حقاً أن المصادر لا تساعدنا في معرفة السبب الحقيقي الذي حدا بالغزّي أن يقف هذا الموقف ألأن الأمير صدقة تجاهله حينما أتى الحلّة ولم يمنحه الجوائز أم لأنه كان موالياً للسلاجقة بسبب عصبيته السُنيّة. بينما كان صدقة والمزيديون من الشيعة الإمامية، والظاهر أن السبب الأول هو

١. عن الغزي أنظر: علي جواد الطاهر: الشعر العربي، ص١٧٨ ـ ١٨٤.

٢. أنظر: ديوان الغزي (مخطوط في مكتبة الإمام الحكيم في النجف الأشرف، تحت رقم ٢٧٢) ورقة ٤٠؛ كذلك ياقوت، معجم الأدباء، ج٢، ص٣٢٣.

٣. ديوان الغزي، ورقة ١٤٧ ـ ١٤٨.

الراجح إذ أن الشاعر نفسه يُلمّح في القصيدة ذاتها حيث يقول: "شغلتهم عنا صدور الدجاج"، وكذلك في الأبيات التالية:

أجب بحر العفاة فلي سؤال — وأنت بكل منقبة قمين
أترضى أن يُقال الصدر يرحى — بجعجعة وليس لها طحين
وليس أشك انك بحر جود — ولكن ما لمنتظر يقين[1]

ثم لا بدّ لنا ونحن أوشكنا على نهاية الحديث عن علاقة صدقة بالشعراء أن نشير الى ما قاله الشاعر السنبسي معللاً هجرته من مدينة الحلّة بعد مقتل الأمير صدقة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م. يقول هذا الشاعر:

قالوا هجرت بلاد النيل وأنقطعت — حبال وصلك عنها بعد أعلاق
فقلت أني وقد أقوت منازلها — بعد ابن مزيدِ من وفد وطرّاقِ

ومنها أيضاً:

وكيف أشتاق أرضاً لا صديق بها — إلا رسوم عظام تحت أطباقِ[2]

إن السنبسي يكاد يكون مبالغاً في قوله بأنه رحل عن الحلّة بعد موت صدقة وذلك لعدم وجود من يخلفه في أهتمامه بالشعر وتشجيعه الشعراء والأدباء، فلقد خلّف صدقة أبنه دبيس، وكان محبّاً للشعر والأدب أيضاً. ولقد

١. ن.م. ورقة ١٤٨ ـ ١٤٩.
٢. ياقوت: معجم البلدان (ليزج ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠) ج٤، ص٨٦١.

وصفه بعض المؤرخين بأنه كان كريماً وشجاعاً[١] وله هواية أدبية حيث ذكر بعضهم أنه قال الشعر. فمما أورده ابن خلكان نقلاً عن ابن المستوفي في كتابه المفقود (تاريخ إربل) بعض الأشعار المتبادلة بين دبيس وأخيه بدران. ويُقال أن بدران أرسل بعض الأبيات الشعرية التي يُعبّر من خلالها عن توجعه وحنينه الى بلده الحلّة، وتلك الأبيات هي:

ألا قل لمنصور وقل لمسيب ... وقُل لدبيس أنني لغريبِ
هنيئاً لكم ماء الفرات وطيبه ... إذا لم يكن لي في الفرات نصيبِ

فأجابه دبيس بهذه الأبيات:

ألا قُل لبدران الذي حنّ نازعاً ... الى أرضه والحر ليس يخيبُ
تمتع بأيام السرور فإنما ... عذار الأماني بالهموم يشيبُ
ولله في تلك الحوادث حكمةٌ ... وللأرض من كأس الكرام نصيبُ[٢]

كما أورد سبط ابن الجوزي عدداً آخر من الأبيات الشعرية الجميلة التي قالها دبيس وقد نقلها عن العماد الأصبهاني صاحب كتاب خريدة العصر منها:

---

١. ابن خلكان: المصدر السابق، ج٢، ص٣١.

٢. ن.م. ج٢، ص٣٢؛ وقد أورد أشعاراً أخرى في الصفحة ذاتها.

إن الليـــــالي للأنـــــام مناهـــــلُ تطـــوي وتبـــسط بينهـــا الأعمـــارُ
فقـــصارهن مـــع الهمـــومِ طويلـــةٌ وطـــوالهنّ مـــع الـــسرورِ قـــصارُ[1]

ولقد مدح دبيساً أكثر الشعراء من بينهم حيّص بـيص، وزايـدة بـن نعـيم المعروف بالمحفوف القُشيري[2]. كما أن أبا محمّد الحريـري صـاحب المقامـات المشهورة ذكره مادحاً كرمه في المقامة التاسعة والثلاثين والمُسماة بالمقامة العُمانيـة[3]، وقد خلع عليه دبيس (الخلع السَنية والجوائز الهنية ما عجز عنه الوصف وكلّ عنه الطرف[4]).

وكما ان السنبسي أختصّ بخدمة صدقة وقال فيه القصائد الكثيرات فـإن حيّص بيص كان شاعر دبيس الخاص، وقال فيه وفي بعض قـواده القـصائد مبرّزاً صفات دبيس الحميدة من كرمٍ وشجاعة. وقد أورد هذه القصائد العماد الأصبهاني في خريدته[5].

---

١. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (حيدر آباد ـ الهند ١٩٥١ ـ ١٩٥٢) ج٨، ص١٥٥.

٢. ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١١.

٣. الحريري: مقامات الحريري (باريس ١٨٤٧) ج٤، ص٢٧ ـ ٢٨.

٤. الشريشي: شرح مقامات الحريري (ط١، ١٩٥٣) ج١، ص٢٩ ـ ٣٠.

٥. أنظر العماد الأصبهاني: الخريدة (قسم العراق) ج١، ص٢٢٤ ـ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، ٢٦٦ ـ ٢٦٨، ٣٣٧ ـ ٣٣٩. وعن حيّص بيص راجع كتاب: د. علي جواد الطاهر: المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤.

ومن بين تلك القصائد واحدة مدحه فيها وأورد العماد منها بيتين فقط هما:

إني لأفكر في عُلاكَ فأنني حيران لا أدري بماذا أمدحُ
إن قلتُ ليث كنت أقتل سطوةً أو قلت بحر ندى فكفك أسمحُ[1]

وله أيضاً قصيدة رثاء عبّر فيها تعبيراً واقعياً عن حزنه العميق وكان قد قالها بعد سماعه نبأ مقتل دبيس من قِبَل السلطان السلجوقي ومطلعها:

هبني كتمت لواعج البرحاء فمن المكتم عبرتي وبكائي

ومنها:

طرق النعي فلم يكن لي مسمعٌ يصغي الى المكروهة الروعاء
وطفقت أتهم الحديث كغيره من سائر الأخبار والأنباءِ[2]

وبمقتل دبيس أخذت الإمارة المزيدية تفقد الكثير من قوتها وشهرتها حتى صارت الحلّة وبقية المناطق التي كانت تابعة لبني مزيد سابقاً تحت سيطرة السلطان السلجوقي، وقد رافق هذا الأنهيار السياسي للإمارة أنكماش في دورها من الناحية الفكرية أيضاً. فالمؤرخون والكُتّاب الآخرون لا يحدثوننا

١. العماد الأصبهاني: المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤.
٢. ن.م. ج١، ص٣٣٧ ـ ٣٣٩.

بشيءٍ مهم عن علاقة الأمراء الذين أعقبوا دبيساً بالشعراء والأدباء.

وما دمنا بصدد موضوع الشعر في فترة بني مزيد فلا مندوحة لنا من ذكر الشاعر المزيدي مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد. فقد ولد هذا الأمير في الحلّة سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م في الوقت الذي كان علي بن دبيس أميراً للمزيديين في الحلّة وتوفي في بلدة مصياف في سوريا سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م[١]. ولموهبة هذا الأمير الشعرية ورقّة أسلوبه كان يُلقّب بالبلبل الصدّاح[٢]. ولقد خلّف لنا ديواناً شعرياً يحتوي على أربعين قصيدة تتضمن الحنين والبكاء على الأطلال والمديح والغزل والخمريات والحكم والوصف والإفتخار بمشاركة قبيلة بني أسد في حرب الصليبيين وأشعار أخرى في شرح بعض المبادئ الإسماعيلية ومما يروى أن هذا الشاعر كان يقوم بخدمة الأمير راشد الدين شيخ الجبل[٣].

ذكر الأستاذ علي المير ملّحم محمود في مقالة له نشرت في مجلة العرفان[٤] عن مزيد، أنه يحتفظ بهذا الديوان، ولكننا لم نسمع حتى الآن فيما إذا كان هذا الديوان قد نُشر أم لا؟

---

١. أنظر مقالة لعارف ثامر في مجلة المشرق لسنة ١٩٥٦، ص٤٥٤ ـ ٤٥٥.

٢. نفس المصدر، ص٤٧٣.

٣. أنظر عن حياة راشد الدين الملقب شيخ الجبل ودوره السياسي في كتاب B. Lewis: The Assassins (1967) p. 110.

٤. علي المير ملحم محمود، مجلة العرفان، كانون الثاني، ١٩٦٠م، مجلد ٤٧، ص٤٣٧.

ومن الجدير بالذكر ونحن بصدد الحديث عن شاعرية مزيد أن نذكر له بعض نماذج من شعره، فقد قال قصيدة يصوّر فيها حنينه الى الحلّة منها:

ذكر الأحبة بالطريق أهاج لي — شوقاً وقد يزداد شوق الذاكرِ
ومرابع بالجامعين عهدتها — تزهو بغيلان لها ومآزرَ
من كل فاتنة اللحاظ إذا رمت — يا للرجال من اللحاظ الفاترِ[١]

ومن غزلياته هذه الأبيات:

أما والهوى لوعندها بعض ماعندي — لما هجرت لكنما وجدها وجدي
لها جسد بالوهم يدنو وقلبها — على لينه أقسى من الحجر الصلدِ[٢]

ويبدو أن الأمير مزيد كان يميل الى فرقة الإسماعيلية فهو أولاً كان مرتبطاً بزعيم الإسماعيليين راشد الدين ثم أن له قصائد في مدحه وفي شرح بعض المبادئ الإسماعيلية فمن قصيدة ميمية في مدح راشد الدين يقول:

يا راشد الدين يا سيدي — أنت الإمام وبدر التمامِ
وأنت الذي قد أرشدتنا — وخلعتنا من طريق الظلامِ[٣]

وهو يقول أيضاً:

وتمسكي بحبال آل محمّد — ما عشت لا بحبائل الشيطان
فهم الحياة لكل قلبٍ ميتٍ — وهم المماتِ إذا التقى الجمعانَ

---

١. عارف ثامر: مجلة المشرق، ص٤٦٤.

٢. ن.م. ص٤٥٦.

٣. علي المير ملحم: مجلة العرفان، مجلد ٤٧، ج٥، ص٤٣٨.

وهم الطريق لمن تبصّر بالهدى | والبارد السلسال للظمآنِ
وهم الأدلة للذين يحبهم | والواصلين بهم الى الرحمنِ

وفيها أيضاً يوضح عقيدة الإسماعيلية في العالم السفلي والعلوي فيقول:

وهو القريب وكل قرب مبعد | وهو البعيد وكل بعد دان
وهو الموحد والموحد في الورى | سبب الوجود وماله من ثانِ[١]

وله قصيدة أخرى يقول فيها:

وكن واثقاً بأيام الزمان | تجبك الغصون بأثمارها
وكاشف مكنونها بالورى | جهاراً وعالم أسرارها
فهل ساطح أرضها غيره | ومجرى المياه بأنهارها
ومرسي الجبال ومجرى البحار | وفلك تسير بتيارها
وسامي السماء بأبراجها | ومزهي السحاب بأمطارها؟[٢]

دور الحلّة في الحياة الأدبية:

تميزت مدينة الحلّة ـ بعد أن اتخذها الأمير صدقة بن مزيد عاصمة له في سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م دون غيرها من مراكز منطقة الفرات الأوسط بعدة مزايا أهمها:

١. عارف ثامر: مجلة المشرق، ص٤٧٨.
٢. ن.م. ص٤٧٩.

١ـ الإزدهار الإقتصادي: إذ أنها نافست كلاً من مدينة الكوفة وقصر بن هبيرة المدينتين القديمتين اللتين كانتا مسيطرتين على الطريق التجاري وطريق الحاج الآتي من بغداد. فصارت الحلّة هي المركز الرئيس لتجمع الحُجّاج قبل ذهابهم الى مكة ثم أنها أصبحت سوقاً رائجة للتجّار لاسيما أن المنطقة بصورةٍ عامة كانت غنية من الناحية الزراعية أيضاً[١].

٢ـ الأنتعاش الأدبي والفكري: إذ أن الأمراء المزيديين، كما لاحظنا في السابق شجعوا الشعراء والأدباء وأغدقوا عليهم الهدايا والأموال. وبذلك أجتذبت الحلّة عدداً من هؤلاء إذ كانوا يتقاطرون على قصور الأمراء. ومن البديهي أن تهئ مثل هذه الحركة الأدبية ظروفاً مشجعة لأدباء وشعراء منطقة الفرات الأوسط ومدينة الحلّة بالذات كي يسهموا في مثل هذه المجالات.

وقد زودتنا بعض المصادر بأسماء عدد من الشعراء والأدباء والفقهاء الحليين المشهورين، وقد عاش هؤلاء خلال هذه الفترة التاريخية. وأخصّ بالذكر منهم على سبيل المثال محمّد بن علي بن أحمد أبا عبيد الله الحلّي المعروف بابن حميدة والمتوفي سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م. قال عنه ياقوت الحموي أن له معرفة جيدة في النحو واللغة[٢]. ومحمّد بن أحمد بن حمزة بن جيا الملقب بأبي الفرج وهو شاعر كاتب، أثنى عليه ياقوت بقوله أنه كان نحوياً ولغوياً

---

١. عن الحالة الإقتصادية في الحلة ومنطقة الفرات الأوسط أنظر: (الفصل الخاص بالحياة الإقتصادية).

٢. معجم الأدباء، ج٧، ص٤٠ ـ ٤١.

فطناً وقد توفي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٢م. ولأبن جيا هذا باعٌ في الشعرِ أعترف به كلٌ من القفطي والصفدي، فقد قال القفطي عنه بأن ابن جيا له شِعر جيد وترسل حسن[1]. وأورد ياقوت والقفطي جملة من شعره، فمن قصيدته الغزلية ذكرا الأبيات التالية:

حتام أجري في ميادين الهوى ... لا سابق أبداً ولا مسبوقِ
ما هزني طرب الى رمل الحمى ... إلا تعرض أجرع وعقيقِ

ومنها:

فكأن جفني بالدموع موكل ... وكأن قلبي للجوى مخلوقِ[2]

وقد عبّر الصفدي عن أعجابه بابن جيا حين قال: (لم يكن مثله في العراق في الترسل والأدب والنظم الحسن[3]) ثم أورد له بعض الأبيات الغزلية التي يقول فيها:

أما والعيون النجل تصمي نبالها ... ولمع الثنايا كالبرق تخالها
ومنعطف الوادي تأرج نشره ... وقد زار في جنح الظلام خيالها[4]

---

١. ن.م، ج٦، ص٣٦١.

٢. معجم الأدباء، ج٦، ص٣٦١؛ المحمدون من الشعراء (مخطوط) ورقة ١٢ ب ـ ١٣ أ. والمطبوع (ت. حسن معمري) ص٥١. وهناك أختلاف في ورود عدد من الكلمات في كل من معجم الأدباء والمحمدون من الشعراء.

٣. الوافي بالوفيات (ت ديدرنيغ ١٩٤٩) ج٢، ص١١٣؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٣٦١.

٤. الصفدي: المصدر السابق، ج٢، ص١١٢ ـ ١١٣.

وأنجبت الحلّة في هذه الفترة الشاعر والنحوي علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلّي والمُكنى بأبي الحسن. ولقد تحدث ابن خلكان عن شميم الحلّي قائلاً: (كان أديباً فاضلاً خبيراً بالنحو واللغة وأشعار العرب وقد أحسن الشعر[١]). توفي شميم في ٦٠١هـ/١٢٠٤م.

ومن الشعراء والأدباء الآخرين علي بن علي بن منصور أبو القاسم المؤدب الشاعر[٢] وأبو المعالي محمد بن علي بن فارس الذي قال عنه الصفدي بأنه شاعر اجتدى بالشعر وكتب عليه ببغداد[٣] والحلّة، والشاعر الأعمى بدر بن جعفر بن عثمان الأميري الذي يُنسب الى قرية الأميرية من قرى مدينة النيل[٤]. وهناك أيضاً هبة الله بن حامد بن أحمد بن أيوب الأديب والنحوي[٥]، والحسين بن هبة الله أبو عبد الله المعروف بابن رطبة وكان من أهالي سورا من قرى الحلّة.وابن رطبة هذا له معرفة بالأدب وقد ذهب الى بغداد وجالس أبا محمد بن الخشاب وأخذ عنه ثم عاد الى الحلّة[٦]. والفصيح

---

١. وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٦. أنظر عن شميم أيضاً ياقوت: معجم الأدباء، ج٣، ص١٢٩؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص٤.

٢. ابن الدبيثي: ذيل تاريخ بغداد (مخطوط في المجمع العلمي العراقي ٤٤/م) ورقة ١٤٨ب.

٣. الوافي بالوفيات (ت هلموت ريتر ١٩٦٢) ج١، ص١٦٩ وما بعدها.

٤. الصفدي: نكث الهيان في نكت العميان، ص١٢٤.

٥. القفطي: انباه الرواة في أنباه النحاة (القاهرة ١٩٥٥) ج٣، ص٣٥٧.

٦. ابن الدبيثي: المصدر السابق، ورقة ٢٠٠ أ.

بن علي بن عبد السلام بن عطا وهو من أهالي سورا أيضاً ويصفه ابن النجّار بأنه كان أديباً فاضلاً ويقول الشعر[١].ومن بين أدباء الحلّة المشهورين أيضاً هناك الحسين بن علي بن نمّا أبو عبد الله بن أبي القاسم[٢]، وعلي بن علي بن منصور أبو القاسم الخازن وهو أخو نصر بن الخازن كان مؤدباً للصبيان[٣].

ثانياً: علماء الحلّة الإماميّة وفقهاؤها:

للعلامة الخوانساري رحمه الله في مؤلفه القيّم (روضات الجنات) مقولة لا بد من استحضارها في هذا الميدان إذ يقول: "أن الحلّة كانت قديمة التشيّع وخرج من علمائها الكثير من الفحول، وأن مزاراتهم فيها مشهورة"[٤]. وعلى وفق هذا الوصف القيّم لا عجب القول بأن الحلّة قد أصبحت بعد أفول نجم الإمارة المزيدية مدينة علمية أدبية بعد أن كانت زمن المزيديين عاصمة السياسة أو بالأحرى القرار السياسي. والمعروف أن أهالي

---

١. أنظر تاريخ ابن النجار (مخطوط في المجمع العلمي العراقي، ورقة ١٣٤ ب).

٢. ابن الدبيثي: المصدر السابق، ورقة ١٩٤ (ب).

٣. ابن أبي عذيبة: إنسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوط في المجمع العلمي العراقي) ورقة ١٥٠.

٤. روضات الجنات في أصول العلماء والسادات، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، قم، ج٢، ص٢٧٠.

الحلّة قد أفلحوا بواسطة الموقد العلمي الرفيع المستوى الذي وفد على هولاكو مع ثلّة من العلماء والأسر الرفيعة لإقناعه بعدم غزو الحلّة، وما حدث بعد غزو هولاكو بغداد إذ توجه أهالي الحلّة لنجدة أخوتهم في العاصمة وإمدادهم بالمواد الغذائية ونهدوا الى شراء الكتب التي كانت معرضة للتدمير. فقدّم هؤلاء خدمةً علمية كبيرة وذلك بحفاظهم على التراث الإسلامي وبإخضاع هذه الكتب الى البحث والدرس الأمر الذي ساعد على تطوير مدرسة الحلّة العلمية والفقهية وإرساء دعائم المذهب الإمامي سوية مع أختها المدينة الأساس في علوم الإمامية ومركز الإشعاع الحوزوي مدينة الإمام علي عليه السلام النجف الأشرف.

فقد ذكر مؤرخو الرجال والمؤرخون أسماء وإسهامات عدد كثير من المفكرين والفقهاء والعلماء الذين أنجبتهم الحلّة الفيحاء. ولعله من المناسب ذكره علي بن نصر بن هارون المطهر الملقب بأبي الحسن. وكان أديباً وسمع الحديث وحفظ القرآن[1]. ومحمد بن عبد اللطيف بن التعاويذي[2]. وأبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بابن الكال. ووصف ابن الكال هذا نخبة من المؤرخين

---

١. ابن الدبيثي: المصدر السابق، ورقة ١٩٤ (ب).

٢. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المنسوب لابن الفوطي، (بغداد) ص١٧٨.

على أنه شيخ فاضل نشأ بالحلّة ورحل الى بغداد فقرأ القرآن بالقراءات على عدد من العلماء[١]. ومحمد بن معد بن علي بن رافع العلوي الذي سكن بغداد وروى الحديث فيها[٢].

ولم تقتصر مشاركة الحلّة على الناحية الأدبية بل أنها أنجبت أيضاً طائفة من الفقهاء والعلماء المشهورين أخصّ بالذكر منهم يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي الأسدي الذي برع في الفقه على المذهب الإمامي، وقد قرأ عليه في بغداد أصول الفقه والكلام كل من الحمصي والرازي[٣]. وجمال الدين بن أبي القاسم عبد الله بن علي الحسيني الحلّي ولد سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م[٤]، والحسين بن عقيل بن سنان الخفاجي الأصولي الذي يعتبر من العلماء المتبحرين[٥].قال عنه السيد الأميني أنه من فقهاء الإمامية له كتاب يقع في عشرين مجلد عنوانه: (المنجي من الضلال في الحرام والحلال) وتوفي سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م. والحسين بن هدّاب بن محمد بن ثابت المقرئ الضرير

---

١. ابن الساعي: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، (بغداد، ١٩٣٤م)، ج٩، ص٧٢؛ ابن الدبيثي: المصدر السابق، ورقة ١٢٤ (ب).

٢. ابن الدبيثي: المصدر السابق، ورقة ١٥٢.

٣. مخطوطة إنسان العيون، ورقة ١٤٦.

٤. هادي كمال الدين: فقهاء الحلة (بغداد ١٩٦٢) ص٦٨.

٥. ن.م.

الملقب بالنوري نسبةً الى قرية النورية من قرى الحلّة. قال عنه ابن الدبيثي أنه كان عارفاً بفقه الشافعي فاهماً بالنحو واللغة حافظاً لدواوين كثير من شعراء العرب[١]. وكذلك العالم الجامعاني المتوفي سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م[٢]، والفقيه الشيخ سديد الدين الحمصي الرازي[٣]، وفقيه الحلّة أبو عبد الله محمد بن إدريس المتوفي سنة ٥٩٨هـ/١٢٠١م وصفه الخوانساري بالشيخ فخر الدين مؤسس الحوزة العلمية في الحلّة[٤]، والعلماء والفقهاء من عائلة آل طاووس المشهورة. ويجدر ذكره أن السيد مجد الدين محمد آل طاووس كان مع الوفد الحلّي الذي قابل هولاكو وأقنعه بعدم مهاجمة الحلّة[٥]. وقد أخذ أفراد هذه العائلة العلوية على عاتقهم النهضة العلمية في الحلّة في القرن السابع الهجري/الرابع عشر للميلاد بعد أفول الإمارة المزيدية.

وخير ما يعكس أزدهار الحركة الأدبية والعلمية خلال هذه الفترات الرواية التي أوردها ابن القوطي، إذ يذكر فيها الغزو المغولي لبغداد وما جلب

١. ابن الدبيثي: ورقة ١٦٦ أ ـ ١٦٧ ب.

٢. فقهاء الحلة، ص٩١؛ الأمين، محمد الحسيني العاملي: أعيان الشيعة، طبعة أولى، دمشق ـ ١٩٤٦م، ج٢٦، ص٣٨٠.

٣. ن.م.

٤. فقهاء الحلة، ص٨٦؛ الخوانساري: روضات، ج٦، ص٢٧٨.

٥. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣٨٢؛ ابن عنبة: عمدة الطالب، ص١٩٠؛ محبوبة: ماضي النجف وحاضرها، ج١، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩.

من محن ومصائب على هذه المدينة إذ أضطربت أوضاعها الداخلية وأرتبكت أحوالها الإقتصادية فندرت المواد الغذائية وأنتشرت الأمراض وكثر الموتى. وفي هذا الوقت كان أهالي الحلّة يأتون بالأطعمة والمواد الغذائية الى بغداد ويشترون بدلها الكتب النفيسة وأشياء أخرى[١].

وأنجبت المدينة الأديب العلامة أبا الحسن علي بن الحسن بن عنتر صاحب التصانيف المتوفي سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م. يقول الغساني كان يحفظ شيئاً كثيراً من اللغة والأصول والعربية وله الشعر والنظم الجيد[٢]. وهناك أبو النجم بدران بن صدقة بن منصور بن دبيس المزيدي الملقب بتاج الملوك وكان من فصحاء الشعراء وتوفي في مصر سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م[٣]. ومن بين العوائل الحلّية التي خدمت العلم عائلة آل غا الحلّي التي شهر منها أبو البقاء هبة الله بن غا الحلّي الذي يبدو أنه عاصر الأمير صدقة بن منصور وهو مؤلف المناقب المزيدية وابنه إسماعيل بن محمد وكان فقيهاً سمع منه الحافظ الذهبي ومحمد بن علي بن رافع العلوي[٤]، والحسن بن أحمد بن محمد بن جعفر بن هبة الله المعروف في الفقه ونجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله

---

١. الحوادث الجامعة، ص٣٣١.

٢. المسجد المسبوك، ج١، ص٢٩٥ ـ ٢٩٦.

٣. الغساني: المسجد، ج١، ص٤٥٥.

٤. آل ياسين، د. محمد مفيد: الحياة الفكرية، ص٢٠٩.

المتوفي ٦٤٥هـ/١٢٤٧م ويعدّ شيخ فقهاء الإمامية[١]، والمحقق الحلّي نجم الدين جعفر بن الحسن المتوفي ٦٧٦هـ وكان فقيهاً أسس في الحلّة بيوتاً للدرس[٢]، وأنجبت الحلّة الفقيه الهروي الحائري أبو الحسن المتوفي سنة ٥٧٣هـ/١٠٨٠م[٣]، وأبو الفضل بن الحسين الأحدب المتوفي سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م[٤]. والسيد حمزة بن علي من عائلة زهرة المعروفة إذ أنجبت عدداً من العلماء والفقهاء. وتوفي أبو المكارم حمزة سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م ووصفه الخوانساري والمجلسي بأنه كان عالماً فاضلاً متكلماً[٥].

---

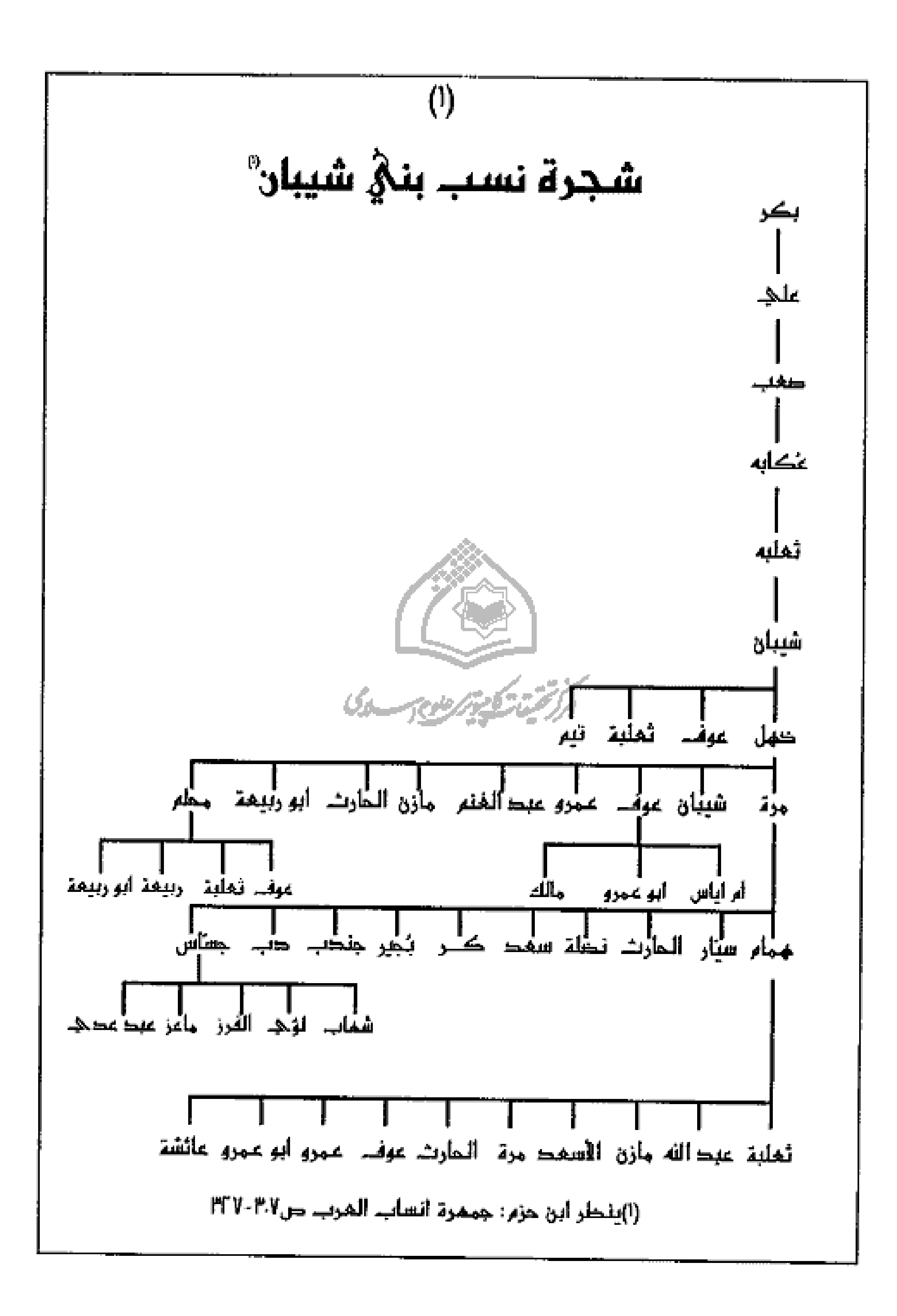
١. الخوانساري: روضات، ص٥٧٦.

٢. ن.م.

٣. آغا بزرك: طبقات أعلام الشيعة في القرن السادس المعروف الثقات العيون في سادس القرون، بيروت، ١٩٧٠م، ص١٨٧.

٤. ن.م. ص٧.

٥. روضات: ج٢، ص٣٧٥ ـ ٣٧٦؛ المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٧، ص٧٩.


(أ)
شجرة نسب بني شيبان(1)
بكر
علي
صعب
عكابه
ثعلبه
شيبان
ذهل عوف ثعلبة تيم
مرة شيبان عوف عمرو عبد الغنم مازن الحارث ابو ربيعة محلم
ام اياس ابو عمرو مالك
عوف ثعلبة ربيعة ابو ربيعة
همام سيار الحارث نخلة سعد كر بُجير جندب دب جساس
شهاب لؤي الفرز ماعز عبد عدي
ثعلبة عبد الله مازن الأسعد مرة الحارث عوف عمرو ابو عمرو عائشة
(1)ينظر ابن حزم: جمهرة انساب العرب ص٣٠٧-٣٢٧

(٢)

شجرة نسب بني نمير بن عامر بن صعصعة(١)

صعصعة

عوف الحارث مرة قيس عامر كبير غالب زبير عبد الله مساور سيار مثجور ربيعة عمرو

(عامر) نمير سواءة ربيعة هلال

(سواءة) حبيب حجير حرثان

(ربيعة) عامر كلاب كعب كليب

(هلال) عبد الله ناشرة شعثة نهيك عبد مناف

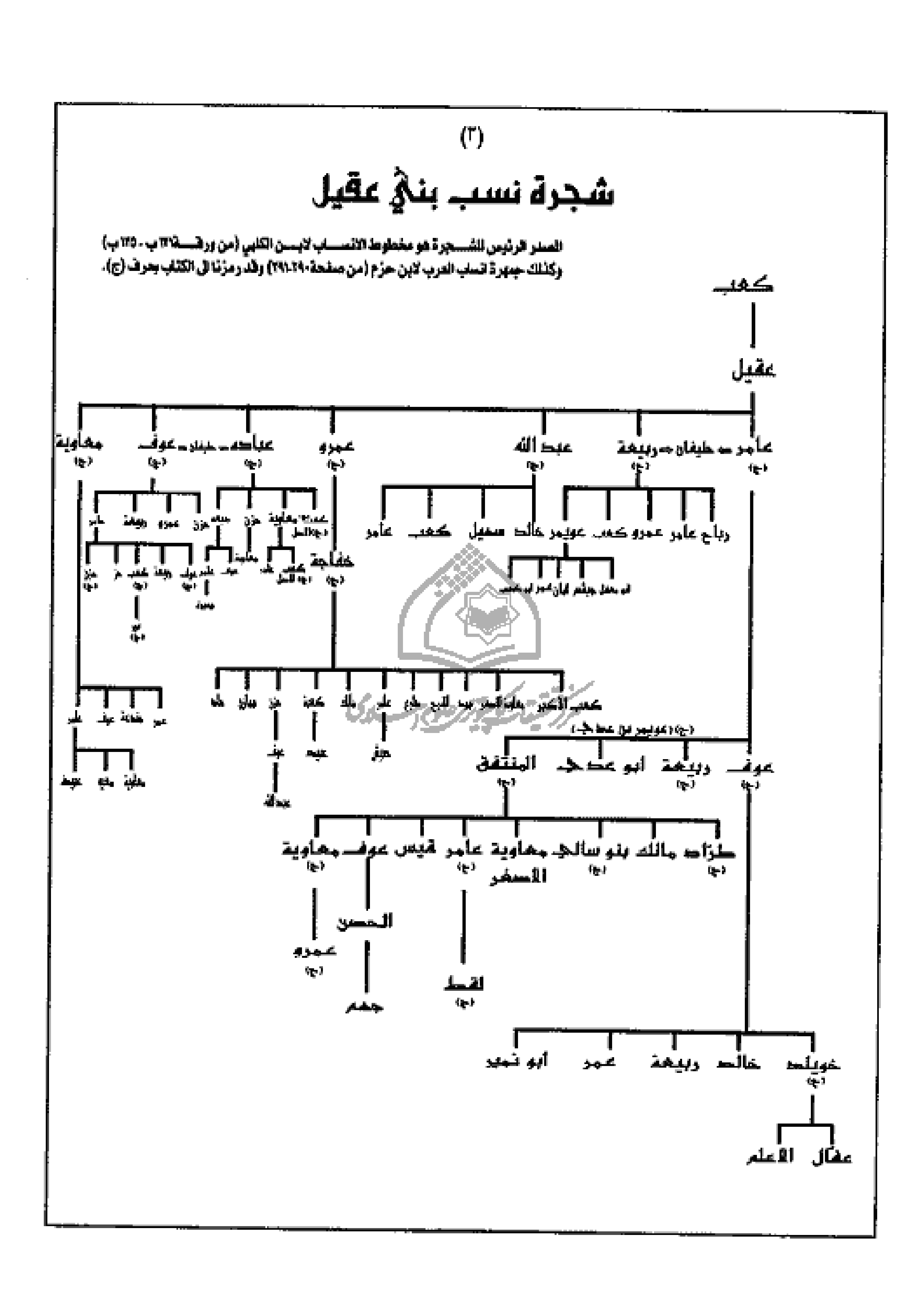
(نمير) الحارث ضبة (غير معقبة) كعب عامر (غير معقبة)

(الحارث) عبد الله بنو خويلفة جعونة

(عبد الله) همام الراعي (الشاعر)

(جعونة) قيس شريك

(١) ينظر ابن حزم ص ٢٧١-٢٧٤

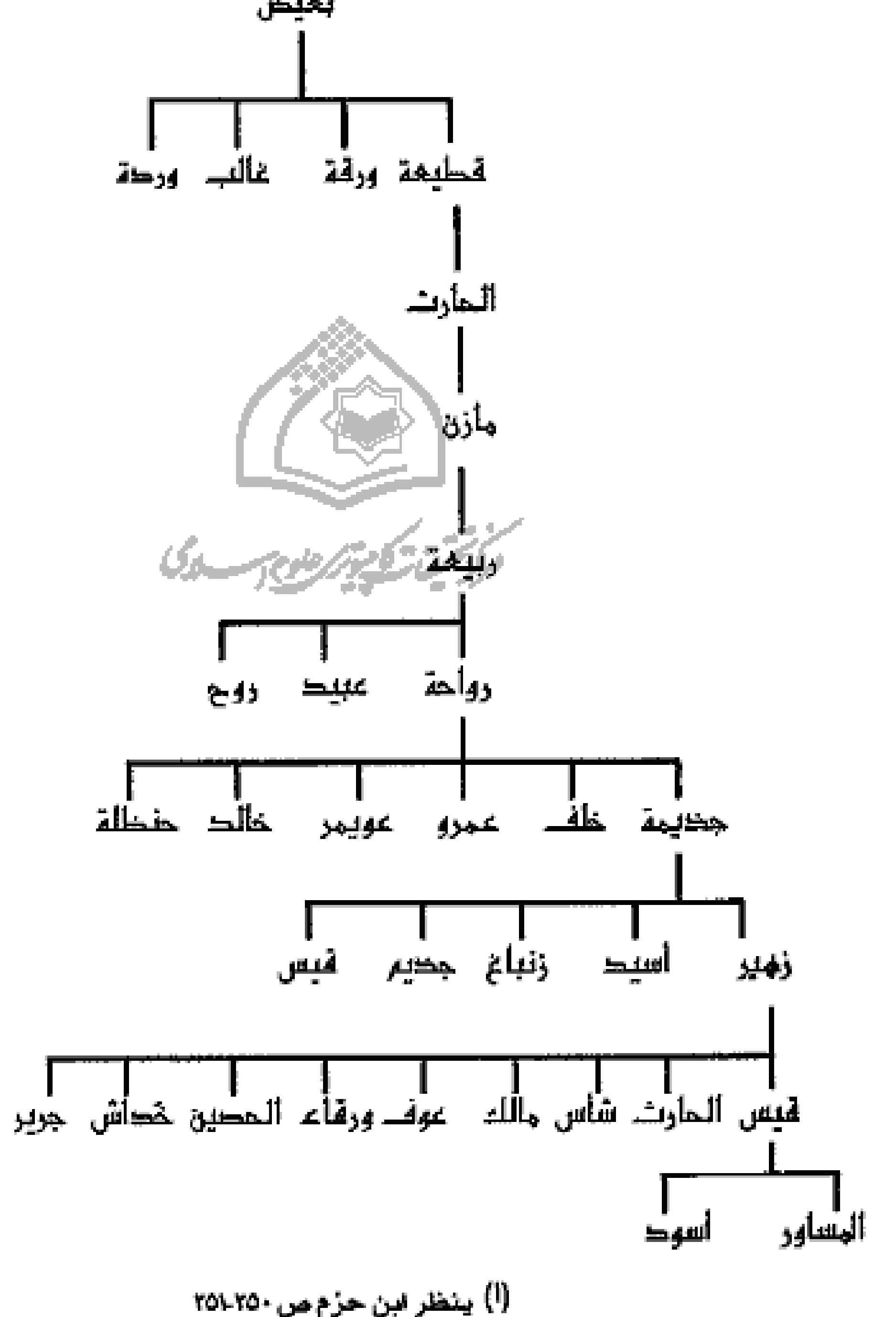


(٣)
شجرة نسب بنيُ عقيل
المصدر الرئيس للشجرة هو مخطوط الأنساب لابن الكلبي (من ورقة ٢٢٦ ب - ٢٢٥ ب)
وكذلك جمهرة أنساب العرب لابن حزم (من صفحة ٢٩٠-٢٩١) وقد رمزنا إلى الكتاب بحرف (ج).
كعب
عقيل
عامر (ج)
ربيعة (ج)
عبد الله (ج)
عمرو (ج)
عبادة (ج)
عوف (ج)
معاوية (ج)
رباح
عامر
عمرو
كعب
عويمر
خالد
عقيل
كعب
عامر
خفاجة (ج)
عوف (ج)
ربيعة (ج)
ابو عدي
المنتفق
طراد (ج)
مالك
بنو سالم (ج)
معاوية الأصغر
عامر (ج)
قيس
عوف
معاوية (ج)
الحسن
جعشم
عمرو (ج)
القطا (ج)
خويلد (ج)
خالد
ربيعة
عمر
أبو نمير
عقال
الأعلم

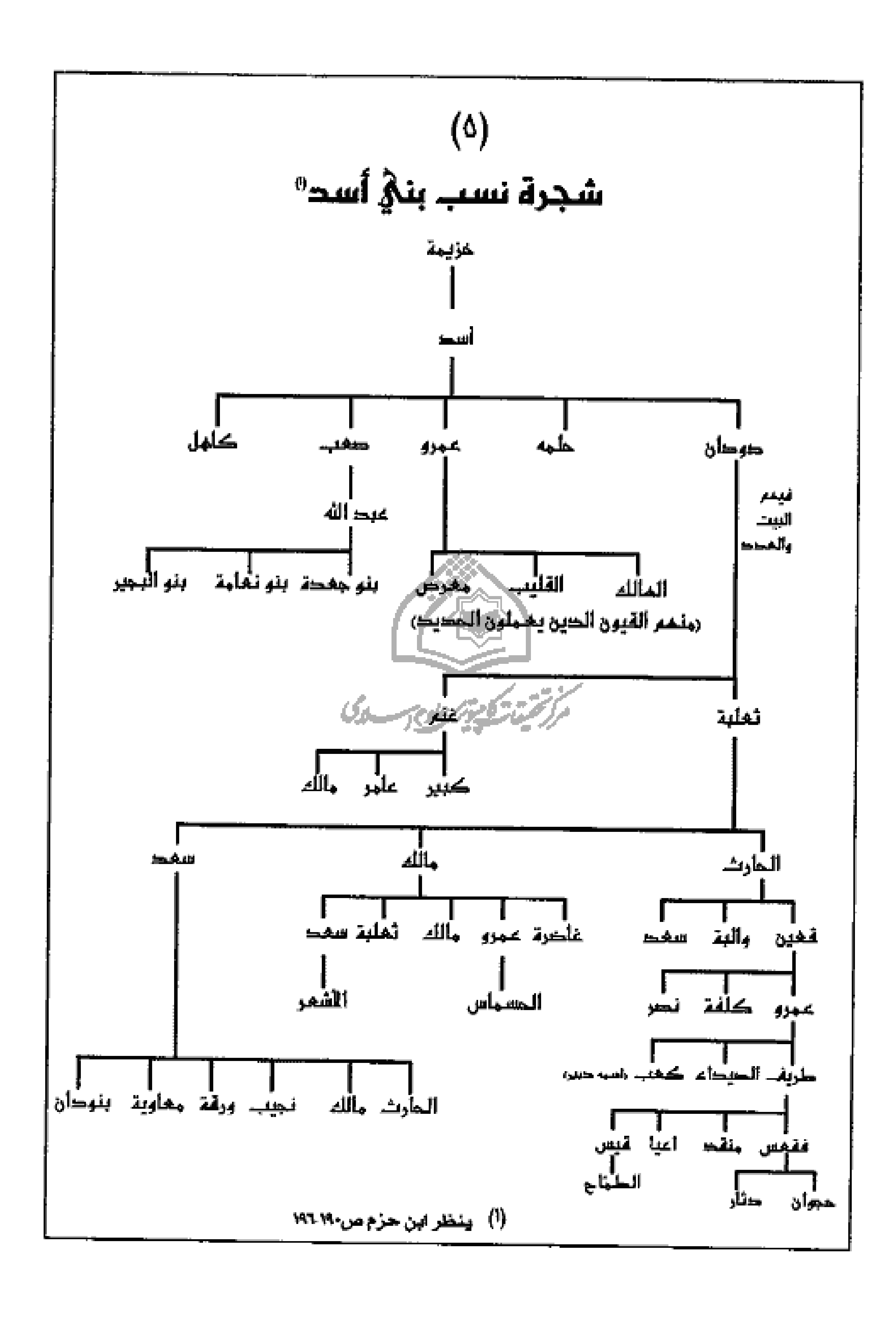
(٤)

شجرة نسب بني عبس[1]

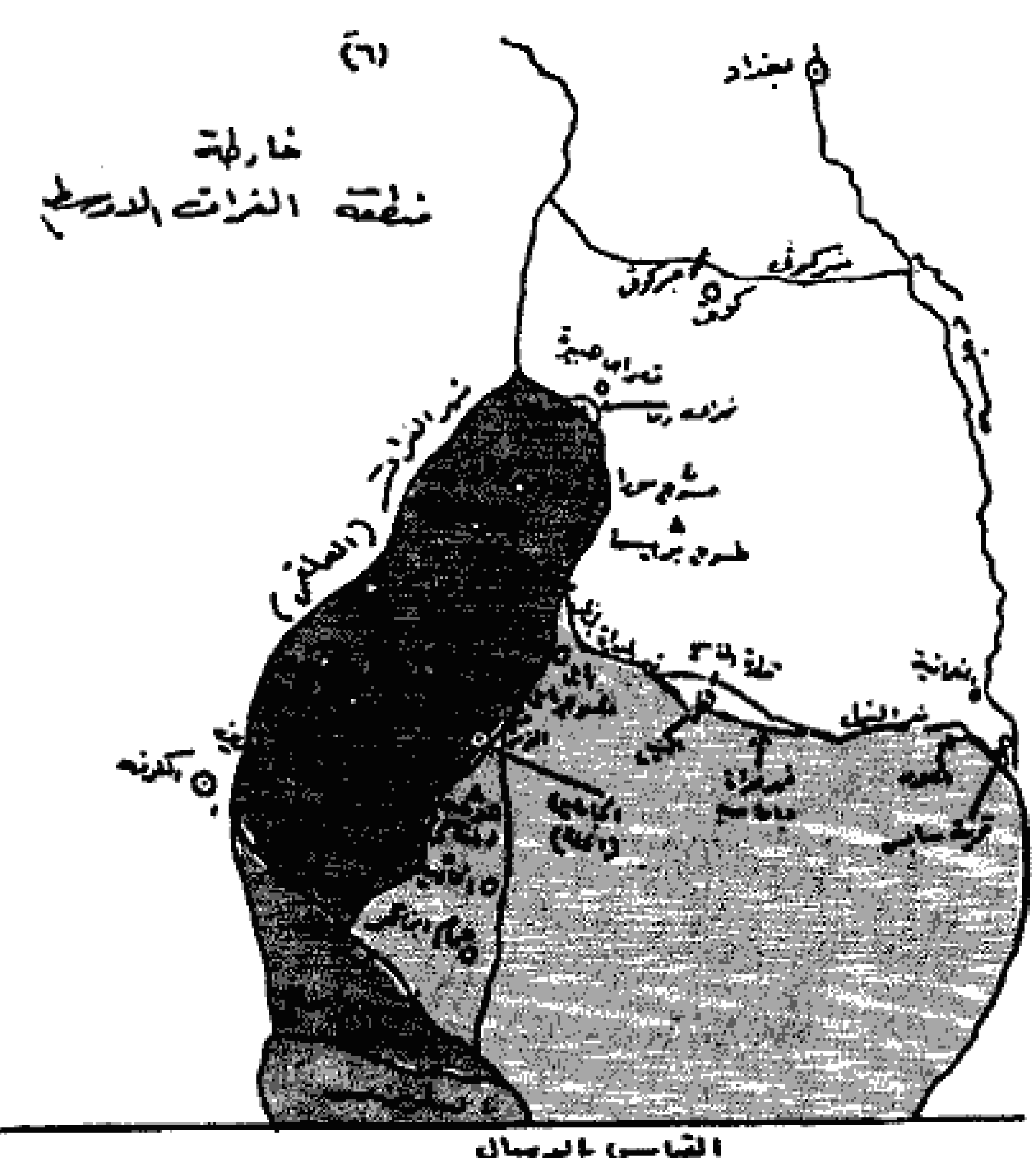
عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان



(١) ينظر ابن حزم ص ٢٥٠-٢٥١



(٥)
شجرة نسب بني أسد(1)
خزيمة
أسد
دودان
حلمه
عمرو
صعب
كاهل
فيهم البيت والعدد
عبد الله
بنو جعدة
بنو نعامة
بنو البجير
المالك
القليب
معرض
(منهم القيون الذين يعملون الحديد)
ثعلبة
غنم
كبير
عامر
مالك
الحارث
مالك
سعد
قعين
والبة
سعد
غاضرة
عمرو
مالك
ثعلبة
سعد
المسماس
الأشعر
عمرو
كلفة
نصر
طريف
الصيداء
كعب
فقعس
منقذ
أعيا
قيس
الطماح
حجوان
دثار
الحارث
مالك
نجيب
ورقة
معاوية
بنودان
(1) ينظر ابن حزم ص١٩٠-١٩٦



⊙	مدينة
○	قرى ومواضع ابعادها محددة بالميال
▲	قرى ومواضع غير محددة بمقياس
•••	جسر
—	قنطرة

مصادر الخريطة

١- طريق الحج بين بغداد - الكوفة
٢- خارطة سهراب لذكر منطقة الفرات الأوسط
٣- خارطة Musil: Middle Euphrates
٤- موسل : وادي الفرات ص ٢١٦
٥- لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٠
٦- طه الهاشمي في مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة ١٩٦٠م

المصادر



١. المخطوطات

٢. المصادر المُحقّقة والمنشورة

٣. الكتب الحديثة والأبحاث العربية

٤. الكتب والمقالات الأجنبية


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المخطوطات

أبو البقاء: هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلّي الربعي (ت بعد ٥٢٠هـ/١١٢٥م)، المناقب المزيدية في الملوك الأسدية، المتحف البريطاني، رقم or. 23296.

الغساني: الملك الأشرف (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م)، المسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك (مصورة في المجمع العلمي العراقي)، وقد حقق الدكتور شاكر محمود عبد المنعم الجزء الثاني من المسجد بعنوان: (المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك) ويبدأ الجزء المُحقق من أخبار خلافة الناصر لدين الله سنة ٥٧٥هـ ولغاية سنة ٦٥٦هـ.

الذهبي: شمس الدين (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام، المتحف البريطاني or. 48, 49ـ52 .

العظيمي: محمّد بن علي، تاريخ العظيمي (بايزيد، أسطنبول) رقم ٣٩٨.

الغزّي: إبراهيم بن عثمان بن محمّد الكلبي (ت٥٢٤هـ/١١٢٩م)، ديوان الغزّي بقلم محمّد السماوي، مكتبة سيد محسن الحكيم، النجف الأشرف، رقم٢٧٢.

سبط بن الجوزي: أبو المظفر (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان، المتحف البريطاني or. 4619. وكذلك توجد نسخة ممتازة في أسطنبول، مكتبة أحمد الثالث، رقم 2907C، حققت الأستاذة جنان الهمواندي الجزء الخاص بالعصر البويهي ونشرته، وحقق الأستاذ علي سويم الجزء الخاص بسنوات من العصر السلجوقي من ١٠٥٦ـ١٠٨٦ (أنقرة ـ١٩٦٧م).

الصفدي: صلاح الدين (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، نسخة مصورة في المكتبة المركزية في بغداد، رقم ٣٢٧٤١. وكذلك نسخة أسطنبول أحمد الثالث No.A/2920/21.

الفارقي ابن الأزرق: أحمد بن يوسف (ت٥٩٠هـ/١١٩٣م)، مخطوطة قطعة من تاريخ ميافارقين، في المتحف البريطاني، رقم or. 6,310.

القفطي: جمال الدين (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، المحمّدون من الشعراء، نسخة مصورة في كلية الآداب في بغداد، رقم٩٠٨٤.

الكلبي: هشام بن محمّد (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، الأنساب، سكوريال/ثاني١٦٩٨. ونسخة المتحف البريطاني/أول١٢٠٢.

لغدة: مخطوطة في ذكر أماكن القبائل في الجزيرة العربية، نسخة محمود الآلوسي، مكتبة الأوقاف، رقم٦٢١٦.

مخطوطة تاريخ دولة عباسية، لمؤلف مجهول، أسطنبول ـ بايزيد، رقم٢٣٦٠.

المصادر المُحقّقة والمنشورة

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١٢جزء، دار الطباعة، القاهرة، ١٢٩٠هـ.

التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣م.

اللباب في تهذيب الأنساب، ٣ أجزء، ط مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

الأبرص: عبيد بن الأبرص بن حنتم (ت٥٥٥م)، ديوان عبيد بن الأبرص، دار بيروت، دار صادر، ١٩٥٨م.

الأبيوردي: أبو المظفر محمد بن أحمد القرشي الأموي المعاوي (ت٥٥٧هـ/١١٦١م)، ديوان الأبيوردي، المطبعة العثمانية في لبنان، ١٣١٧هـ.

أخوان الصفا وخلان الوفا: الرسائل، ٤ مجلدات، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م.

الأزدي: محمد بن أحمد، حكاية أبو جاسم. تحقيق: Mez (١٩٠٢م).
الأصبهاني: عماد الدين (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق)، تحقيق: بهجت الأثري وجميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٥م.
وقسم شعراء الشام، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٥٩م.
الأصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري المعروف بالكرخي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مسالك الممالك، نشر دي غويه، بريل ـ ليدن، ١٩٢٧م.
الأصفهاني: أبو الفرج (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)، الأغاني، دار الكتب المصرية بالقاهرة من ١٩٢٧ـ١٩٦١م.
الأصفهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، حلية الأولياء، ١٠ أجزاء، مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٢٨م.
ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبي العباس أحمد بن قاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، ١٩٥٦م.
ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت، ١٩٦٠م.
البكري: أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ أجزاء، تحقيق: مصطفى السقا، ط١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥ـ١٩٥١م.

البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فتوح البلدان، نشر دي غويه، بريل ـ ليدن، ١٨٦٦م.
أنساب الأشراف، ج١، تحقيق: محمد حميد الله، مصر، ١٩٥٩م.
أنساب الأشراف، ج٥، تحقيق: كويتين، القدس، ١٩٣٦م. وقد أُعيد تحقيقه وطبعه من: د. سهيل زكّار.
البنداري: الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات بمصر، ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.
بنيامين: بنيامين بن يونه التُطيلي النباري الأندلسي (ت٥٦١ـ٥٦٩هـ/١١٦٥ـ١١٧٣م)، الرحلة، ترجمة: عزرا حداد، ط ١، المطبعة الشرقية ـ بغداد، ١٩٤٥م، والترجمة الإنكليزية تحت عنوان: The Itinerary of Benjamin (tr. By Ashar).
ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٢ جزء، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩م.
التنوخي: أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، جامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج١، أعتناء مرغليوث، ط أمين هندية بمصر، ج٨، ط المفيد، دمشق ١٩٣٠م.
الفرج بعد الشدة، جزءان، ط١، مكتبة الخانجي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٥م.

التوحيدي: أبو حيّان (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، الإمتاع والمؤانسة، ٣ أجزاء، صححه أحمد أمين وأحمد الزين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م.

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحسن كامل، إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

خاص الخواص، ط ١، مطبعة السعادة بمصر، ١٨٠٩م.

ثمار القلوب، القاهرة، ١٩٠٨م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، ٤ أجزاء، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨م.

الحيوان، ٧ أجزاء، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، مطبعة الحلبي بمصر، ١٣٥٦هـ/١٩٣٨م.

الدلائل والأعتبار في الخلق والتدبير، حلب، ١٩٢٨م.

ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، الرحلة، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م.

الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/٩٤٢م)، الوزراء والكتّاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط١، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٣٨م.

ابن الجواليقي: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن البغدادي (ت٥٤٠هـ/١١٤٥م)، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦١هـ.

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٥ أجزاء، ط١، مطبعة دائرة المعارف، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ وقد حققت الأجزاء العشرة كاملةً.

الجوهري: إسماعيل بن حمّاد (ت٣٩٨هـ/١٠٠٧م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٧٧هـ.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلدان، صححه: محمد شرف الدين بالتقايا، طبع بعناية وكالة المعارف في المطبعة البهية، ١٩٤١م.

حدود العالم: لمؤلف مجهول، تحقيق: V. Minorsky، لندن، ١٩٣٧م.

الحريري: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحريري (ت٥١٦هـ/١١٢٢م)، مقامات الحريري، باريس، ١٨٤٧م.

ابن حزم: علي بن محمد (ت٤٥٦هـ/١١٦٣م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

الحسيني: علي بن ناصر بن علي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق: محمد أقبال، لاهور، ١٩٢٣م.

الحسيني: تاج الدين بن محمد بن حمزة بن زهرة (ت٧٥٣هـ/١٣٥٢م)، غاية الأختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الضاد، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٢م.

الحسيني: أحمد بن عميد الدين علي الحسيني النجفي النسابة، بحر الأنساب المسمى بالمشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف، تحقيق: السيد حسين محمد الرفاعي الحنفي الشافعي.

الحلبي: محمد بن راغب بن محمود بن هاشم الطباخ، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧ أجزاء، ط١، المطبعة العلمية في حلب، ١٩٢٥م.

الحلّي: الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، رجال العلامة الحلّي، صححه: محمد صادق بحر العلوم، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦١م.

حمزة الأصفهاني: (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، لا يبزج، ١٨٤٤م.

الحموي: أبو الغفايل محمد بن علي بن عبد العزيز بن علي (ت٦٤٤هـ/١٢٤٦م)، التاريخ المنصوري في تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، نشره: بطرس غريار نيويج، موسكو، ١٩٦٠م.

ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، في قسمين، نشر دي غويه، ط٢، ليدن ـ بريل، ١٩٣٨م.

المسالك والممالك، ليدن، بريل، ١٨٧٢م.

ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفي في حدود ٣٠٠هـ/٩١٢م)، المسالك والممالك، نشر دي غويه، ليدن ـ بريل، ١٨٨٩م.

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤ جزء، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣١م.

ابن خلدون: عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، تاريخ ابن خلدون، ٧ أجزاء، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٥٩ ـ ١٩٦١م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٦ أجزاء، حققه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٤٨م.

الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب أبو عبد الله (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، صححته: إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة الشرق بمصر، ١٣٤٢هـ.

الخوانساري: محمد باقر الموسوي الخوانساري (ت١١٥٨هـ/١٧٤٥م)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ط٢، طهران، ١٣٦٧هـ.

ابن دحيّة: أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي المعروف بذي النسبين دحيّة (ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: عباس الغراوي، بغداد، ١٩٤٦م.

ابن الدبيثي: محمد سعيد بن محمد (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ أبي عبد الله، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٧١هـ/١٩٥١م.

ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ/٩٣٣م)، الإشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، المطبعة المحمدية بمصر، ١٩٥٨م.

الدمشقي: أبو الفضل جعفر بن علي، الإشارة الى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأعراض ورديها وغشوش المدلسين، مطبعة المؤيد، ١٣١٨هـ.

الديلمي: أبو الحسن مهيار الديلمي، ديوان، ٤ أجزاء، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م)، الأخبار الطوال، نشر كراتشوفسكي، بريل ـ ليدن، ١٩١٢م. النبات، نشره لوين، ليدن، ١٩٥٣م.

الذهبي: شمس الدين أبي عبد الله (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، دول الإسلام، جزءان، ط٢، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد، ١٣٦٤ـ١٣٦٥هـ.

العبر في خبر من غبر، ج٣، تحقيق: فؤاد سيد،كويت، ١٩٦١، و ج٤، تحقيق: صلاح الدين المنجد، كويت، ١٩٦٣م.

المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم، جزءان، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م.

ابن رسته: أبو علي أحمد بن عمر (كان حياً في سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م)، الأعلاق النفيسة، نشر دي غويه، بريل ـ ليدن، ١٨٩١م.

الروذراوري: أبو شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين الروذراوري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، ذيل تجارب الأمم، أعتناء مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر المحمية، ١٩١٦م.

الزبيدي: محب الدين ابن الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٠ أجزاء، ط١، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.

الزمخشري: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر (ت٥٢٨ـ٥٣٨هـ/١١٣٣ـ١١٤٣م)، الفايق في غريب الحديث، ٣ أجزاء، صححه: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م. الجبال والأمكنة والمياه، بريل ـ ليدن، ١٨٥٥م.

ابن الساعي: علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله بن عبيد الله بن عبد الرحيم البغدادي (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، المطبعة الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م.

سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبي المظفر بن قزاو غلى التركي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ـ الهند، ١٩٥١ـ١٩٥٢م.

ابن سهراب: عجائب الأقاليم السبعة الى نهاية العمارة، أعتنى به هانس فون فريك، مطبعة هولز هوزن، فينا، ١٩٢٩م.

السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن أبي بكر محمد بن عبد أبي المظفر المنصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)، الأنساب، طبع مرغليوث، سلسلة جب التذكارية، ليدن، ١٩١٢م.

السويدي: أبو الفوز محمد أمين البغدادي (ت١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة،١٩٥٩م.

الشابشتي: علي بن محمد أبو الحسن (ت٣٨٨ــ٣٩٠هــ/٩٩٨ــ٩٩٩م)، الديارات، حققه: كوركيس عواد، مطبعة المعارف ـ بغداد، ١٩٥١م.

ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هــ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥١م.

أبو شامة المقدسي: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن (ت٦٦٥هـ/١٢٧٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين، جزءان، مطبعة وادي النيل بمصر، القاهرة، ١٢٨٧هــ.

ابن الشحنة: عبد الله بن محمد (ت٨١٥هـ/١٤١٢م)، روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر، هامش على كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الطباعة، القاهرة، ١٢٩٠هـ.

الشريشي: أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت٦٢٠هــ/١٢٢٣م)، شرح مقامات الحريري،٤ أجزاء، نشره: عبد المنعم الخفاجي، ط١، ١٩٥٣م.

الشيباني: أبو عبد الله محمد بن الحسن (ت١٨٩هـ/٨٠٤م)، الجامع الكبير، ط١، مطبعة الاستقامة، ١٣٥٦هـ.

شيخ الربوة: شمس الدين ابن عبد الله محمد بن أبي طالب الدمشقي (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط١، المطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، مدينة بطرسبورغ، ١٨٦٥م.

الصابي: أبو الحسن الهلال بن المحسّن (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م.

الصفدي: صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، الأول تحقيق: هلموت ريتر، فيسبادان، ١٩٦٢م، والثاني تحقيق: ديدرنيغ، وزارة المعارف، ١٩٤٩م.

الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس البغدادي (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م)، أدب الكُتّاب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤١هـ.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الأمم والملوك، ٣ مجلدات، نشر دي غويه، ليدن، ١٨٧٩م. وطبعة محمد أبو الفضل إبراهيم.

ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/١٣٠٠م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.

الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، ١٠ أجزاء، تحقيق: حسن الموسوي، نشره الشيخ علي الأخوندي، ط٢، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٧٧-١٣٨٢هـ.

ابن عبد الحق: عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ/١٣٠٨م)، مراصد الإطلاع، ٣ أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م.

ابن عبد ربه الأندلسي: أبو عمر بن محمد (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٨-١٩٥٣م.

عبد الظاهر محي الدين: عبد الله عبد الظاهر بن نشوان السعدي المصري (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م)، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور محي الدين بن عبد الظاهر، تحقيق: مراد كامل ومحمد علي النجّار، ط١، ١٩٦١م.

ابن العبري: أبو الفرج غريغوريوس المالطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول، ط١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.

أبو عبيدة: معمر بن المثنى (ت٢١١هـ/٨٢٦م)، نقائض جرير والفرزدق، ٣ أجزاء، بريل ـ ليدن، ١٩٠٨م.

ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، حققه: سامي الدهان، دمشق، ١٩٥١م. وقد نُشر كتابه الآخر (بُغية الطلب).

عرّام: بن الأصبغ السلمي (القرن الثالث الهجري)، جبال تهامة. في نوادر المخطوطات، القاهرة، ١٩٥٤م.

عروضي: نظامي (ألف بين سنتي ٥٥١ـ٥٥٢هـ/١١٥٦ـ١١٥٧م)، جهار مقالة (المقالات الأربعة)، نقله: عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، ط١، القاهرة، ١٩٤٩م.

ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، نشر مكتبة القدسي، ١٣٥٠هـ.

العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله بن المجلي العمري الدمشقي الشافعي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الأول فقط، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٤م.

ابن عنبة: جمال الدين بن علي الحسيني (ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، صححه: محمدحسن آل الطالقاني، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦١م.

غرس النعمة: أبو الحسن (ت٤٨٠هـ/١٠٨٧م)، الهفوات النادرة، تحقيق: الأشتر، دمشق، ١٩٦٧م.

الفارقي: أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف ومحمد شفيق غربال، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٥٩م.

أبو الفداء: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل صاحب حماة (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، مجلدان، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

تقويم البلدان، صححه: رينود والبارون ماك كوكي، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.

ابن الفقيه الهمذاني: أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه (ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)، مختصر البلدان، نشر دي غويه، بريل ـ ليدن، ١٣٠٢هـ.

الفيروز آبادي: مجد الدين (ت٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، ٤ أجزاء، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد مؤسسة فن الطباعة.

ابن الفوطي: أبو الفضل عبد الرزاق بن الفوطي البغدادي (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (منسوب)، المكتبة العربية، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، حققه: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠م.
عيون الأخبار، ٤ أجزاء، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥م.
المعاني الكبير في أبيات المعاني، مجلدان، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.
قدامة بن جعفر: أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، نبذة من كتاب الخراج، نشر دي غويه، بريل ـ ليدن، ١٨٨٩م.
القرطبي: عريب بن سعد الكاتب (ت٣٦٩هـ/٩٧٩م)، صلة تاريخ الطبري، بريل ـ ليدن، ١٨٩٧م.
القرماني: أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي (ت١٠١٩هـ/١٦١٠م)، أخبار الأول وآثار الدول، طبع محمد أمين فندي، مطبعة عباس التبريزي، ١٢٨٢هـ.
القزويني: زكريا بن محمد بن محمد القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
ابن قطلوبغا: أبو العدل زين الدين قاسم بن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، تاج التراجم في طبقات الحنفية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٢م.
القفطي: جمال الدين ابن الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ليبزج، ١٩٠٣م.

ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

القلقشندي: أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م)، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م.

صبح الأعشى، ١٤ جزء، طبع الجزء الأول والثاني في دار الكتب المصرية بالقاهرة سنتي ١٩٢٢م، ١٩٢٨م، بينما طبعت الأجزاء الباقية في المطبعة الأميرية بالقاهرة بين سنة ١٩١٤ـ١٩١٨م. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، كويت، ١٩٦٤م.

القمي: الفوائد الرضوية في أحوال المذاهب الجعفرية، فارسي، ١٣٢٧هـ.

ابن القيسراني: أبو الفضل محمد بن طاهر (ت٥٠٧هـ/١١٠٠م)، الأنساب المتفقة، نشر دي جونج، بريل ـ ليدن، ١٨٦٥م.

ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، ١٤ جزء، ط١، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٣٢م.

الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت٣٢٨ـ٣٢٩هـ/٩٣٩ـ٩٤٠م)، الكافي، صححه: على أكبر الغفاري، طبع مكتبة الصدقة، طهران.

ماري بن سليمان: أخبار فطارقة كرسي المشرق، تحقيق: Gismondi، روما، ١٨٩٩م.

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط١، مصطفى الحلبي، ١٩٦٠م.

المؤيد في الدين: هبة الله موسى عمران الشيرازي (ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، سيرة المؤيد في الدين، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م.

ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م.

المستوفي القزويني: حمد الله (ت٧٤٠هـ/١٣٣٩م)، نزهة القلوب، الترجمة الإنكليزية من G. Le Strange، ١٩١٩م.

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٥ـ٣٤٦هـ/٩٥٦ـ٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، بريل ـ ليدن، ١٨٩٣م.

مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٩ أجزاء، باريس، ١٨٦١ـ١٨٧٦م.

ابن مسكويه: أحمد بن محمد بن مسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، تجارب الأمم، جزءان، أعتناء: امدروز، وترجمة: مرغليوث، مطبعة التمدن الصناعية المحمية، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

المقدسي: محمد بن أحمد ابن أبي بكر البناء المعروف بالبشاري (ت٣٨٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دي غويه، ط٢، بريل ـ ليدن، ١٩٠٦م.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة الملوك، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤م.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ٢٠ جزء، ط١، المطبعة الأميرية، بولاق.

نظام الملك: سياسة نامة، الترجمة الإنكليزية تحت عنوان: The Book of the Government or rulers for kings (tr. By Hubert Darke) London . 1960

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٢٤م.

ابن الهبّارية: محمد بن محمد (ت٥٠٤هـ/١١١٠م)، الصادح والباغم، بغداد، ١٣٤٣هـ.

الهروي: أبو الحسن علي بن أبي بكر (ت٦١١هـ/١٢١٥م)، الإشارات الى معرفة الزيارات، تحقيق: جانين سورديل، دمشق، ١٩٥٣م.

الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود المعروف بابن حائك الهمداني (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٣م.

الهمداني: محمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ/١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، حققه: ألبرت يوسف كنعان، ط١، لبنان ـ بيروت، ١٩٥٩م.

ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٠٦م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٣ أجزاء، نشر جمال الدين الشيال، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣م.

ابن الوردي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري الحلبي (ت٧٤٩ـ٧٥٠هـ/١٣٤٨ـ١٣٤٩م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، نشر محمد بن عبد الواحد الطوبي، المطبعة العامرة الشرقية بمصر،١٣١٤هـ. تتمة المختصر في أخبار البشر، جزءان، تم طبعها على ذمة جمعية المعارف في عهد الخديوي إسماعيل.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٦ أجزاء، نشر فستنفيلد، ليبزج، ١٨٦٦ـ١٨٧٠م.

معجم الأدباء، ٧ أجزاء، أعتناء مرغليوث، ط٢، ٢مطبعة هندية بالموسكي مصر، القاهرة، ١٩٢٣ـ١٩٣٠م. المشترك وصفاً والمفترق صقعاً، نشر فستنفيلد، كوتنجن، ١٨٤٦م.

اليعقوبي: أحمد بن واضح (ت٢٩٢هـ/٩٠٤م)، البلدان، نشر دي غويه، بريل ـ ليدن، ١٨٩١م. تاريخ، جزءان، نشر هوتسما، بريل ـ ليدن، ١٨٨٣م.

أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)، الخراج، عنيت بنشره المطبعة السلفية، ط٢، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

الكتب الحديثة والأبحاث

إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي للعراق، جزءان، مطبعة شفيق، بغداد.

إنستانس الكرملي: النقود العربية وعلم النميّات، المطبعة العصرية ـ القاهرة، ١٩٣٩م.

البراقي: السيد حسين السيد أحمد (ت١٣٣٢هـ)، تاريخ الكوفة، حققه: محمد صادق بحر العلوم، ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٠م.

جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ط٣، ١٩٣٩م.

تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٢م.

جعفر باقر آل محبوبة (ت١٣٧٧هـ): ماضي النجف وحاضرها، ٣ أجزاء، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٨م.

حافظ أحمد حمدي: الشرق الإسلامي قبل الغزو المغولي، مصر، ١٩٥٥م.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨م.

حسن باشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، ١٩٥٧م.

حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم شريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، القاهرة، ١٩٦٦م.

حسنين: عبد المنعم، سلاجقة إيران والعراق، القاهرة، المكتبة الفيضية، ١٩٥٩م.

الخفاجي: عبد المنعم، بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والإداري، المنيرية، ١٩٥٢م.

الدوري: عبد العزيز، تاريخ العراق الإقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨م.

زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، جزءان، مطبعة فؤاد الأول، ١٩٥١م.

زكي: أحمد أمين، تاريخ الإمارات الكردية، مصر، ١٩٤٨م.

سرور: جمال الدين، دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، ١٩٦٠م.

سعداوي: نظير حسان، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، ١٩٥٧م.

سوسة: أحمد، في ري العراق نهر الفرات، بغداد، ١٩٤٥م.

الصدفي: رزق الله منقريوس، تاريخ دول الإسلام، ٣ أجزاء، مطبعة الهلال بمصر، ١٩٠٧ـ١٩٠٨م.

عاشور: سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط١، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٣م.

عبد العزيز آل صاحب جواهر: آثار الشيعة الإمامية، ط١، المطبعة العلمية الإيرانية.
العلي: د. صالح أحمد، التنظيمات الإجتماعية في القرن الأول الهجري في البصرة، بغداد، ١٩٥٣م.
محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٣، مطبعة الأرشاد، بغداد، ١٩٦٤م.
المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٤م.
منطقة الكوفة دراسة طوبوغرافية مستندة الى المصادر الأدبية.
غنيمة: يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية، بغداد، ١٩٣٦م.
لسترنج: كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٤م.
ماسنيون: خطط الكوفة، ترجمة: تقي المصعبي، ط١، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٤٦م.
متز: آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، جزءان، ترجمة: أبو ريدة، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.
الهاشمي: طه، مفصل جغرافية العراق، ط١، مطبعة دار السلام، بغداد.
ولكوكس: جنة عدن الى عبور نهر الأردن، ترجمة: محمد الهاشمي، بغداد، ١٩٥٥م.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المجلات العربية المستعملة في الكتاب

١ـ مجلة كلية الآداب، لسنة ١٩٦٢م.

٢ـ مجلة المجمع العلمي العراقي، لسنة ١٩٥٤م.

٣ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، كانون الثاني، لسنة ١٩٤٢م.

٤ـ مجلة المشرق، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، لسنة ١٩٥٦م.

٥ـ مجلة سومر، لسنة ١٩٥٨م، م٤.

٦ـ مجلة الأبحاث، دار الكتاب، بيروت، لبنان، كانون الثاني، السنة ١٤ لسنة ١٩٦١م.

٧ـ مجلة العرفان، أحمد عارف الزين، كانون الثاني، لسنة ١٩٦٠م، م٤٧.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الكتب الأجنبية

Arnold, T.W. The Caliphate. London 1965.
Bosworth, C.E.

1_ The Ghaznvids their Empire in Afghanistan and Eastern Iran. Edinburgh 1963.

2_ The Islamic Dynasties, Edinburgh 1967.

Al_Barazi The geography of Agriculture in irrigated areas in the middle Euphrates valley, Baghdad 1961.
Brown, E.G. A literary history of Persia, 4 vols.
Buringh

1_ Soils and soil conditions in Iraq, Baghdad 1960.

2_ Soil survey report of the Hilla_Kifel drainge project, Baghdad 1961.
Delaparte, Mesopotamia the Babylonian and Assyrian civilization, 1925.
Encyclopaedia of Islam (old edition).
Encyclopaedia of Islam (new edition).
Fischel, W.J. Jews in the economic and political life of Medieval Islam. London 1937.
Grousset, Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem (Paris 1934) 3 vols.
Von Grunebaum, Medival Islam. 2nd ed. Chicago 1953.

Hinz, W. Islamische Masse und Gewichte. London 1955. وقد

تُرجم الى اللغة العربية

Ionides The regime of the rivers Euphrates and Tigris. London 1937.

Justi, F. Iranische Namenbuch (1895).

Kabir, M. The Buwayhid Dynasty of Baghdad (Calcutta 1964).

Karabacek, J. Beitrage zur geschichte der Mazjaditen (Leipzig 1874).

Lambton A.K.S.

1_ Contributions to the Study of Seljuq institutions. Unpudlished Ph.D. Thesis 1939.

2_ Landlord and peasant in Persia. London 1953.

Lane_Poole, S. Mohammadan Dynasties. Paris 1925.

Le_Strange, G. The lands of the Eastern Caliphate. Cambridge 1930.

Levy, R. An introduction to the sociology of Islam (London 1933) 2 vols.

Lewis, B. The Arabs in History. London 1966.

Musil, Alois, The Middle Euphrates. New York 1927.

Obermeyer, J. Die Landschaft Babylonien, Frankfurt 1929.

Pareja, F.M. Islamolagia, Beyrouth 1957 _ 1963.

Rogers, R.W. A History of Babylonia and Assyria, New York 1915, 2 vols.

Schawarz, P. Iran im mittelater nach den Arabischen geographen. Leipzig 1896.

Sprenger, A. Die Post _ und Reiserouten des Orients. Leipzig 1864.

Zambaur, E. Manuel de genealogie et de chronologie pour l' historie de l'Islam. Hanovre 1927.

البحوث الأجنبية

Bosworth, E.C.

1_ 'Ghaznevid Military Organization' in Der Islam, 1961.

2_ 'The titulature of the early Ghaznavids' in Oriens 1962.

3_ 'The political and dynastic history of the Iranian World' in The Cambridge History of Iran, vol. 5 pp. 1_202.

Cahen, C.

1_ 'The Turks in Iran and Antolia before the invasions' in A History of the crusades, ed. By K.M. Setton vol. 2.

2_ Quelques problemes economiques et fiscaux de l'Iraq Buyids'. in Annales de l'institut d'etudes Orientales 1952.

Edward G. Browne 'Account of a rare if not unique manuscript History of the Seljuqs' in JRAS, 1902.

Gibb, Sir Hamilton 'Zengi and the fall of Edessa' in A History of the Crusades, ed. By Setton.

Houtsma, M.Th. 'Some remarks on the history of the Seljuqks' in Acta Orientalia 1925.

Lewis, B. 'Government, society and economic life under the Abbasid and Fatimid' in The Cambridge Medieval History, 2nd ed. Vol. 4, 1966.

Makdisi, G. 'Notes on Hilla and the Mazyadids in Medieval Islam' in J. of the American Oriental Society 1954, pp. 249 – 262.
Sayar, 'The Empire of Seljukids' in J. of Near Eastern Studies, vol. 10.

